
كتابي
صنم تحطم!
حلمي مراد
وكتب أخرى
٨ كتب
٨ قروش



الوصول إلى الحقيقة يتطلب إزالة العوائق
التي تعترض المعرفة ، ومن أهم هذه العوائق
رواسب الجهل وسيطرة العادة ، والتبجيل المفرط لمفكري الماضي
إن الأفكار الصحيحة يجب أن تثبت بالتجربة

حصريات مجلة الابتسامة
** شهر أغسطس 2018 **

www.ibtesamah.com/vb

التعليم ليس استعداداً للحياة ، إنه الحياة ذاتها
جون ديوي
فيلسوف وعالم نفس أمريكي



صنمٌ تحطّم!

وكتب أخرى

كتب للمحرر

عندما تحب المراة (مجموعة قصص مصرية)	الناشر « **كتب للجميع** »
اوسكار وايلد (حياته ، وفنه ، ومآساته)	الناشر « **البـــــلاغ** »
قلوب تحترق أو (حذار من الشفقة) لستيفان زفايج	الناشر « **روايات الهلال** »
انا كارنينا لتولستوى	الناشر « **روايات الهلال** »
رسول القيصر (ميشيل ستروجوف) لجول فيرن	الناشر « **روايات الهلال** »
ذات الرداء الابيض لويلكى كولنز	الناشر « **روايات الهلال** »
ابنة البخيل (أوجينى جرانديه) لبلزاك	الناشر « **روايات الهلال** »
الذئب الاغبر (مصطفى كمال)	الناشر « **كتاب الهلال** »
« **كتابى** » الاول : « **خطايا الحب** » وكتب اخرى	مارس سنة ١٩٥٢
« **كتابى** » الثانى : « **قلب عذراء** » وكتب اخرى	ابريل سنة ١٩٥٢
« **كتابى** » الثالث : «**الهاربة من الجنة**» وكتب اخرى	مايو سنة ١٩٥٢
« **كتابى** » الرابع : « **حواء الجديدة** » وكتب اخرى	يونيو سنة ١٩٥٢
« **كتابى** » الخامس : «**احدب نوتردام**» وكتب اخرى	يوليو سنة ١٩٥٢
« **كتابى** » السادس : «**جريمة حب**» وكتب اخرى	اغسطس سنة ١٩٥٢
« **كتابى** » السابع : «**عشيقة نابليون**» وكتب اخرى	سبتمبر سنة ١٩٥٢
« **كتابى** » الثامن : «**مذكرات كيوبيد**» وكتب اخرى	اكتوبر سنة ١٩٥٢

كتابى

كتاب شهرى للقصة والثقافة الرفيعة

صاحبه ورئيس تحريره : حلمى مراد

المكاتبات : ١٨ شارع العباسين ، مصر الجديدة ـ تليفون ٦٥٦٠٨

الاشتراكات : عن ١٢ عددا : مصر والسودان: ٨٠ قرشا . سوريا ولبنان: ١١ ليرة سورية او لبنانية . الحجاز والعراق والاردن: ١١٠ قروش صاغ

الكتاب التاسع ـ نوفمبر ١٩٥٢

رمز الكتاب :  **مصباح الفكر عند الاغريق**

مطبعة شركة الاعلانات الشرقية


قصة مصرية : للمحرر

٦

طال امامه الطريق ، وتسلطت على وجهه شمس العصر ، فاحس الصبى بالتعب ، والحر .. ومضى يجر قدميه الصغيرتين فى اعياء ، وينقل حقيبته المثقلة بالكتب من يد الى يد .. وهو كلما تقدم خطوة ، ضاق بما بقى من خطوات !

متى يبلغ البيت ؟ انه يريد ان يصل ، ويرتمى على أقرب فراش .. على الكنبة التى فى الردهة ، كما هو ، بثياب المدرسة، ثم يدفن وجهه فى احدى الوسائد .. وينتظر خروج أبيه !.. ان الاب سوف يمر بالردهة وهو فى طريقه الى الباب ، وسيراه حتما ، ويسأله عما به .. لكنه لن يجيب ! سيزداد امعانا فى الصمت ، وفى دس أنفه بين الحشايا ، مما سيثير قلق ابيه ويزعجه ، فيلح عليه فى ان يتكلم .. ويستعطفه .. ويرجوه ! بل لعله يستعين عليه بمربيته الفرنسية (مدموازيل كلير) ، التى سوف تحاول جهدها التخفيف من أساه ومعرفة شكواه ، بحيلها المعهودة : صوتها الحنون ، وابتسامتها الوادعة ، وتوسلاتها !.. حتى يحس الصبى انه قد أفلح فى ازعاجهما واثارة اهتمامهما به وحدبهما عليه ، الحدب المحبب الذى نسيه ، وطال اشتياقه اليه .. وعندئذ سيخف غيظه ويرق حسه ، ويرهف ، فيغلبه التأثر .. ويتفجر دمعه المكظوم الذى حبسه الغضب والغيظ ، فيغسل شجنه .. ويريحه من أساه !

❖

ظلت الخواطر الثائرة تتناهب رأس الصبى وهو يجر ساقيه ويسوق قدميه ، متعثرا فى بعض حصى الطريق .. فأحس انه محنق ! ود لو يطاوعه دمعه ، ولا يستعصى .. فلكم هو بحاجة الى ان يبكى ، بحرقة تظهر لابيه انه شقى ، وانه المسؤول عن شقوته ! .. لماذا يهملـه الى هذا الحد ؟ انه لم يعد يعنى به أو يأبه له . ألم يكف منذ أمد عن مداعبته وتدليله ، وقضاء بعض الوقت معه يحدثه ويؤنسه ، وينصت لشكاته وأمانيه ؟ .. **لكم هو قد تغير ! اين حنانه القديم ، الذى كان يريقه عليه فى السنوات الاولى التى تلت .. موت امه ؟ واين قبلاته الحلوة التى طالما سكبها على وجنات الصغير .. اليتيم ؟ انه منذ أحضر له هذه المربية الاجنبية ترك لها امر العناية به ، فحلت محله فى كل شىء . اما هو فأهمله ! لم يعد ينسلل الى غرفته حين يعود فى الليل ، كى يرشق خده بقبلة وهو نائم ، كما كان يفعل قبلا ..** ولقد ايقن الصبى من هذا فى الليلة الماضية فقط ، حين عاقه الارق عن نومه الباكر فظل فى فراشه يتقلب وينتظر النعاس ، عبثا .. حتى دقت الساعة عشر دقات .. ثم احدى عشرة .. ثم اثنتى عشرة دقة .. وطال الليل ، والاب لم يعد بعد ! عجبا ! لم يكن (هانى) يعلم من قبل ان اباه يتأخر فى الخارج .. الى هذا الوقت ! ترى اين يقضى كل هذه الساعات ؟ كيف يقوى على «العمل» فى قلب هذا الليل ، وكيف يطيق العودة وحده .. فى الظلام ؟ امـا يخاف ؟ لقد ظل هانى فى الليلة الماضية يفكر فى هذا ، وفى غيره ، وهو فى الفراش .. حتى أحس بباب البيت يفتـح ، ونور

الردهة يضاء ، ثم يطفأ ، وخطوات ابيه تقترب .. وتحاذى غرفته .. ثم تبتعد ، دون ان يدخل كى يرشق خد الصغير النائم .. بقبلة ! لابد انه نسى عادته هذه . ترى منذ متى ؟ ربما منذ سنوات ! فان هانى لا يذكر انه أرق من قبل . وابتعدت الخطى ، جاوز الاب غرفة الصبى ، ثم غرفة المربية ، ودخل مخدعه الخاص . وبعد قليل أطفأ الانوار ، ونام !



أمــا هانى فانه لم ينم . بقى فى فراشه مفتوح العينين على الظلام الدامس ، وعلى صورة كبيرة معلقة فوق الجدار المقابل . لم يستطع بصره ان يميز ملامح «امه» فى العتمة ، لكن ذاكرته ميزت تلك الملامح واستحضرتها أمامه فراح يناجيها .. ويشكو اليها أباه ! **شكا اليها فتوره الاخير ، وانشغاله عنه .. وجو البيت الذى تسوده الكآبة ، والصمت ، والوحشة .. انه ليحس كأنه وحيد بين اربعة جدران توشك ان تقتله ! .. ويمضى يجهد خياله فى تصور حاله لو بقيت امه لتراه قد كبر ! لماذا ماتت وتركته ؟ .. والمربية .. كيف يقول ابوه انها سترعاه كأمه ، وهى لا هم لها الا تعهد جمالها والوقوف امام المرآة ؟ ..** وحتى الاخوة قد حرم منهم . لماذا ذهبت امه قبل أن تعطيه ولو اخا واحدا ، او اختا عذبة مثل «اعتدال» التى تملأ بيت زميله محمود حياة وبهجة ؟ انه كلما زارهما وبالغت امهما اللطيفة ــ وزائراتها الكثيرات ــ فى الترحيب به ، يحس انهن انما يعطفن عليــه ، ويقبلنه ، لانه يتيم .. منــكسر ! فيجد نفسه عاجزا عن مغالبة تأثره ، وتقفز الغصة الى حلقه

فيستنجد بحيائه الفطرى ، ويغض من بصره ، وابتسامته الخجلى تتعثر على شفتيه ! .. ولا ينقذه من حيرته الا ان تقيض الصدفة له من يمازحه ويشغله عن نفسه حتى يعتاد جو المكان فلا يعود يتوهم الانظار كلها متجهة اليه . وعندئذ فقط يرسل نفسه على سجيتها ويبدأ مرحه مع صبية الاسر الكثيرة التى تكون فى زيارة البيت

لكنه فى كل مرة لم يكن يملك كبح فكره عن المقارنة بين ذلك الجو الصاخب السعيد الذى يعيش فيه محمود ، وبين جو الهدوء الكئيب الذى يخيم على بيت ابيه .. فيظل يتساءل عن سر الحياة المعتمة التى يحيونها ! **لماذا لا يزورهم احد ، الا رجلين او ثلاثة من اصدقاء ابيه .. وفيما ندر ؟ لماذا لا تدخل بيتهم تلك الاسر الطروبة بسيداتها اللاغطات وصبيتها المرحين؟** .. لكنه لم يلبث ان اهتدى الى السبب . هداه اليه ادراك مباغت من عقله الصغير : انهن لا يدخلن بيت رجل اعزب ، بيتا خلا من ربته . ان المرأة فى كل بيت هى «الطعم» الذى يجذب اليه الناس ، من الجنسين !

وعندما كان تفكيره ينتهى به الى هذا الحد كان ذهنه يشرد منه الى اودية بعيدة غامضة ، فتمضى الخواطر تذرع رأسه ، وتروح وتغدو ، لكنها دائما كانت تدور حول محور واحد : **منذ ان رحلت امه لم تدخل البيت امرأة ! ان اباه لا يعرف النساء ! ما الذى ثبت فى رأس (هانى) هذا الاعتقاد ؟ انه لا يدرى سوى انه نشأ وفى خياله هذه الفكرة . ان اباه لم ينس زوجته ، ومنذ موتها وهو يعيش بعيدا عن هذا الجنس ! ..** فان الصبى لا يذكر ان امرأة واحدة زارت أباه ، او حادثته

مرة فى التليفون .. ولا سمعه يوما ــ طوال هذه الاعوام ــ يتحدث عن امرأة مع احد ، بتلك اللهجة المستبيحة التى طالما خدشت حياءه كلما سمعها من ممثل عابث فى السينما ، او كلما صدمت اذنيه عفوا فى المدرسة او فى الطريق ! .. وحين كانت تبدر من احد زائريهم ــ فى وجوده ــ كلمة عن احد الرجال الماجنين ، كان أبوه يدير دفة الحديث .. وكله اشمئزاز ! .. ومن ثم رسخت فى وعى هانى منذ طفولته صورة واحدة لابيه ، البسه فيها خياله مسوح راهب وقور ، يحتقر المرأة ، ويكره الخمر ، ولا يحب الا عمله .. الذى يقصيه عن البيت الى مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل !

وانثال الى ذهن الصبى وهو فى فراشه خاطر مفاجىء : من ادراه ان اباه لم يسهر الليلة فى عمله ، كى يدبر له قسط المدرسة الذى سيدفعه فى الغد ! هذا هو الارجح .. وانه ليشعر بالندم ، وبأنه كان ظالما حين استحضر امه كى يشكوه اليها ! لكنه سيكفر عن ذنبه . سيفعل ما يعلم انه يرضى اباه .. فلينم الآن كى يصحو نشيطا فى البكور ، ويستقبل يومه الدراسى الجديد بحماسة !

وغلبه النعاس !

❖

وانه ليذكر ذلك الآن ، وهو عائد من المدرسة فى آخر النهار وقد هده التعب .. فيعاوده أساه ، ويغريه الحنق بان يسترد ندمه ، ويجدد شكواه ! .. ان اباه ما يزال يهمله ، ولا يبالى راحته . فحين طلع الصباح ، وقبل ان يمضى الى المدرسة ، وعده بأن يرسل له ساعة الظهيرة عربة تقله الى



البيت . لكنه لم يفعل . قال انه نسى ، وان العربـة ستنتظره فى العصر . ثم جاء العصر ، فاذا الصبى لا يجد احدا فى الانتظار ، ولا حتى خادمايحمل عنهحقيبة الكتب . **لقد نسـيه ابوه ، كالمعتاد ! ترى ما الذى يشغله عنه ، حتى يدعه ـ لثانى مرة فى نفس اليوم ـ يقطـع الطـريق الطويل، ماشيا؟ انه ليحس بقواه تخور ، وجسده الضامر لايقوى على حمله ، فيتمنى لو تسعفه دموعه فيبكى !** لكنه يعلم انه لن يستطيع . ان دموعه قل ان تعرف الطريق الى عينيه .. انها دائما تقف فى حلقه فتخنقه ، فترة ، ثم تعود من حيث أتت ! لكأن مآقيه قد جفـت ، او سدت مسالكها ، من كثرة ما أراقت .. ومن فرط ما تألم ! فهل كتب عليه ان تظل حياته دائما .. خالية من البهجة ؟



ظلت هذه الهواجس ، وغيرها ، تتناهبه .. حتى بلغ البيت ، فارتمى على الكنبة التى فى الردهة ، ودفن وجهه فى الوسادة ، فى انتظار مرور أبيه ! .. ثم لم يحس الا وهو يفيق من «نومه» ، والردهة غارقة فى ظلمة الغسق ! .. راعه السكون، فتلفت حواليه . ظن انه يحلم ، أو انه فى الهزيع الاخير قبيل الفجر .. لكنه لم يلبث ان ذكر كل شىء ، فأجفل ! أين أبوه ؟

هل خرج دون ان يراه، أم رآه فلم يعبأ به ؟ .. ثم أين مدموازيل كلير ؟ .. **ما معنى ذلك ؟ .. ما هذا السكون المقبض ؟ واتجه الى الممر ، الى غرفة ابيه . انها ليست مضاءة ، فهل خرج ؟ ام ما يزال نائما .. منذ الظهر ؟ ومشى محنقا الى الباب ، وفتحه ..**

كان الاب فى فراشه ، والمربية الحسناء بين ذراعيه !

... ...

... ...

انفلت الصبى عائدا ، الى حيث لا يدرى .. رباه ! هل هذا ممكن ؟ انه لا يصدق عينيه ! كيف ؟ أبوه .. يفعل هذا ؟ ماذا بقى اذن فى الدنيا من خير ؟ .. ماذا بقى فى الدنيا من خير ؟ ..

وانهمر دمعه الحبيس ، وخرج من البيت .. لا يلوى على شىء !

❖

حين لحق به أبوه ، بعد قليل، عثر به فى الحديقة الخلفية، متكئا على (الجميزة) العتيقة .. انها صديقته العجوز ، فلطالما تأرجح على اغصانها وهو طفل ، ولطالما اتكأ عليها منذ غدا صبيا، يفهم الاسى والشجن ! ودائما كانت تنصت لشكواه بصدر رحب، فما لها الآن تشيح باغصانها عنه ، وتئن .. كأنما تريده ان يفرغ من قصته ، كى يريحها ؟ .. حتى هى تضيق به ؟ حتى هى مشغولة عنه ؟

واحس هانى بحركة خلفه ، فتلفت . رأى شبح أبيه مقبلا عليه فى الظلام ! .. لكنه لم يتحرك ، فقط أدار وجهه ليمسح دمعة على خده ولبث مطرقا .. كأنه لم يره !



حتى سمع خطاه تقترب ، والاوراق الجافة التى اذبلها الخريف والقتها الرياح على الثرى، تتقصف تحت قدميه .. ثم لمست كتفيه راحتان ، وجاءه من الخلف صوت ابيه : « **اصغ الى يا حبيبى .. اننا فى صبانا نكون أغرارا ، نتوهم كبارنا انصاف آلهة ، معصومين .. فنقيم لهم فى قلوبنا اصناما ، نحرق حولها البخور ونتوجه اليها بالعبادة ، من دون الله !..**

حتى نكبر ، ونبلو الحياة ، فتصدمنا الحقائق المريرة .. واذا باصنامنا تهوى من عليائها .. حطاما ! .. واذا نحن ندرك فجأة اننا .. بشر »

عزيزى القارىء ...

فى الاعداد السابقة قدمت لك فى هذا الباب على التوالى قصص حياة : «ديفاليرا» .. و « غاريبالدى » .. ثم « لويس باستير » .. و « اميل زولا » .. و « ماركونى » .. و « تشايكوفسكى » .. وأخيرا « فلورنس نايتنجيل » ..

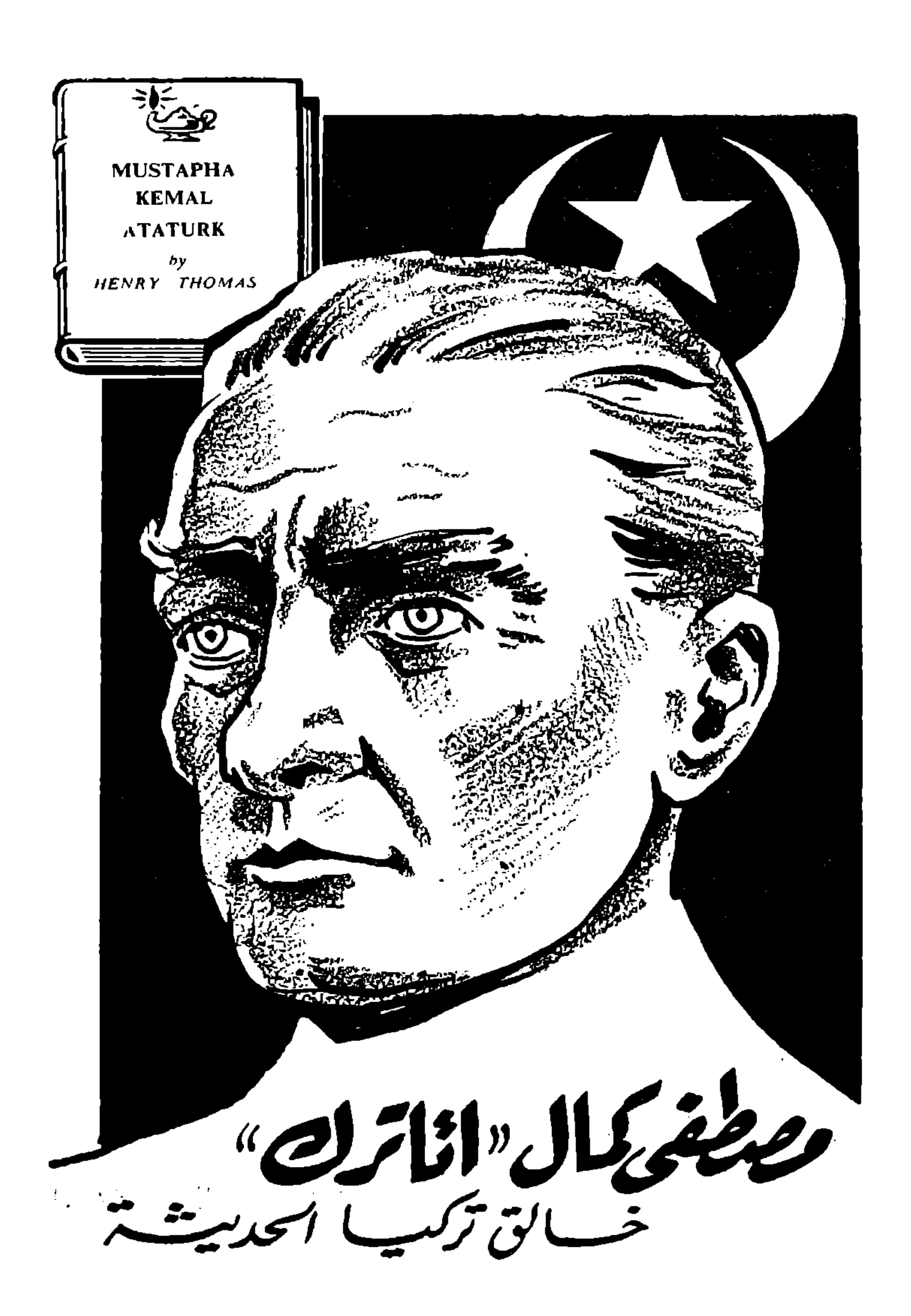
واليوم أقدم لك سيرة نبى من اعظم انبياء الوطنية ، ومصلح من اقدر قادة الشعوب ، وثائر من اعنف زعماء الثورات الاصلاحية ، هو خالق تركيا الحديثة « الغازى مصطفى كمال (اتاترك) » .. وسيرة مصطفى كمال اضخم من ان يكفيها هذا الحيز الضيق وهذه الصفحات المحدودة ، لكنى اقدم هذا الفصل للقارىء الذى لايتسع وقته او اهتمامه بالموضوع الى حد قراءة السير الطويلة التى تفصل فى مئات الصفحات ◆ اما من يبغى مطالعة سيرة « اتاترك » بالتفصيل فانى احيله على كتابى المطول « الذئب الاغبر ، مصطفى كمال » الذى نشر فى مجموعة « كتاب الهلال » فى اوائل يوليو الماضى ◆

وفى الاعداد القادمة تقرا معى باذن الله فى هذا الباب قصص حياة : بسمارك ، فردريك الاكبر ، فولتير ، جورج واشنطون ، غاندى ، نهرو ، سيمون بوليفار .. ومن العظماء فى غير السياسة: افلاطون .. لورد بيرون ، جوته ، شوبنهاور ، نيتشة ، ارسطو ، بلزاك ، ديكنز ، دستويفسكى .. الخ .

شجرة الحرية



قصص حياة انبياء الوطنية فى الشرق والغرب


MUSTAPHA
KEMAL
ATATURK
by
HENRY THOMAS
مصطفى كمال "اتاترك"
خالق تركيا الحديثة

بطولة جنونية !

◆ **غاليبولى** ! فى صيف سنة ١٩١٥ :

انقضت أيام ، وأسابيع ، وشهور ، والجنـــود الاتراك رابضون فى خنادقهم ، فى أسوأ حال من الهزال ، والقـــذارة والجوع ٠٠ الجوع الطويل القاتل الذى ينحدر بهم ببـطء قاس الى القبر ! ٠٠ والوقت قبيل الغروب ، وقد فرغ جنديان منهم من تأدية فريضة الصلاة ، فراحا يتهامسان :

ـ هل تراه هناك فى المقدمة ؟

ـ « القومندان » ؟ بالطبع أراه ٠٠ انه دائما فى خنـادق الصف الاول !

ـ انه يراقب الانجليز بمنظاره المكبر ٠٠

ـ ترى ماذا يرى ؟

ـ لعله يراهم يأكلون وجبة عشاء ساخنة شهية !

ـ خير له أن يرطب فمه بالماء وحده ، مثلنا جميعا ٠٠

ـ وانه لكذلك ، لم يبق منه غير جلد وعظام !

وسمع نباح مدفع من الجانب الانجليزى ٠٠ فارتسمت على وجهى الجنديين نظرة اجفال وفزع ، فقد كان « مصـــطفى كمال» مايزال جالسا فوق جدار الخندق الاول ، معرضا نفسه لرصاص الاعداء !

ـ اخفض رأسك ياسيدى القومندان !٠٠ بربك اختبىء داخل الخندق !

لكن القومندان هز رأسه غير مبال ، وبقى فى مكانه يراقب الاعداء بمنظار الميدان المكبر ٠٠

ودوت طلقة أخرى !٠٠ وفى هذه المرة سقطت القذيفة عند حافة الجدار الذى جلس فوقه مصطفى كمال ! لكن الرجل لم يحرك ساكنا ٠٠!

وطلقة ثالثة ٠٠ اقتربت قذيفتها عشرين ياردة أخرى ! ٠٠ ان القائد قد صار فى متناول قذائف المدافع الانجليزية !٠٠ وتعالت الصيحات : « اختبىء أيها القومندان ! بربك افعل من أجلنا ! »

لكن القائد أدار رأسه الى جنوده المذعورين وصاح بهم : « من أجلكم أنتم أنا باق هنا ٠٠ فلست أستطيع أن أكون قدوة سيئة لكم ! »

ثم أشعل سيجارة ، واستمر يراقب العدو !

وطلقة رابعة ٠٠ صحبها ضياء يعشى الابصار ٠ فى هذه المرة لابد أن قائدهم المحبوب قد أصيب !٠٠ وتبددت سحب الدخان بعد لحظات ، واذا مصطفى كمال مايزال رابضا فى مكانه ، ينفث دخان سيجارته فى هدوء !

ــ معجزة ! الله وحده الذى حفظه وأبقاه !

ــ نعم ، أنقذ حياته كى يحررنا !

الخصومة الشريفة !

◆ **أنقرة** ٠٠ فى خريف سنة ١٩٢٣ :

مصطفى كمال قد أصبح رئيس الدولة ٠٠ وصديقه الاميرالاى عثمان قد عين قائدا للحرس المنوط به حمايته ٠ وعثمان قلق على رئيسه الذى يتآمر أعداؤه على قتله ! انهم متآلفون تحت زعامة قائد خطر ٠٠ ولابد من شىء يعمل لاحباط مؤامرتهم فى مهدها !

ويدبر عثمان خطة بارعة من طراز الخطط القديمة المأثورة عن الاتراك : يدعو زعيم المؤامرة الى مأدبة عشاء ٠٠ وليمة

فاخرة حافلة بأطايب الطعام ٠٠ وفى نهاية المأدبة يقـــدم له حلوى من نوع مبتكر : حبلا غليظا يلفه حول رقبتـــه ، فيقتله خنقا !

ثم يرسل عثمان كلمة الى مصطفى كمال ينبئه فيهـا بأن كل شىء قد تم على مايرام ٠ وهو ينتظر من الرئيس أن يكافئه على اخلاصه مكافأة رائعة !٠٠ لكن هذا يرسل بدلا من ذلك قوة من الجنود كى تلقى القبض على الاميرالاى عثمان !

ـ لماذا تقبض على ؟ أمن أجل ارســال كلب مسعور الى الجحيم ؟

ـ كلا ، ان تهمتك هى قتل مواطن تركى عمـــدا ومع سبق الاصرار !

ـ لكنه كان عدوك ؟

ـ نحن فى تركيا الجديدة لانقتل أعداءنا ٠٠ وانما نقتـل عداوتهم فنجعل منهم أصدقاء !

نشأته ٠٠ وبيئته

◆ **ولد** مصطفى فى « سالونيك » سنة ١٨٨١ ٠ وكان أبوه « على رضا » محصـــلا للضرائب فى حكومة « السلطان » ٠٠ لكنه كان موضع سخرية جيرانه ، ودهشتهم ، واستهزائهم !٠٠ ففى ذلك العهد كان سلطان تركيا « أخطبوطا للفساد ذا أربعة آلاف وجه !»٠٠وكان موظفو الحكومة الآخرون أنذالا مرتشين ، يتخـــذون من التظاهر بالتقوى والتدين ستارا يخفى فسادهم وتلوث أيديهم ٠٠ بعكس على رضا الذى كان موظفا أمينـــا ، وان لم يحرص عـــلى أداء فرائض الدين !٠٠ **وقد أثارت نزاهة الرجل دهشة جميع مواطنيه ، فان وجود خادم للســلطان ـ كما كان يطلق على الموظف يومئذ ! ـ طاهر الذمة نظيف اليد ، تمر أموال الناس بين أصابعه دون أن « تلونهــا » ، كان**



« زبيدة » .. ام مصطفى كمال

« ظاهرة » غريبة عـلى المجتمع التركى فى ذلك العهد !

على أن « عـلى رضا » لم يكن ظاهرة جـديدة فحسب ، بل كان يطوى قلبه على شوق خفى الى عالم جديد أيضا ! عالم بغير سلاطين ولا مظالم ولا رشوة ! لكنه أخفى أفكاره وآماله فى قلبه وحده ، فقد كانت الثرثرة بها للجيران والاصدقاء تنطوى على خطر بالغ . كل ما استطاع الرجل أن يفعله للتخفيف من عبء أحلامه أنه كان يتحدث بشأنها أحيانا الى زوجته « زبيدة » ، التى كانت اكثر شيخوخة من أن تتقبل مثل تلك الافكار الجديدة .. أو الى ابنه مصطفى ، الذى كان أصغر سـنا من أن يفهمها و يهضمها !

◆ لكن مصطفى سوف يفهم تلك الافكار ويهضمها ، ذات يوم ! .. وكانت قد بدت على الصبى فعلا مخايل « الثـائر » الصغير ، ولو أنه فى البيت كان يبدى خضوعا لتقاليد الحيـاة التركية ، فلم يكن يبكى فى حضرة أبويه ، وكان يقبـل يد أبيه حين يدخل البيت ، ويبقى واقفا أمامه حتى يسـمح له بالجلوس ، ولا يتكلم حتى يفرغ الكبار من ابداء آرائهم أولا .. لكن ذلك كله كان مرده الى حبه واحترامه لوالديه .. أما فى المدرسة فقد كان الامر على نقيض ذلك تماما ، فلم يكن الفتى يحب معلمه « حافظ » ولا يحترمه ! وكان المعلم المذكور رجـلا مغرورا ، غبيا ، مستبدا ، يرى أن يعامل تلاميذه وفقا للمبدأ القائل : ان المعلم يأمر ، والتلميذ يطيع ! .. فكان مصطفى يتصدى له :

ـ ولكن ماذا لو كانت للتلميذ أفكار خاصة مخالفة ؟
ـ ليس مفروضا أن تكون للتلميذ آراء خاصة !

وذات يوم تشاجر مصطفى مع تلميذ من زملائه ٠ وصادف أن مر المعلم بهما أثناء الشجار ، فانتهر مصطفى بقوله : « لماذا تضرب الغلام ؟ »

ـ لانه أهانني !

وعندئذ جذب « حافظ » مصطفى من غريمه وضربه ضربا شديدا بلا رحمة ، صائحا به : « هذا هو جزاؤك الذى تستحقه ٠٠ فالعين بالعين ، والسن بالسن ! »

لكن مصطفى أجابه وصوته يرتجف غيظا : « ان الغلام الذى كنت أتشاجر معه من سنى وقوتى ، أما أنت فلست كذلك ! »

وبنظرة ملتهبة من عينيه الغبراوين الشبيهتين بعينى الذئب ، انفلت من المكان لايلوى على شيء ٠٠

ولم يعد الى تلك المدرسة مرة أخرى !

من المدرسة ٠٠ الى الحقل !

◆ **ومات** أبوه « على رضا » فى سن مبكرة ، فواجهت الام الارملة مشكلة تنشئة الصغير الثائر !٠٠ وعندئذ اقترح عليها شقيقها ، وكان فلاحا ، أن يأخذ الصبى ليعمل معه فى الحقل٠٠ وهكذا أمسك مصطفى فترة من الزمن بالمذراة والفأس ٠٠ وأعجبته حياة الفلاحة ، فلسوف يصبح ذات يوم مالكا لارضه الخاصة ، يتصرف فى أمرها كيفما شاء ٠٠ تصرف السيد الذى لايتلقى أوامر من أحد !

وصار يفلح الارض حينا ، ويرعى الماشية حينا ٠٠ فيعمل بعض الوقت ، ويشرد فى أودية التفكير بقية الوقت !

٠٠ وكم طال به التفكير وهو راقد تحت سماء مرصعة بالنجوم ،

يرقب من بعيد ماشية خاله !٠٠ ما أجمـــــل أن يكون المرء مزارعا ، ومع ذلك ، فان هذا معناه أن يعيش الانسان لنفسه فقط ٠٠ أفليس الافضل والامتع أن يعيش للآخرين ٠٠ أويموت من أجل الآخرين ؟٠٠ آه ، انها حياة الجندية التي تحقق له ذلك ، وتروقه !٠٠ انه عندئذ فقـــط يصبح شيئا مذكورا !

٠٠ وما الذى يمنعه ؟ ليس عليه سوى أن يقضى فترة الدراسة فى الاكاديمية الحربية ، ثم ينخرط فى الجيش التركى !

الاسماء تصنع الاخلاق !

◆ **ووافقت** أمه على فكرته ، مضطرة ٠٠ وفى الاكاديميـة الحربية صار مصطفى تلميذا نموذجيا ، وأحب الدقة «العلمية» التى تتميز بها دراسات تلك الكلية ، ولاسيما فى الحســاب والرياضيات ٠٠ انها علوم تعتمد على «المنطق» على الاقل ، فما أبعد اختلافها عن « كابوس » النحو والعلوم النظـــرية التى كانوا يلقنونه اياها فى مدرسة سالونيك !

حتى أستاذه ، برغم كونه نظاميا صارما ، كان شـديد الاختلاف عن مدرسه القديم فى تلك المدرسة الاولى ٠٠ فقـــد حرم عليه أن يتشاجر مع أى تلميـــذ يصغره فى الســـن أو الحجم !٠٠ كان المدرس قوى الايمان بالعراك العادل الشريف ، مثله هو ٠٠ بل كان اســـمه بدوره هو نفس اسم تلميـــذه : مصطفى !٠٠ وذات يوم تحدث اليه بشأن هذا التشـــابه بين اسميهما ، ومايسببه لكليهما من متاعب وسوء تفاهم ، واقترح عليه أن يضيف الى اسمه مقطعا آخر يميزه عن سميه : « منذ الآن سوف نطلق عليك (مصطفى كمال) ! »

ياله من اسم رائع ، مشتق من الكمال !٠٠ حسنا جدا ، فليحاول الفتى منذ الآن أن يحيا حياة تجعله مستحقا لهـــذا الاسم ، وهذا الوصف ٠٠ نعم ، فليحاول أن يغدو رجلا عظيما !

تجاهه الى الطريق الشائك !

◆ **وتخرج** مصطفى كمال من الكلية الحربية شابا شديد الاختلاف عن سواه من الشباب : رافع الرأس ، حاد العينين ، يرتدي بنطلونا ضيقا أنيقا ، ويبدو « أوربيا » فى هيأته العامة ، لايشبه فى شيء زملاءه من الضباط الاتراك المهملى الثياب ، ذوى الهياة الزرية !٠٠ وكان الشيء الوحيد فى مظهره الذى يشى بأصله «التترى» هو بروز عظام خديه ٠

لكنه رغم وجهه الشرقى كان يطوى قلبه على طموح و «قلق» مأثورين عن الغربيين ٠٠ أو قل على شوق الى أن «يمزق» ويهدم ، ثم يعيد البناء على أساس جديد ! فكانت أمه تقول وهى تهز رأسها فى يأس وأسى : « انه ولد ثائرا ! »

٠٠ وكانت الام الارملة قد تزوجت مرة أخرى من رجل غنى ، خدمة لمصطفى على وجه الخصوص ، من فرط حرصها على أن تكفل له مستقبلا مرموقا ٠ لكن مصطفى أبى أن يكون له مستقبل مرموق ، فقد رفض معونة زوج أمه : « سوف أشق مستقبلى الخاص بطريقتى الخاصة ! »

لكن هذا المستقبل الذى أراد أن يشقه لنفسه « بطريقته الخاصة » كان مصيره أن يودى به ـ فيما توسمت أمه ـ الى نهاية سيئة ، باكرة !٠٠ فقد اشترك مصطفى فى تأليف جمعية ثورية سرية باسم « الوطن » ـ وهو لفظ كان ممنوعا بأمر السلطان ! ـ فلم يلبث أن وشى به جاسوس كان قد توصل الى الانخراط فى عضوية الجمعية ٠٠ فألقى القبض على مصطفى كمال ، وزج به فى السجن !

وانقضت شهور لم يسمع عنه خلالها أى نبأ !٠٠ وعبثا حاولت أمه أن تستخلص من شتى المصادر جوابا يشفى غلتها ويطمئنها على مصير ابنها :

ـ هل مايزال مصطفى على قيد الحياة ؟

ـ من يدرى ؟!

ـ لعل أحدا قد طعنه بخنجر فى ظهره ؟

ـ ربما .. هذا أمر يحدث كثيرا للمسجونين السياسيين!

ـ أو قد يكونوا قتلوه بالسم ؟

ـ وهذا أيضا احتمال معقول .. فأنت تعلمين أساليب جواسيس السلطان !

وأخيرا تلقت « زبيدة » كلمة تنبئها بمصير ابنها : ان مصطفى مايزال حيا ، لكنه نفى من القسطنطينية !

يأبى الاخلاص للسلطان .. والطغيان !

◆ **ثم أفرج** عن مصطفى ، لعدم كفاية الادلة ، بعد أن أرهبوه بالاعتقال .. أو حسبوا ذلك !.. وبحكم أنظمة الجيش رقى الى رتبة «البكباشى» .. لكن قلبه كان لايزال يضمر الثورة على الحكم الفاسد ، فدبر مع زملاء له مؤامرة لقلب الحكومة .. وتم رسم الخطة فى منزله ، فعلمت بها أمه !.. واذ ذاك تنازع قلبها عاملان ، وتجاذبته عاطفتان : الاخلاص للسلطان ، والحب لابنها !.. فراحت تناشده : «طلق أفكارك الشاذة يامصطفى ، وكن مثل أبيك خادما مخلصا للسلطان »

لكن مصطفى أبى أن يخلص للطغيان ! كان خيرا له أن يواجه مخاطر ميدان القتال من أن ينعم بالامان فى ظل بلاط فاسد ملوث !.. وهكذا لم تكد الثورة تنشب آخر الامر ، بزعامة جماعة تركيا الفتاة ـ سنة ١٩٠٨ ـ حتى اختير مصطفى رئيسا لاركان حرب « جيش التحرير » !

لكن الثورة التى أصابت فى بدايتها قدرا من النجاح لم تلبث أن منيت بالفشل ، فان ضباط « جيش التحرير» قد استعبدتهم مطامعهم ، وتنافسهم العنيف على مراكز الصدارة ، والمناصب ذات المهام « الناعمة » والثراء العريض .. فيماعدا

مصطفى كمال ، الذى نأى بنفسه ـ أو نأى به ضميره ـ عن كل هذه « الدوامة » من المطامع والاغراض ، فهو لم يكن له غير هدف واحد : الحرية فى ظل حكومة نزيهة !

لكنه فشل فى بلوغ هدفه هذا ، فى تلك الآونة على الاقل ، فقد تحالفت لعرقلة جهوده قوى الشر ٠٠ وكانت شخصيته فى حاجة الى مزيد من النضوج ، ومزيد من التجارب، ومزيد من الوقت !٠٠ وهكذا عاد مصطفى الى تهذيب خططه ، فى الوقت الذى ارتفع فيه السلطان مرة أخرى الى قمة الطغيان !

◆ **لكن** المقادير كانت تخبىء للسلطان وراء أفق انتصاره كثيرا من المتاعب ٠٠ فقد أعلنت دول البلقان الحرب على تركيا ، واحتلت سالونيك ، ودقت أبواب القسطنطينية !٠٠ فتعالى دعاء الجماهير : « يارب ارزقنا منقذا ! ارزقنا منقذا ! »

ومن يكون المنقذ غير ٠٠ مصطفى كمال ؟

لكن السلطان تردد فترة من الوقت : كان يرى من الخطر أن يضع مثل هذه السلطة والقوة فى يد « زعيم الثوار » !٠٠ لكن ضغط الجيش البلغاري استمر فى التزايد يوما بعد يوم ، بحيث باتت تركيا معرضة لخطر الهزيمة العاجلة !٠٠ وهنا لم ير السلطان بدا من الاستعانة بكفاءة مصطفى كمال الحربية ، ولو بطريقة لولبية ، فأمر بأن يرسل اليه اخطار يطالب فيه بأن يتوجه لمقابلة وزير الخارجية ٠٠ ثم أرسل فى الوقت نفسه الى الوزير كلمة طلب اليه فيها أن يترك زائره فى غرفة الانتظار زمنا حتى يكسر من شوكته ويضعف من اعتداده بنفسه !٠٠ كان القوم فى حاجة اليه ، هذا صحيح ، ولكنه هو بدوره فى حاجة الى أن يتلقى درسا خشنا يضعه فى مكانه !

ووصل مصطفى كمال الى مكتب وزير الخارجية فى الموعد المحدد ، فأرسل بطاقته توا الى الوزير ٠٠ واذ ذاك صاح هذا فى سكرتيره بصوت سمعه مصطفى كمال : «قل له أن ينتظر !»

وجلس مصـــطفى ينتظر ٠٠ وأقبل زائر فى اثر زائر ، فكانوا جميعا يقابلون الوزير بمجرد وصولهم !٠٠ وانقضـت ساعة ، فساعتان ، فساعتان ونصف ساعة ٠٠ وهنا أرسـل مصطفي الى الوزير مرة أخرى يذكره بوجوده ، ومرة أخـرى صاح الوزير فى محدثه : « دعه ينتظر ! »

وأوشك الليل أن يهبط ، واقترب موعد اغلاق الدواوين ٠٠ وأخيرا أرسل الوزير يقول انه مستعد لان يستقبل زائره ٠ وكان مصطفى يتحدث وقتئذ مع أحد الجالسين ، فالتفت الى الرسول وصاح به : « قل للوزير أن ينتظر ! »

تحريض على العصيان !

◆ **وفشلت** الثورة ٠٠ وواصل السلطان طغيانه وحماقاته ٠٠ حتى كان عام ١٩١٤ ، حين أشعل غليوم نار الحـــرب العالمية ـ الاولى ـ وعنـــدئذ ارتكب السلطان أكبر حمـاقاته جميعا : انضم الى جانب الالمان !

أما مصطفى كمال فقد أبعده السلطان عن « مواطـــن الخطر » ، بتعيينه قائدا للقوات التركية فى القوقاز !٠٠ لكن الثائر الطموح كان لايزال يعد العدة لليوم الذى تنفض فيـه تركيا عن نفسها أكفان العبودية وتتحرر ٠٠ فطاف بالميدان من قلعة الى قلعة يحث جنوده على القتال ، لا ضـــد العدوان الخارجى فحسب ، بل وضد الطغيان الداخلى أيضـــا : « ان الشعب التركى يجب أن يخرج من الحرب قوة حرة متحدة ٠٠ فاذا فشلت الحكومة السلطانية فى بلوغ هذا الهدف ، وجب أن تأخذ حكومة ثورية مكانها ! »

وسرت فى صفوف الجنود همسات التأييـد والاعجاب : « ان الذئب الاغبر محق فى رأيه ! » ٠٠ لكن همسات أخـرى تنم عن الغضب والخوف كانت تسرى بين الجنـــود فى الوقت

نفسه : « انه يريدنا أن نتمرد ونعصى السلطان ! »

وأصدر السلطان ـ محمد السادس ـ أمرا بالقبض على مصطفى كمال ، فان للجدران دائما آذانا !٠٠ لكن الجنود أبوا أن يسلموا قائدهم المحبوب !٠٠ وفى هذه الاثناء شن الانجليز هجومهم التاريخى على غاليبولى ٠٠ فابتلع السلطان مضطرا أمره بالقبض على خصمه ، وعهد اليه بمقاتلة الاعداء ٠٠ فصمد لهم مصطفى كمال حتى كفل لبلده النصر!٠٠ ثم تلت ذلك الهدنة ، فالصلح ، ومرة أخرى خف القائد لنجدة تركيا ٠٠ فلكى تفرض انجلترا شروطها على تركيا ، أرسلت سفينة تحمل طابورين من الجنود الى (سمسون) ، المنفذ التركى الوحيد الى البحر الاسود ٠ وكان قائد القوات التركية فى (سمسون) هو الاميرالاى رفعت ، ولم تكن «قواته» غير حفنة ضئيلة من الرجال ، لايزيد عددهم عن بضع مئات !٠٠ فلما استدعى القائد الانجليزى خصمه رفعت الى مقر قيادته ، ذهب هذا طائعا ٠٠ وهناك أصغى صامتا الى القائد وهو يتشدق مهددا بفيلقيه من الجنود الشجعان !٠٠ حتى فرغ الانجليزى من كلامه ، وعندئذ ابتسم رفعت ابتسامة ساخرة وأشار الى النافذة ٠٠ **فلم يكد القائد ينظر الى حيث أشار حتى أوشكت عيناه أن تقفزا من محجريهما : كان يمر فى الخارج طابور فى اثر طابور من الجنود الاتراك ، الشبان ، وقد ارتدوا ستراتهم العسكرية الانيقة وحملوا أسلحتهم الجديدة اللامعة !٠٠ ياللهول ! أما لهذه الطوابير من آخر ؟**

وابتسم رفعت وطوابير جنوده تتتابع فى الخارج بلا انقطاع : « والآن ، أما تزال تعتزم أن تحتل (سمسون) بطابوريك الهزيلين وحدهما ؟ »

فهتف القائد الانجليزى محنقا : « فليحتل (سمسون) الشيطان ! » ٠٠ وفى تلك الليلة ذاتها أبحر القائد مع جنوده

جميعا ، عائدين من حيث أتوا !!

وعلى أثر توقيع معاهدة الصلح سأل صحفى الاميرالاى رفعت : « كيف استطعت أن تستعرض ذلك الجيش الضخم أمام القائد الانجليزى ؟ »

فكان جوابه : « انها كانت فكرة مصطفى كمال : لم يكن الطابور يتألف الا من عدد ضئيل من الجنود ، لكننا أمرناهم بأن يلتفوا حول أحد المنازل القريبة ثم يعودوا فينضموا الى المؤخرة ويواصلون المرور أمام النافذة !٠٠ وهكذا لم يكن مارآه القائد الانجليزى غير نفس الطابور الواحد من الجنود يتكرر ويمر ثم يعود الى المرور أمامنامن جديد كأنه بقية الطابور الطويل المزعوم !

تطورات سريعة ٠٠

◆ **وتكتل** الجيش التركى بأسره ، بل والشعب التركى كله ، خلف مصطفى كمال !٠٠ وبلغ بالسلطان الذعر من تفاقم التمرد والعصيان مبلغا جعله يؤثر البقاء « سجينا » فى قصره بالقسطنطينية لايبرحه قط !٠٠ **واذا بالمدينة المطلة على البوسفور تصبح عاصمة بلا دولة ، فقد أسس مصطفى كمال العاصمة التركية الجديدة فى مدينة أنقرة !٠٠ بعد أن حول أكواخها المقامة من القش والخوص الى أبراج من الجرانيت والرخام !٠٠ واذا أنقرة تصبح من أجمل عواصم الشرق قاطبة ٠٠!**

وفجأة أوقف الغزو اليونانى حركة بناء تركيا الجديدة ! كان اليونان يتوقون منذ بعيد الى مد سلطانهم وحدودهم الى هضبة الاناضول ، فرأوا الآن فى انقسام تركيا السياسى فرصتهم الذهبية المنشودة : فشنوا من « ازمير » هجوما قوامه مائتا ألف جندى من خيرة جنودهم ، ضد فلول القوات التركية المضعضعة التى أنهكها القتال الطويل والفساد المستشرى !

واكتسح الغزاة جيش الاتراك ٠٠ ودعوا مصطفى كمال الى التفاوض معهم بشأن شروط الصلح !٠٠ لكن هـذا أجابهم فى حزم وتصميم : « لامفاوضة !٠٠ سـوف نظفر بحريتنا أو نموت ! »

ثم عكف فى حماس محموم على انشاء جيش جديد ٠٠ جيش مؤلف من رجال حفاة الاقدام ، مهلهلى الثياب ، يحملون فى أيديهم بنادق قديمة لاتكاد تصلح للقتال ٠٠ لكنهم يحملون فى الوقت نفسه فى صدورهم سلاحا ماضيا بتارا ، هو سلاح العزم الصادق والتصميم الذى لايقهر !

وفى تلك الظروف القاسية المفجعة ، ساق الغزاة المتفوقون فى العدد والعدة جيش خصومهم الى سفوح الجبل الاسود ، تمهيدا للمعركة الحاسمة !٠٠ وقبيل نشوب هذه المعركة بأيام ، سقط مصطفى كمال من فوق جواده فكسر أحد أضلاعه ٠٠ فأمره الاطباء بأن يخلد الى الراحة فى أحد مستشفيات أنقرة !

وشن اليونان هجومهم المنتظر !٠٠ وأخذ الاتراك يتراجعون فى بطء ، وعناد ، شبرا شبرا ٠ كانت خسائرهم فادحة ، بحيث لم تكن ابادتهم عن آخرهم غير « مسألة وقت» !

ولكن ، فجأة ٠٠ تقع المعجزة ! فان قائدهم المكسور ، الشاحب ، المنهوك ، يندفع بجواده وسط صفوفهم وقد عض شفتيه بأسنانه من فرط الالم الذى يعانيه !٠٠ فتسرى همساتهم مسرى البرق الخاطف : « تباركت يارب ٠٠ لقد عاد القائد ! »

ولكن ، صه ! ان القائد يتكلم ٠٠ ولكن فى صوت كالرعد ، ليس فيه أدنى أثر لمرض أو ألم : « هاكم وحى هابط من السماء ! فى هذه البقعة ، حيث كسر ضلعى ، سوف نقصم ظهر العدو ! »

وبهذه الروح التى تهزأ بالصعاب ، ورغم أن ضلع القائد المكسور كان قد اخترق احدى رئتيه ، فان جنوده

اندفعوا يقاتلون بحمية واستماتة ٠٠ وهل يمكن الا أن يكسبوا المعركة ؟٠٠ واستمر القتال سجالا بين الفريقين أربعين يوما كاملة !٠٠ وأخيرا تلقى مصطفى كمال فى مقرقيادته كلمة من مرؤوسيه جاء فيها : « ان جيشنا قد احتل «شال داغ »

وكانت «شال داغ» هى القمة الستراتيجية للجبل الاسود ٠٠ وبذلك قهر الاتراك العدو !

وهكذا تكررت على سفوح ذلك التل المبارك قصة النبى داود وخصمه الجبار « جوليات » ! وكانت مكافأة داود الجديد من قومه على الشرف الرائع الذى أسبغه عليهم أنهم أطلقوا عليه منذ ذلك اليوم « كمال أتاترك » ، أى «كمال ، أبو الاتراك»!

خلع السلطان !

◆ **وبلغت** « الثورة » الاصلاحية التركية أوجها بخلع السلطان «وحيد الدين» آخر سلاطين آل عثمان ، وفراره من البلاد على ظهر بارجة انجليزية ، نجاة بحياته ٠٠ وبذلك صار مصطفى كمال سيد تركيا الاعلى !

وقد ناشده مواطنوه على الاثر أن يقبل تنصيبه سلطانا على تركيا مكان السلطان المخلوع ، وألحوا عليه فى هذا الشأن راجين متوسلين ٠٠ لكنه رفض الفكرة رفضا قاطعا ، وأعلن تصريحه المشهور الذى قال فيه : « ان عهد السلطنة فى بلادنا قد انقضى الى غير رجعة ٠٠ ومنذ اليوم صرنا نتنفس فى ظل « الجمهورية » التركية ! »

وانتخبوه رئيسا للجمهورية ٠٠ واذ كان الرجل بطبعه محبا للسلام فقد خلع سترته العسكرية مرحبا وعكف على الاضطلاع برسالته الجديدة : النهوض بوطنه واعادة بنائه من جديد ! والتزم فى علاقات تركيا مع العالم الخارجى سياسة مؤداها : «فلتعش كل دولة وتدع الدول الاخرى تعيش بدورها !»

٠٠ انه قد أراد لتركيا الجديدة أن تغدو دولة عظيمة ، عظيمة الى حد تناسى أطماعها القديمة !٠٠ وقوية بحيث تقاوم الضغط الخارجى ٠٠ تلك كانت « رسالة » هذا الرسول الشرقى الجديد الذى فاق جميع رسل القرن العشرين !

المرأة التى اقتحمت حياته !

◆ **لكن** الرسول الذى آمن بأنه بعث ليبنى مجد تركيا ، كان فى قرارة نفسه انسانا ٠٠ فلما وصل الى قمة السلطان ، وذروة المسئولية ، تلفت حواليه يبحث عن شىء ٠٠ ينقصه ؟

وكان الشىء الذى ينقصه : الزوجة ! الزوجة التى تبارك كفاحه ، وتشاركه انتصاراته ٠٠ وهزائمه !

وكان قد عاش حياته السابقة يلهو بالنساء ، بعقلية أمراء الشرق القدامى ، فينال متعته منهن ٠٠ ثم ينبذهن !٠٠ حتى اقتحمت عليه مكتبه ذات يوم امرأة ٠٠ امرأة تختلف عن جميع من عرف من النساء !٠٠ امرأة تبدو عليها الشخصية القوية ، والاعتداد بالنفس ، والخلق الاصيل ٠٠ وهو الذى ألف من « جواريه » السابقات : التهافت ، والاستسلام ، والضعف الخلقى ٠٠!

كان ذلك فى ضحى يوم حار من أيام سبتمبر سنة ١٩٢٢ ٠٠ وكانت نوافذ الحجرة مفتوحة ، وصدى المذابح التى تجرى فى شوارع العاصمة بين الاتراك وأعدائهم اليونانيين تصك سمعه بشدة وتضاعف من مسئولياته !٠٠ فنظر الى المرأة التى وقفت أمامه ثابتة الجنان ، قوية النظرات ، يسألها عن طلبتها ؟

وكان جوابها أعجب من جرأتها فى اقتحام مكتبه ، قالت انها ابنة أحد أثرياء « ازمير » ، وانها تنتهز فرصة اقامة والديها في باريس لتعرض عليه أن ينتقل وحاشيته من الدار

غير المريحة التى يتخذها مقرا لقيادته ، الى قصر أبيها القائم فوق تلال «بورنوفو» ، حيث الخدم والحشم ووسائل الراحة كاملة ٠٠ !

الغازى ٠٠ يقع أسيرا !

وقبل «الغازى» ضيافتها شاكرا ممتنا ٠٠ وانتقل ومعاونوه الى الدار الجديدة المحاطة بالحدائق والكروم ، والمطلة على ازمير ومينائها ٠٠ وقد أعجبه فى الدار كل شىء ، وبخاصة ربتها ! ٠٠ كانت الفتاة « ادارية » حازمة وقديرة ، وكانت فى الوقت نفسه أنثى ناعمة رقيقة ، فجذبه سحرها و ٠٠ اشتهاها ! ٠٠ **بل لم يمض يومان حتى كان قد « أحبها » حبا جنونيا عنيفا ! كان اسمها « لطيفة » ، وكانت لطيفة بحق ٠٠ بشعرها الفاحم ، وعينيها السوداوين الضاحكتين ، وصوتها الناعم وهى تتكلم التركية ذات الجرس الموسيقى !**

واستجابت لطيفة لحبه ، فأحبته بدورها حبا صريحا عارما ٠ أو ليس هو بطل وطنها ومنقذه ؟ ٠ ٠ ولم يضيع الغازى وقتا فغازلها ، غزله الضارى الجرىء الذى ألفه مع النساء ! ٠٠ واستكانت هى لعناقه فى نعومة ودلال ، لكنها لم تسلمه جسدها قط ٠ كانت تروغ منه دائما فى الوقت المناسب تاركة اياه يتحرق شوقا اليها !

وأدرك انه بازاء امرأة غير من عرف ٠٠ امرأة تعلمت فى باريس وأشربت الافكار الغربية فصارت قديرة على أن يصارع عقلها عقله وتسمو باهتمامه على مطالب الجنس العابرة ! لكنها مع ذلك ناعمة عطرة ، تستثير رغبته وتلهب دمه الى درجة الجنون ٠٠ ومن ثم بات يتقلب على نار وجمر ٠ انه لاول مرة فى حياته قد أحب ٠٠ أحب حبا حقيقيا !

وذات ليلة وقف مصطفى ولطيفة فى الشرفة العليا

يطلان على التلال المشرفة على البحر ، وعلى غابات الزيتـــون والكروم . وتحتهما رقدت مدينة ازمير ، والحـرائق المشتعلة فى الاحياء اليونانية تلعق المنازل واحدا بعد الآخر .. بينما تصاعدت من الحديقة نسمات دافئة حملت معها رائحة الليل ، وأريج الورد والياسمين .. فجذب مصطفى لطيفة الى صـدره وقبلها .. غطى وجهها بالقبلات .. **وهم بأن يحملها على ذراعيه الى مخدعه ، حيث كان الخادم قد أعد فراشه !.. لكنها راغت من بين ذراعيه فى حزم وابتدرته : « انك لاتفهمنى : انى أحبك ، لكنى لن أكون خليلتك .. فان أردتنى ، فلتتزوجنى ! »**

وقد كان .. فاجأها ذات يوم باعتزامه الزواج منهـــا فورا ، بغير احتفال !.. وبالفعل دفعها الى الطريق دفعـــا ، واستوقف أول شيخ معمم كان فى طريقه الى المسجد ، وطلب اليه أن يزوجهما فورا .. فى الشارع !

ولم يخبر أحدا بماحدث ، بل سافر ولطيفة معه كى يتفقد الاقاليم التى دمرتها الحروب . وحين ظهرت الى جانبــــه فى السيارة أثناء استعراض رسمى علم أصحابه أن الغـازى قد اتخذ لنفسه زوجة !.. ويومئذ سخر بعضهم هازئين ، وتنبـأ آخرون بأن الزواج لن يعمر طويلا .. واستنتج فريق ثالث من زواجه هذا انه يرغب فى أن يصبح ملكا أوسلطانا ويؤسس أسرة تتوارث الملك !.. أما أمه وأهالى الريف التركى البسطاء فقد هللوا فرحا وابتهاجا بهذا الزواج ...

الوطن .. أم المرأة ؟

◆ **لكن** الرجل الذى كرس قلبه للمجموع ، لم يســـتطع أن يكرس قلبه لواحدة .. وهكذا فشلت التجـــربة ! لم تكد تنقضى نشوة الحب الاولى حتى انطفأت عاطفته نحـو لطيفة ، وأعان على انطفائها تضارب طباعهما واصطدام شخصيتيهمـــا

القويتين ، سيماوانهما لم يرزقا نسلا يلين العلاقة بينهما ويقوى من رابطتهما ٠٠ فازداد شجارهما حتى ملأ البيت ضجيجا !٠٠وأخيرا قررمصطفى كمال أن يتخلص من لطيفة ، فكتب وثيقة الطلاق ووقعها ، ثم أرسل اخطارا بذلك الى الجمعية الوطنية والصحف والسفارات الاجنبية ٠٠ بعد أن أمر لطيفة بمغادرة البيت والمدينة فورا !



لطيفة ٠٠ فى الزى الشرقى

حرب على الفساد ٠٠

◆ **وتنفس** « أتاترك » الصعداء ! أحس أنه قد تخلص من قيد ثقيل ، واسترد حريته كى يواصل نشاطه الاصلاحى بغير عائق٠٠وكان برنامجه يتألف من شطرين : الهدم ٠٠ والبناء !

أما الهدم ـ هدم الفساد ـ فقد استعان عليه بالغاء حصانة النواب من الاعتقال ، وفرض الرقابة الصارمة على الصحف ، وتأليف محاكم خاصة أطلق عليها « محاكم الاستقلال » مهمتها أن تحكم بالموت فورا على المعارضين والمنتقدين ، دون شفقة ولا رحمة ٠٠ **فقد كان يؤمن بأن نهوض تركيا الجديدة رسالة فى عنقه ، وبأن الايقاع به قضاء على فرصة البلاد وأملها فى بلوغ قمة مجدها ، ولا وسيلة يأمن معها شر خصومه غير أن يوقع بهم قبل أن يوقعوا به !٠٠ وهكذا نشر فى أنحاء البلاد حكم ارهاب دموى ، وحين كان القضاة يظهرون ترددا أوضعفا كان الغازى يهددهم بأقسى العقاب !**٠٠ ثم انتهز فرصة ضبط ثلاثة أشخاص كانوا قد

أعدوا قنبلة لالقائها على موكبه ، فقبض على جميع زعماء المعارضة وأعوانهم وحشدهم فى قفص الاتهام ، وألف لمحاكمتهم محكمة من أتباعه الفدائيين حكمت على أكثرهم بالشنق ·· ثم صدق الغازى على الحكم ـ وكان بينهم نفر من أصدقائه القدامى ـ دون أن تختلج عضلة واحدة من عضلات وجهه !·· وبعد أن نفذ فيهم الحكم فى الليلة ذاتها أقام فى المساء حفلة راقصة رسمية بقصر رياسة الجمهورية دعا اليها ـ بالتليفون ـ جميع البارزين فى العاصمة من الاتراك والسفراء الاجانب والوزراء والقضاة وأجمل سيدات أنقرة !

◆ **واذ** فرغ مصطفى كمال من عملية هدم الفساد ، شرع فى عملية البناء ، بناء الدولة الجديدة ·· فوضع خطة للنهوض بتركيا من دولة تعيش فى القرون الوسطى الى دولة تسير فى ركب الدول المتمدينة الحديثة ، وتأخذ بأفضل مافى الحضارات الاخرى ، الى جانب الاحتفاظ بالصالح من حضارتها الخاصة · وأدرك أنه لكى ينجح فى مهمته ، عليه أن يستنهض همم الشعب نفسه ، ويدربه ويقوده ، بروح المستبد المصلح ·· أو ناظر المدرسة مع تلاميذه الصغار !·· وناظر المدرسة اذا لم يفلح فى اقناع التلاميذ استخدم معهم القوة ، مؤمنا بأنها لخيرهم !·· **وهكذا لم يفرغ أتاترك من الغاء السلطنة ، واعلان الجمهورية ، ثم الغاء الخلافة ، وفصل الدين عن الدولة ، وازالة كل أثر للامبراطورية العثمانية ·· حتى واجه مهمته الكبرى : مهمة تغيير عقلية الشعب بأسره : تغيير أفكار الناس القديمة ، وعاداتهم ، وأزيائهم ، وأساليب حياتهم ، وأدق دقائق نشأتهم الشرقية وتقاليد ماضيهم !** وكانت هذه المهمة أصعب بكثير من اعادة بناء الكيان السياسى للدولة ، أو على حد تعبيره : « لقد قهرت العدو ، وقهرت الدولة ، فهل أستطيع أن أقهر الشعب ؟ »

حياة مصطفى كمال فى سطور

١٨٨١ ـ ولد فى سالونيك

١٨٩٠ ـ فقد والده

١٨٩٨ ـ التحق بالكلية الحربية

١٩٠٤ ـ حصل على رتبة يوزباشى فى الجيش التركى .. وضبط يمارس نشاطا ثوريا ، فزج به فى السجن .

١٩٠٥ ـ افرج عنه

١٩٠٨ ـ اضطلع بدور ايجابى فى ثورة « تركيا الفتاة »

١٩١٠ ـ درس فن المناورات العسكرية فى فرنسا

١٩١٥ ـ دافع عن الدردنيل فى وجه قوات الانجليز

١٩٢٢ ـ طرد جيش الغزاة اليونانيين من الاناضول .. وشرع فى بناء تركيا الحديثة

١٩٢٣ ـ اسس الجمهورية التركية

١٩٢٨ ـ استبدل الحروف العربية باللاتينية

١٩٢٨ ـ ١٩٣٨ : واصل اصلاحاته

١٩٣٨ ـ لفظ انفاسه الاخيرة

معركة الطربوش !

◆ **وكان** من رأيه وجـوب اعتناق اتجاهات المدنيـة « الدولية » ، سواء فى المظهـر أوالتفكير .. فبدأ بالغـاء الطربوش ، «رمز الجهل والعبودية للماضى » ، فلما لم يستجب الشعب للفكرة أصـدر «قانونا» يعاقب على ارتدائه ، وانتشر رجال البوليس فى الشوارع «يصادرون» الطرابيش من فوق رؤوس المارة ! وحين نادى بعض رجال الدين بأن هذه «البدعة » مخالفة لتعاليم الاسلام أرسل «محاكم الاستقلال » الى الاقاليم

لتحكم على مئات من «المتمردين» بالشنق والرمى بالرصاص والسجن ، ايمانا منه بأن « الثورات يجب أن تبنى على الدم ، والا انهارت ولم تدم ! » ·· وبالفعل توقفت على أثر ذلك حركة المقاومة ، وسارع كل تركى الى شراء القبعة وارتدائها !

ثم استدار مصطفى كمال الى الفئات التى كانت عالة على المجتمع ــ وهم «الدراويش» ، والسحرة «الفقراء» والمشعوذون ــ فأغلق تكاياهم وصادر ثرواتهم ، كى يعيشوا من عرق جبينهم ، أو يموتوا جوعا اذا آثروا الكسل ·· شأنهم شأن جميع المواطنين !

ثم أخذ على عاتقه مهمة أخرى أعسر من كل سابقاتها : وهى تحرير المرأة ، من حجاب الوجه وحجاب الفكر !·· وقاد الحملة بنفسه ، فأصدر القوانين التى تمنع تعدد الزوجات وتلغى نظام « الحريم » ، وسرعان ما استجابت النساء للنظام الجديد ، فخرجن من بيوتهن سافرات ، متحررات ·· وغدت تركيا أرض المساحيق والاصباغ ، والضحك ، والمرح ·· والامل ·· فقد تبدلت الاوضاع فيها من حال الى حال ، وتحققت المساواة التامة ، بوجهيها : مساواة النساء أمام الرجال ·· ومساواة الرجال أمام القانون !

زحف منظم الى الحرية !

◆ **لكن** ذلك كله لم يكن الا « بداية » اصلاحات مصطفى كمال ·· البداية التى انتقل منها الى مابعدها : فألغى القوانين الشرعية القديمة ، واستدعى الخبراء الاجانب كى يسنوا للبلاد بدلا منها قوانين مقتبسة من تشريعات سويسرا وألمانيا وايطاليا وسواها ·· وعقد مواثيق الصداقة مع الدول الاجنبية المختلفة ·· واستبدل حروف الكتابة العربية بالحروف اللاتينية ·· وأنشأ المطارات ، والموانىء ، والطرق ، والسكك

الحديدية ·· وجفف المستنقعات والبرك الراكدة التى تتكاثر فيهاجراثيم الامراض ·· ومد أنابيب المياه لتروى الصحراء ·· كما أدخل على التعليم نظما جـــديدة لتروى القلب البشرى بالمعارف الانسانية ، وتهذب النفوس والاخلاق ··

وماذا كان هدفه من كل ذلك ؟

« زحف منظم الى الحرية ·· شعاره : تركيا للاتراك ·· والصداقة للعالم أجمع ! »

وحين اطمأن الى نجاح رسالته ، وشهدتركيا وقدأصبحت احدى دول العالم التى يحسب لها حســـاب ، رقد رقدته الاخيرة ·· واستراح

ولم يكن قد عاش فى أرض المتاعب غير ســبعة وخمسين عاما فقط !

لكنها أعوام تساوى ـ فى حساب الشعوب ، وميزان الحسنات والسيئات ـ مئات الاعوام !

حوافز الحياة



النفس والجنس .. والمجتمع ..

عزيزى القارىء ...

قرات معى فى الاعداد السابقة من كتابى ـ فى هذا الباب ـ الكتب النفسية التالية : ((كيف تصارح اولادك وبناتك بالحقائق الجنسية)) للعالم النفسانى ماكدونالد لاديل .. ثم ((طريق السعادة الزوجية)) لفردريك برينك .. و((مركب النقص ـ اسبابه وعلاجه وامثلته عند العظماء)) تأليف و.ج. ماكبرايد .. و((حواء الجديدة ـ مرشد المراة العصرية المستنيرة الى سعادتها ، قبل الزواج وبعده)) للدكتور كورتنى بيل .. و ((كيف تقهر الخجل)) تأليف س. هـ. تيار .. ثم ((كيف تقهر القلق وتستمتع بالحياة)) تأليف جون كنيدى .

وفى العددين الماضيين قدمت لك من فنون الحياة التى شرحها الاديب العالمى اندريه موروا : فن الحب ، ثم فن الزواج .. واليوم اقدم لك فنا ثالثا ، هو فن الحياة العائلية .. يليه فى الاعداد القادمة باذن الله : فن الصداقة .. فن العمل .. فن السعادة .. فن الزعامة .. فن الشيخوخة .. الخ



اندريه موروا

فن الحياة العائلية

الحب المنزه عن الغرض

◆ **لعل** أصدق ماقيل فى وصف الحياة العائلية قول الشاعر الملهم (بول فاليرى) : « فى كل عائلة يكمن نوع من «الضجر» الخفى المكتوم الذى يدفع أفرادها الى الفرار من جو بيتهم والعيش على هواهم !٠٠ كما توجد أيضا بين أفراد كل عائلة « قــوة » تقليدية عجيبة تقرب بينهم ، وهذه القوة تظهر على حقيقتها حين يلتئم شمل أفراد الاسرة حول مائدة العشاء فيحســون أنفسهم أحرارا وينطلقون على سجيتهم ! »

وهذا القول يعجبنى لانه يفصح عن نبل الحياة العائلية ، وعن أسباب تعاستها فى الوقت نفسه !٠٠ ونحن نجد فى كل عائلة تقريبا هذين الشعورين المتناقضين : الضـــجر النفسى ، والرابطة المشتركة ٠ فمن منا لاتعيد عبارة «فاليرى» هــــذه الى وعيه ذكرى اجتماع لطيف من الاجتماعات العائلية ؟ ومن منا لم تصدمه الحياة يوما ما بصدمة وجد الملاذ والمهــرب منها فى جو بيت عائلى هادىء فى الريف ؟٠٠

الواقع أن المحبة العائلية كنز لاينبغي التفريط فيــه : فان صديقك يحبك من أجل ذكائك ، وعشيقتك تحبك من أجل جاذبيتك ٠٠ أماحب عائلتك لك فهو الحب المجــرد من السبب والغاية ، المنزه عن الغرض !٠٠ فأنت قد ولدت فيها ، وخلقت من لحمها ودمها !٠٠

ومع ذلك فان عائلتك قد تثــــيرك وتخنقك أكثر من أية جماعة أخرى على ظهر البسيطة !٠٠ وأى انسان لم يقل لنفسه ذات يوم ، فى مرحلة من مراحل شبابه : « انى أختنق هنــا ، ولست أستطيع العيش مع عائلتى بعد الآن ٠٠ انهم لايفهموننى وأنا لاأستطيع أن أفهم !»٠٠؟

◆ **ومع** ذلك ، فأى انسان حين يجد نفسه مهملا وسط الغرباء ، أو محتقرا ، لايحس بحنين للعودة الى العائلة التى تعتبره قرة عينها ومحط آمالها ؟٠٠ **لقد كتبت الاديبة «كاترين مانسفيلد» فى مفكرتها ، وهى فى سن الثامنة عشرة ، أنها تجد من واجبها أن تهجر عائلتها لان عقلها لايستطيع أن ينضج فى وسطها النضج الذى ترجوه !٠٠ لكنها فيمابعد ، وهى بعيدة عن أهلها ، مريضة وسط قوم غرباء ، كتبت فى نفس المفكرة تعبر عن حنينها الى أيام طفولتها ، حين كانت جدتها تحمل اليها فى فراشها آنية اللبن الساخن والخبز وتقول لها ـ بصوتها الناعم الحنون : « اليك ياحبيبتى ٠٠ »** وهكذا أحست كاترين فى محنتها أن مجرد الامل فى أن تجد نفسها مرة أخرى وسط الاسرة التى احتقرتها وهجرتها ذات يوم ، يدخل على نفسها بهجة وسعادة لاتوصفان ٠٠!

والحقيقة التى لامرية فيها أن العائلة ـ مثل الزواج ـ هى من الانظمة التى يرجع تعقدها الى فرط أهميتها !٠٠ فهى ليست نظاما نظريا من خلق مشرع أوحاكم ، وانما هى نتيجة طبيعية لانقسام البشر الى جنسين ، ولعجز الطفل عن حماية نفسه ، وللحب الاموى الذى يعوض هذا العجز ، والحب الابوى الذى هو أكثر صناعة وتكلفا من حب الام ، وأحدث عهدا منه فى تاريخ البشرية ، والذى فيه فى الواقع نصيب من الحب للام نفسها ـ أى للزوجة ـ مساو لما فيه من الحب للطفل !

أثر الغرائز فى الروابط العائلية ٠٠

◆ **ويصح** فى صدد الروابط العائلية عموما ماقلناه فى صدد الروابط بين الزوجين بصفة خاصة : وهو أن هذه الروابط العائلية جميعا تستمد قوتها وسندها من « الغرائز » الطبيعية ٠٠ فالعائلة هى جماعة طبيعية أوغريزية حولتها حماية القوانين

والمعتقدات الى جماعة لها كيان دائم ٠٠ فواجبات الآباء نحو أولادهم ، والاولاد نحو آبائهم ، وشرعية الوراثة ٠٠ الى غير ذلك من الروابط العائلية ، تدور حول شعور طبيعي للغاية ، حتى ليوجد فى كثير من أنواع الحيوان ، هوغريزة الامومة !

◆ **فالشعور** الذى تحسه الام نحو طفلها شعور نقيوجميل، ليس فى ذلك خلاف ٠٠ فالام فى نظر طفلها ملاك طاهر ، قوى ، صائب الرأى دائما ، يحميه ويدفع عنه الاذى والالم ، ويمده بأسباب الحياة والمتعة والغذاء ٠٠ وبالاختصار فهى ملجأه وملاذه الاعلى ، الذى يجد فى كنفه الدفء ، والراحة ، والصبر ، والحب ٠٠ والطفل فى نظر أمه ـ من الناحية الاخرى ـ هو آلهها المعبود ، الذى « تعبده » باذن من الله وتصريح من الدين !٠٠ وليس حب الام لابنها ، وتفانيها فى العناية به ، بالفضل الذى يحسب لها أو يحمد ٠٠ لانه فى حقيقته لون من الانانية !٠٠ فهى تضحى بنفسها راضية فى سبيل طفلها ، لان طفلها جزء منها ، من لحمها ودمها ٠٠ وقد تعلم المتوحشون كيف يحبون قبل أن يوجد أى مجتمع بشرى ، وذلك بفضل الحب الجنسى ٠٠ والحب الاموى !

الحب الجسدى ٠٠ والحب الاموى

وإذاكان الحب الجنسى مبنيا على غريزة الجسد أو غريزة حفظ الذات ، فان الحب الاموى ـ على العكس ـ مبنى على انكار الذات ، وهو أنقى صور الحب الغريزى ٠٠ **بل ان حب المرأة للرجل هو نفسه قد يمتزج بشىء من الحب الاموى ، كما فى حب الاديبة « جورج صاند » للشاعر «ألفريد دى موسيه» ، أوحبها للموسيقى «شوبان» ٠٠ فقد كان حبها لكليهما أمويا أكثر منه جسديا !٠٠ ولم تكن حالتها بالشاذة أوالنادرة ، فمن قبلها أحب « جان جاك روسو » مدام دى فارين ، التى كانت**

تكبره في السن ، وأطلق عليها « أماه » ·· ورغم أنهـا كانت خليلته فانها كانت تعامله بحنان الام وحدبها وعنايتهـــا ·· وتكررت القصة ذاتها بين « بلزاك » الشاب وعشيقته « مدام دى بيرنى » ··

ومن هذه الامثلة ـ وسواها ـ يتضح امكان نشـــوء علاقات عاطفية وجنسية بين شبان وبين نساء ناضجات يكبرنهم فى السن ، وهى علاقات يكون قوامها الحب العنيف من جانب الشاب ، أما من جانب المرأة فلايزيد الامر عن كونه خليطاهزيلا من الحب الجنسى والاموى ·· فهذه الفئة من النساء المتقدمات فى السن لاتستطيع الواحدة منهن أن تحب الا اذا أحســـت بشعور من « الحماية » لشخص أضعف منها ، يوقظ فيهـــا أعمق غرائزها الدفينة ، التى هى غريزة الامومة !·· فهى تحب الشخص القوى فى مظهره ، الضعيف فى حقيقته ونفســيته ! ·· وفى قصتى برناردشو المعروفتين : « الســلاح والرجل » و « كانديدا » أمثلة أخرى توضح هذه الحقيقة الازلية ·

حب الام لطفلها ·· وكيف ينبغى أن يكون !

◆ **وحب** الام لطفلها هو أول صورة يتعلم منها الطفـل فى سنواته الباكرة كيف يكون الحب المثالى المضحى ·· فهــو اذا أسعده الحظ بأم جديرة بهذا الوصف يفتح عينيه أول مايفتحهما على أمثلة تريه أنه ليس فى دنيا معادية له بل موالية ، يستطيع أن يجد فيها العطف والمحبة ·· وان هناك أناسا جديرين بالثقة المطلقة الساذجة ، أناسا يعطــون كل شىء ولايطلبــون فى مقابله أى شىء !

وانها لبداية رائعة أن يبدأ الطفل حيــاته فى مثل هذا الجو ، فهذا من شأنه أن يجعله يعيش حياته كلها متفائلا ينظر للدنيا بمنظار بهيج ولايفقد ايمانه بها ، مهما تكاثرت عليـــه

الاحزان أوصادفه الشقاء وسوء الطالع ٠٠٠ بعكس الطفل الذى ينشأ فى كنف أم حمقاء غبية ظالمة ، فانه يشب رجلا متشائما سريع اليأس ملء النفس بالعقد التى تفسد سعادته وتتلف حياته !

وقد عرفت فتيات كن أثناء فترة مراهقتهن فى نزاع مستمر مع أمهاتهن ، فلما نضجن صرن زوجات وأمهات ممرورات النفس ، يتحدين المجتمع ، ويعتقدن اعتقادا جازما أن جميع نساء الارض الاخريات يناصبنهن العداء ٠٠ !

ومن ناحية أخرى ينبغى على الآم التى يشاء لها طيشها أن تنحرف عن الطريق المستقيم ، أن تصون مباذلها عن بصر وادراك أطفالها ، الذين لو صدم مسلك أمهم نفوسهم الغضة المرهفة الاحساس ، لرسب فى أعماقهم « نفور » أوفى القليل « عجز » عن احترام هذه الام ٠٠ الامر الذى يجعلهم حين يكبرون ويصيرون آباء أوأمهات ، يعجزون بدورهم عن حب أطفالهم الحب المثالى المنشود !

حب الرجل لامه قد ينقلب شذوذا !

◆ **على** أن مغالاة الام ـ من الناحية الاخرى ـ فى اغداق حنانها وعواطفها على طفلها ، قد تؤثر فيه تأثيرا سيئا بأن توقظ فيه غرائز وعواطف لاتناسب سنه الباكرة ٠٠ فتتسلل الى عاطفة المشروعة نحو أمه ، واحترامه المفروض لها ، مشاعر « حسية » خطرة وغير مشروعة ٠٠ دون أن يدرى ! **وقد أبدع فى وصف هذا الموقف الشائك الروائى الانجليزى « د ٠ هـ ٠ لورنس » الذى كان هو نفسه فريسة له ، والذى صور لنا فى قصته الخالدة « أبناء وعشاق » حالة شاب أنشأته أمه على المغالاة فى حبها ، بحيث أعجزه حبه لها عن أن يحب غيرها من النساء بعد أن كبر ٠٠ !**

ولاجدال فى أن الحالات التى أشرنا اليها هى حالات شاذة ومتطرفة ٠٠ أما الطبيعى فهو أن الحياة العائلية تتيح لنا فرصة « نتمرن » فيها على الحب !٠٠ وهذا هو السبب فى أننا نحس بعد ذلك بسعادة عجيبة فى العودة الى عائلاتنا ، برغم كل ماقد تنطوى عليه قلوبنا من ضغينة ضدها ٠٠ لكن دروس الحب التى نتلقاها فى عائلاتنا فى فترة صبانا ليست هى السبب الوحيد الذى يغرينا بالعودة اليها ، وانما يغرينا بذلك أيضا أن بيتنا العائلى هو المكان الذى نطلق فيه نفوسنا على سجيتها ٠٠

متعة الحياة بغير كلفة

◆ **وقد** يسأل سائل : وهل هذا مطلب عسير ؟ وهل نحن لانستطيع أن ننطلق على سجيتنا أينما أردنا ؟ الجواب بلاشك : كلا ! فنحن فى المجتمع نمثل دورا ، ونتخذ لنفسنا مسلكا خاصا وشخصية نتقمصها ، والمجتمع ومقتضيات أعمالنا تفرض علينا واجبات نؤديها ٠٠ الخ ـ أما فى داخل نطاق الاسرة المتآلفة فان تلك الواجبات والمظاهر المختلفة التى يتكلفها أفرادها فى الخارج تتضاءل الى أضيق الحدود : **فهم يجتمعون فى البيت فى المساء ، فيجلس الاب فى مقعده المريح يقرأ الصحيفة أو ينعم باغفاءة ٠٠ وتنهمك الام فى شغل الابرة ، وفى التحدث الى كبرى بناتها فى الثلاثة أوالاربعة الموضوعات التى تشغل كل ربة بيت ٠٠ بينما «يدندن» أحد الابناء بنغم لحنه المفضل وهو يطالع قصة بوليسية ٠٠ ويأخذ آخر فى اصلاح « كوبس » الكهرباء ٠٠ وينشغل ثالث بادارة مفتاح الراديو ٠٠** وهذا كله مناف للسكون والهدوء ، فالراديو يزعج الاب أثناء قراءته الجريدة أو اغفاءته ٠٠ وصمت الاب يضايق الام ٠٠ وثرثرة الام وابنتها تثير أعصاب الاولاد ٠٠ ولايتكلف هؤلاء جميعا اخفاء مشاعرهم ـ فقلما تراعى الآداب بين أفراد

العائلة الواحدة ! ـ وهكذا تجد كل واحد من هؤلاء يعتقد فى قرارة نفسه أن الآخرين مجانين لايمكن احتمالهم ، لكنه يحتملهم مع ذلك ويعلم أن عليه توطين نفسه على سماع تذمر مماثل من جانبهم ، أوتسامح مقرون بالمشاكسة ٠٠ !

وهؤلاء الاشخاص لايجدون متعة مسكرة فى الحياة العائلية ، لكنهم يستطيعون كما ذكرنا أن ينطلقوا فيها على سجيتهم ، وينعموا بالراحة التى ينشدونها ٠ فهم يعلمون أنهم بين قوم قد ألف كل منهم الآخر ، واذا اقتضى الامر شارك الآخر متاعبه ٠٠ **فلو شكا أحد ممثلى « المسرح » الذى نصفه من حمى مفاجئة مثلا ، لقلق عليه الآخرون من فورهم وانزعجوا : فهرعت الاخت تعد له فراشا ، وسهرت الام على تمريضه ، ومضى أحد الاخوة الى الصيدلى ٠٠ وهكذا لايجد المريض نفسه وحيدا** ٠ أما الرجل الذى بغير عائلة ، الوحيد فى الدنيا ، فانه يرتجف من صقيع الوحشة ٠ وفى البلاد التى تضعف فيها الروابط العائلية ـ لاسباب مختلفة ـ يشعر الرجال بحاجتهم الى التقارب من بعضهم البعض ، وينضمون فى تفكيرهم الى رأى الجماعة ، كى يستعيضوا عن فقد تلك الجماعة الصغيرة المتحابة ذات العواطف الدافئة : العائلة !

الشجار العائلى !

◆ **وواضح** أن الحياة العائلية قدتنطوى على بعض المخاطر الجدية : من قبيل ذلك تلك النزعات المتمردة التى تملأ عقول كثير من المراهقين ٠ فالعائلة قد تنبت فيها الكراهية كما ينبت الحب ٠ وهذه الكراهية تكون غالبا عنيفة ، لان تضارب المصالح يغذيها ، ولا يوجد بين أفرادها قدر كاف من الادب والمجاملة يخفف من حدة نزاعهم ٠ وقد وصفت فيما سبق سهرة عائلية يستمتع فيها أفراد العائلة بالاسترخاء الكامل ـ الذهنى والجسمانى ـ

ويتصرف كل على هواه دون أدنى تكلف . ولكن الى أين تقودهم هذه الحرية المطلقة ؟ انها ككل حرية غير مقيدة قد تقود الى ذلك الضرب من الفوضى الذى يجعل الحياة عسيرة .. **فتجد أهل البيت يتبادلون التذمر والشكوى المستمرين : فهذا تضايقه رائحة الزهور التى يحضرها الآخر ، وذاك يزعجه صوت أخيه المرتفع !.. واحد يحب السكون فى الصباح لانه يتأخر فى نومه ، والآخر يفضل الصمت فى الليل لانه يوثر النوم مبكرا !.. هذا يضيق بالمناقشات الدينية ، والآخر يصر على أسنانه غيظا حين تدار دفة الحديث الى السياسة ! وحق الاعتراض ـ « الفيتو » ـ مكفول للجميع دائما ، وهو كثيرا مايستخدم فى غطرسة وعصبية تفسد العلاقات بين أفراد الاسرة ..**

المستوى العقلى للاسرة

وفى مثل هذه العائلة يسير أفرادها جميعا على الروتين الذى يفرضه أضعفهم شخصية وعقلية ومستوى .. كمايحدث حين تسير جماعة فى الطريق ، بالسرعة التى تحددهاخطوات أبطأ أفراد الجماعة سيرا ! وقد يكون نزول أفراد العائلة الى مستوى أضعفهم وأقلهم شأنا ، دليلا على انكار الذات .. لكنه فى الواقع يحط من مستوى الحياة العقلية للاسرة . والدليل على ذلك ان هذا المستوى يرتفع فجأة يوم يدعى ضيف ممتاز لتناول الطعام على مائدة تلك الاسرة ! فتجد يومئذ أفراد العائلة الذين كانوا يجلسون عادة صامتين ، أو متحدثين فى التفاهات ، قدأبدوا فجأة ذكاء واضحا وأدلوا بآراء قيمة ! وماذلك الا لانهم يبذلون لمجاراة هذا المتحدث الغريب جهدا لايبذلونه عادة فى أحاديثهم مع بعضهم البعض !

◆ **لذلك** فان من أسوأ الاشياء أن تنطوى العائلة على نفسها

وتكتفى باجتماعات أفرادها وجلساتهم التى لا « يطعمها » اشتراك شخص غريب فى الآراء والاحاديث ٠٠ وانه لمن ألزم الامور أن تتدفق فى محيط العائلة تيارات جديدة على الدوام ، كما تتدفق أمواج البحر فى خليج واسع مفتوح للمياه المتجدده

الدين ٠٠ والادب ٠٠ والموسيقى

ولايشترط أن يكون الضيف الغريب حاضرا بشخصه فى وسط العائلة ، وانما هو قد يكون حاضرا بأفكاره أوفنونه ، كأن يكون أديبا عظيما أوموسيقيا مبدعا ، تنصت الاسرة الى كتاباته أو ألحانه فى سهراتها الليلية ٠٠ كما أن للقراءات العائلية فى كتب الدين أثرا لاينكر فى توسيع أفق المجتمعين وأفكارهم ٠ وقد اعترف كثير من أدباء الانجليز الممتازين بأنهم يدينون بأسلوبهم الادبى للمطالعات المستمرة فى الكتب العظيمة ٠٠ واذا كان بين نساء انجلترا فى العصر الحاضر عدد كبير يمتاز بموهبة طبيعية فى الكتابة ، فان جانبا كبيرا من هذا الفضل يرجع الى أن مثل هذه القراءات الدينية قد حمتهن من الثرثرة العائلية التافهة وعرفتهن منذ سن باكرة بالاساليب الممتازة ٠٠ بل ان أديبات فرنسا الشهيرات فى القرن السابع عشر ـ **مثل مدام دى سيفينيه ومدام دى لافاييت** ـ لم يصلن الى مرتبتهن الادبية السامية الا بفضل دراساتهن اللاتينية الباكرة ٠٠

ومن الاخطار التى تزيد من تفاهة الاحاديث العائلية الصرفة مايألفه بعض أفرادها من عدم اتمام عباراتهم ، فهم يفهمون بعضهم البعض بسهولة من بداية الكلام ولايرون داعيا لاتمامه ٠٠ وللتغلب على نتائج هذه العادة السيئة ورفع مستوى العائلة الذهنى ينبغى أن يتعرف أفرادها بانتظام على أعظم الروائع التى أنتجتها الانسانية ، فى الدين والادب والموسيقى والسياسة وغير ذلك ٠٠٠

لا كرامة لنبى فى وطنه !

◆ **وثمة** خطأ آخر تقترفه العائلات فى حق بعض أفرادها ، هو عدم النظر اليهم أو الى هواياتهم نظرة جدية ٠٠ لا بدافع العداء أوالغيرة ، وانما لانها اعتادت أن تنظر اليهم من زاوية معينة ٠٠ من قبيل ذلك مثلا أن **الشقيقات** « **برونتى** » اللواتى تركن للعالم تراثا أدبيا خالدا (منه روايتنا « **مرتفعات وذرنج**» و « **جين اير** » وغيرهما) لم يكن فى نظر أبيهن أديبات أو مؤلفات ، بل كان أدبهن فىنظره « مجرد تسلية » !٠٠ كما أن «**تولستوى** » كان فى نظر زوجته وأولاده رب عائلة شاذ أكثر منه أديبا عالميا ، ولو سألت زوجته الكونتة عنه أثناء حياته لتجاهلت أدبه وعبقريته وشكت لك من شذوذه الذى يجعله ينادى بعدم تشغيل الخدم فى المنازل ثم يطالب زوجته فى آخر لحظة بتحضير العشاء لخمسة عشر ضيفا !

والواقع أن الانسان لايستطيع الا أن يرسل نفسه على سجيته فى جو بيته وأسرته ٠٠ ولذلك فلا مكان للبطل أو القديس فى بيته ، « ولا كرامة لنبى فى وطنه » !٠٠ ومن هنا يحدث كثيرا أن يقتنع العظيم أنه لكى يؤدى رسالته كماينبغى لابد له من الفرار من جو أسرته !٠٠ حدث هذا لتولستوى فهجر بيته ليعيش ناسكا زاهدا ٠٠ وسمع الرسام «جوجان» نداء داخليا يهيب به « اترك أباك وأمك ٠٠ » فهجر بيته هو الآخر ليعيش فى جزيرة «تاهيتى» راهبا يتعبد فى محراب الفن ٠٠ وكل واحد منا لابد قد مرت به ولو مرة واحدة فى حياته أزمة نفسية سمع خلالها نداء « الابن الضال » يغريه بالتمرد على قيود الاسرة وممارسة حياة التحرر والانطلاق ٠٠

وأنا أعتقد ان فوائد هذا الفرار هى محض خيال ، فهو ليس الا فرارا من الروابط العائلية « الطبيعية » الى روابط خارجية « غير طبيعية » ٠٠ فالانسان لم يخلق ليعيش وحيدا ،

وسواء فر من بيته الى عزلة النساك ، أوعزلة الادباء المنطوين٠٠ أو الى عزلة الجنون والخبل ـ مثل نيتشة ـ فان الذى لاسبيل الى الشك فيه أن الحكمة الحقيقية ، كما يقول الحكيم « ماركس أوريليوس » ، لاتكتسب بالانزواء عن العالم ٠٠!

والخلاصة أن الفرار من الحياة العائلية قد يكون سهلا ، لكنه عقيم وغير مجد ٠٠ والانفع من ذلك ، والاصعب ،والانبل، هو محاولة رفع المستوى الذهنى للجو العائلى٠٠لكننا لانستطيع فى الواقع أن نتجاهل أن هناك فترة فى حياة الشباب يكون فيها طبيعيا منهم أن يروا « قيود » الحياة العائلية أكثر مما يروا منافعها العظيمة ٠٠ وهذه الفترة هى التى نطلق عليها « سن الحيرة » ، ولكى نصورها تصويرا صادقا لابد لنا من تأمل العلاقات بين الاجيال المختلفة التى ينتسب اليها أفرادالعائلة ، من وجهة نظرهم هم :

حذار من تدليل الطفل !

◆ **وقد** تحدثت فيما سبق عن المرحلة الاولى من هذه العلاقات بين الاجيال : مرحلة العطف الغريزى غير المحدود من جانب الام نحو طفلها ، والتعلق والثقة غير المحدودة من جانب الطفل نحو أمه ٠٠ وهذه العواطف المتبادلة طبيعية ولاشك ٠ لكن غير الطبيعى هو المغالاة فيها الى حد « تدليل » الام لطفلها وافساده بجعله يمارس سلطانا خاصا على أمه ، ويعتز بهذا السلطان وهذه « القوة » المستمدة من ضعفها هى !

ولاشىء أخطر على مستقبل الطفل من هذا التدليل ٠ وهنا ينبغى أن تعلم كل أم أن تكوين عادات الطفل وطباعه يبدأ خلال « الاشهر » الاولى من حياته ، بحيث لاينتهى العام الاول من عمره حتى يكون قد تحدد أمر خضوعه للنظام أوتمرده عليه ! وقد طالما سمعت أناسا يقولون ـ بل لقد قلت أنا نفسى

يوما : « ان تأثير الوالدين على أطفالهم ضعيف للغاية ، وليس في وسعهم تغيير طباع هؤلاء الاطفال المتأصلة أو اخلاقهم الموروثة ! »

لكن هذا الرأى خاطىء تماما ·· ففى حالات كثيرة يكون فى وسع الوالدين تغيير طباع الطفل عن طريق التربية فى تلك السن الباكرة ، التى قلما تعنى بها الامهات أو الآباء ·· فالطفل يجب أن يعود الخضوع للنظام منذ الايام الاولى له فى الوجود ، والا كان مصيره المحتوم أن يتألم ويتعذب حين يكبر ! ·· ذلك ان للمجتمع قوانينه التى لاتتغير أوتتبدل ، وعلى كل انسان أن يشق طريقه الخاص خلالها بالفأس والمنجل ، وهى مهمة عسيرةشاقة تتطلبصبرا ، ومثابرة ، وخضوعاللامرالواقع

أما الطفل المدلل فيعيش فى عالم وهمى ، فهو يظل طيلة حياته يعتقد أن ابتسامة منه أوحركة غضب سوف تحقق له النتيجة المرجوة وتنيله مبتغاه ·· وهو يريد أن يحبه الجميع الحب المضحى الذى الفه فى طفولته من والديه غير الحازمين ·

وكلنا نصادف فى الحياة رجالا كانوا فى صباهم مدللين · وهؤلاء قد يصلون الى اعلى المراكز ثم يفقدونها فجاة بسبب تصرف صبيانى ! ومن هذا القبيل ايضا اولئك النسوة اللواتىيعتقدن وهن فى سن الستين ان فى وسعهن الحصول على مايردن عن طريق استعمال سلاح «العبوس» !

والعلاج أوالدواء الواقى من هذه العواقب هو أن تعلم الام طفلها الوليد ، فى تلك الاشهر الاولى من حياته التىيتلقى خلالها من أمه تعليماتها الصامتة ، بالاشارة ، ان هناك فى الحياة قواعد لابد من الخضوع لها ·· وما أعظم جناية الام أو الاب اللذين يدللان طفلهما فيجيبانه الى رغباته «التعسفية» ، سواء ليتجنبا بكاءه أوليستمتعا بلذة رؤيته يبتسم ابتسامة الرضا والفرح !

غيرة الطفل !

وأكثر الاطفال حظوة بتدليل الوالدين عادة هو الطفل الاول ، الذى يمارس فيه أبواه لاول مرة متعة متابعة حركاته اللطيفة وملاغاته وتطور كلامه وتعبيراته ، بحيث لايلبث أن يصبح محور اهتمام الابوين وعنايتهما • ويجب أن لايتوهم الكبار أن الصغير لايحس بهذا الاهتمام والعناية ، فالحقيقة أنه سرعان مايتنبه الى مركزه الممتاز فى البيت •• فاذا ماولد له بعد ذلك أخ جديد يشاركه حب والديه أو يحتل المكان المفضل فى قلبيهما ـ بحكم ضعفه واحتياجه الى العناية ـ صدم الطفل الاكبر صدمة أليمة قد تزعزع ثقته فى دنياه وتترك فى نفسيته أثرا سيئا ، ومرارة لاتمحى بعدذلك بسهولة !•• **ومثل هذه العواطف تتعمق فى نفوس الاطفال الى درجة مخيفة ، قد تبلغ أن يتمنى الكبير منهم موت غريمه الصغير الذى انتزع مكانته •• وبعض الاطفال ـ ولاسيما المرهفين ـ يحاول فى هذه الظروف أن يسترد اهتمام والديه به بالشكوى المتكررة ، وادعاء المرض !** ـ مثلما يحاول طراز من النساء أن يحظى بانتباه الرجال واهتمامهم عن طريق اثارة شفقتهم وعطفهم ! ـ وهكذا تفاجأ الام بتغير ظاهر فى ابنها الاول ، أو بنتها ، الذى بعد أن كان عاقلا حسن التربية انقلب فجأة مخلوقا لايحتمل ، يثير أعصاب أمه بحركاته «السخيفة» وحماقاته ، التى كثيرا مايحس هو نفسه بالندم عليها والاشمئزاز منها !

وقد أوضح العالم النفسانى الكبير «أدلر» مدى الضرر الذى ينجم عن سوء تصرف الامهات اللواتى يعجزن عن مراعاة الانصاف والعدل فى معاملة أطفالهن •• وأول نتيجة لهذا التمييز فى المعاملة أن يضمر الاخوة والاخوات البغضاء لبعضهم البعض ، بدلا من أن يكونوا أمثلة للصداقة الخالصة كما هو طبيعي • ولعل قصة « الاشقاء الاعداء » هى أفجع دراما

كتبت منذ بدء الخليقة فى تصوير الكراهية بين الاخـــوة ٠٠ ولسوء الحظ تتكرر هذه الدراما فى العائلات كل يوم ، بسبب حماقة الامهات العاطفيات اللواتى يميزن بين أطفالهن فى المعاملة ويدللن كل وليد جديد !

الابن الاكبر ٠٠ والاصغر

والملاحظ أن الطفل الاكبر يحتفظ طيلة حياته بطـــابع يميزه عن اخوته ، وكذلك الطفل الاصغر أو الاخير ٠٠ فالاول ينشأ محافظا ، ميالا الى الجد والرزانة ، والاكتئاب ٠٠ يشتاق دائما الى التحدث عن الماضى البعيد ، والحنـــين الى طفولتـــه الباكرة ، التى كانت أسعد فترات حيـــاته !٠٠ بعكس الابن الاصغر الذى يتطلع دائما الى المستقبل ، الى اليوم الذى يتخلص فيه من أخيه الاكبر ويطرده من البيت (يوم يتزوج الاخـــير أو ينتقل من البلدة) كى يصبح هو رب البيت ! وبقدر مايميل الاول الى اعتناق المبادىء المحافظة ، ينزع الاخير الى اعتناق المبادىء الثورية والتقدمية ٠٠ ومن يدرس تطور ذهن « شاتوبريان » يجد أنه بحكم كونه الابن الاصغر لاسرته كان أميل ــ ولاسيما فى شبابه ــ الى تحبيذ الافكار الثورية التى انتشرت فى القرن الثامن عشر ٠٠

والطفل الاصغر يكون بدوره مدللا فى الغالب ، وخاصة حين يكون فارق السن بينه وبين اخوته كبيرا ٠٠ لكنه يعيش طفلا سعيدا ، لان « امتيازاته » لن تسلب منه يوما ما ٠٠ فهو مدلل من والديه ومن اخوته الكبار أيضـــا ، الذين يعاملونه عادة بعطف «أبوى» !٠٠وهو ينجح فى حياته فى أغلب الاحوال، لاحتفاظه بثقته بنفسه من ناحية ٠٠ ثم لانه بحكم معيشـــته مع اخوته الكبار ينهج على منوالهم ويحاول أن يستفيد من تجاربهم ويلحق بهم ٠٠ وهو ذكى ، فطن ، «دبلوماسى» ٠٠ لانه ، وهو أضعف اخوته ، مضطر الى مساومتهم والتفاهم معهم بالحسنى !

الخلاف بين الوالدين

◆ **وينبغي** على الوالدين اللذين يوجد بينهما خلاف أو عداء أن لايسمحا لاطفالهما باكتشاف هذه الحقيقة ، التى تؤلمهم وتفقدهم احترامهم لوالديهم ٠٠ والاطفال الذين يلحظون فى صباهم بعد الشقة بين نصائح أبويهم وأفعالهما ، يشبون عادة متمردين على كل شيء ٠ والفتاة التى تنشأ على احتقار أمها تشعر فيمابعد بنفس الاحتقار نحوبنات جنسها جميعا ٠ والاب المستبد يزرع فى نفوس أولاده ـ وبناته على الخصوص ـ بذور النفور من الزواج واعتباره نوعا من العبودية !٠٠ فى حين يتركز واجب الاب الاول فى أن يسبغ على أولاده أكبر قدر من السعادة يتناسب مع المستقبل الذى يعدهم له ٠ وهذا الهدف ينبغي أن يكون مرعيا لسببين على الاقل : أولهما ان الحياة قصيرة ، وذكريات الطفولة هى أثمن ذكريات العمر ٠٠ وثانيهما أن تعاسة الطفولة الكئيبة القاتمة قدتلازم الشخص مدى الحياة !

ولكن ، ينبغى على الوالد فى الوقت نفسه أن يكون حازما مع أولاده ، وأن يعلمهم منذ صباهم الباكر أن الدنيا لايمكن «غزوها» بسهولة ٠٠ والا أصيبوا حين يكبرون بصدمات متكررة ناتجة عن خيبة الامل ! **والطفل الذى تحصنه أمه ضد جميع مضايقات الحياة يدركه اليأس سريعا حين يخالط فيما بعد رفاق المدرسة ، ورفاق العمل ، الخشنين القساة !٠٠ بل ان مثل هذا الشخص يشب عاجزا عن مصارعة الحياة ، سريع الاستسلام للفشل** ٠ وفى اعتقادى أن أسلم طريقة للتدرج بالاولاد من سن الصبا الى سن المراهقة والنضوج ، بأقل قدر ممكن من الالم ، هى الجمع بين واجب المراعاة لبضع قواعد صارمة من قواعد التربية ، وواجب بذل كل جهد ممكن ـ فى الوقت نفسه ـ لتأمين سعادة الابناء ٠٠

حب الام .. وحب الاب

◆ **وهنا** يتساءل المرء: هل هناك فارق بين حب الام لاولادها، وحب الاب لهم ؟

نعم ، هناك فارق ، بل فوارق .. كما ان الامر يختلف تبعا لجنس الابناء ، وما اذا كانوا بنينا ام بنات !

وقد تحدثنا عن حب الام لطفلها الرضيع ، أما فى ما بعد مرحلة الطفولة الاولى فالامر يختلف : فقد تنشأ بين الام وولدها صلة «تعلق» وثيقة من أنبل الصلات البشرية واقواها . وهذه الصلة تزداد بعد وفاة الاب ، حيث يقوى حب الولد لامه واحترامه اياها ، ويقوى من الناحية الاخرى حب الام لولدها واحترامها له ، بحكم صيرورته رب الاسرة الجديد أو المنتظر!.. وهذا الخليط الرائع من العواطف يتمثل اكثر ما يتمثل فى الريف ، حيث تحكم الام المزرعة بمساعدة ابنها وزوجته ، وحيث يتعاون الثلاثة تعاونا لا تفسده غيرة الام من زوجة ابنها (بعكس الحال فى المدن ، حيث تكثر أمثلة الام الانانية التى تأبى التنازل عن سيطرتها على ابنها ، والتى لا تحبه فى الواقع حبا كافيا كى تدرك ان سعادته قد انتقل زمامها الآن الى امرأة اخرى !.. وليست قصة د.هـ. لورنس «أبناء وعشاق» التى أشرنا اليها فيما سبق ، بالقصة الوحيدة التى تصور هذه الانانية والانحراف فى حب الام لابنها !)

أما العاطفة بين الام وابنتها فأمرها يختلف : فأحيانا تصل العلاقة بينهما حدا تعجز معه الإبنة ــ حتى بعد زواجها ــ عن ان يمر بها يوم لا ترى فيه أمها ! .. **ولكن احيانا يقوم بينهما ، من الناحية الاخرى ، تنافس شاذ : اما لان الام ما تزال شابة حسناء ، فهى تغار من ابنتها .. أو لان الابنة تكون غير واثقة من نفسها ، فتغار من امها الحسناء .. وواضح انه فى مثل**

هذه الظروف يكون واجب الام ـ بصفتها الاكبر سنا ـ أن تقمع مشاعرها هي !



والدان يتعاونان على فهم نفسية ابنهما ومشاكله ..

وأما حب « الاب » لاولاده وبناته فهو عاطفة أضعف بلا شك من حب الام ، وان كان « بلزاك » قد وصف في قصته « الاب جوريو » عاطفة أب يضحى بكل شيء في سبيل اسعاد ابنتيه . لكن علماء النفس يميلون الى اعتبار مثل هذا الحب الابوى المغالى فيه حالة « مرضية » شاذة لايقاس عليها ، في الوقت الذى يتقبلون فيه بغير دهشة أغرب صور مغالاة الام في حبها لابنائها دون أن يروا فيها خروجا عن العواطف « الطبيعية »

وتعليل هذا الاختلاف بين عاطفتى الاب والام نحو أولادهما ان الاب تشغله أعماله وتبعده عن البيت اكثر الوقت ، فلا تتاح له فرصة التفرغ لاولاده ، مثل الام ، وتنمية علاقته بهم .. وهناك سبب آخر يعوق الاب عن المبالغة فى تدليل أطفاله ، وهو انه يتطلب فيهم الكمال والخلو من النقائص التى يعرفها فى نفسه أو تعويض الفشل الذى قد يكون منى هو به فى حياته ، ومن ثم نراه يقسو فى معاملة اولاده كى يشبوا على الصورة المثالية التى يتمناها لهم .

وقد ينشأ شيء من التنافس بين الاب وابنه ـ مثل تنافس الام وابنتها ـ يوم يضطر الاب الى التخلى عن ادارة عمله لابنه ،


والدان انانيان !

ويجد أن الابن قد تفوق عليه مثلا فى ادارة العمل المذكور !..

وكذلك قد تنشأ علاقة وثيقة بين الاب وابنته ـ مثل العلاقة بين الام وابنها ـ فنجد فى العصر الحديث فتيات شبيهات بـ « انتيجون » بطلة رواية سوفوكل الخالدة ، ومن هذا القبيل ابنة تولستوى الصغرى التى كانت شديدة الالفة مع أبيها .. وكم من سفير أوسياسى اتخذ ابنته سكرتيرة خاصة له .. وكم من ابنة تشبهت بأبيها ونسجت على منواله وتطبعت بطباعه ، مثل «أوجينى جرانديه» بطلة قصة بلزاك المشهورة التى اخذت عن ابيها بخله وشحه وتقتيره !

هل ينتفع الابناء بتجارب الآباء ؟

◆ **وحين** يكبر الابناء ويبدأ اصطدامهم بعقبات الحياة وصعوباتها المختلفة ، يذكر الآباء أخطاءهم الخاصة القديمة فيحاولون فى سذاجة حماية فلذات اكبادهم من مواطن الزلل وافادتهم بثمرة تجاربهم الشخصية . **لكن هذه التجارب قلما تنفع غير اصحابها ، والحكمة التى تواتى اصحابها مع الشيخوخة لايمكن ان يعتنقها الشباب ! .. والتجارب لا تنتج آثارها الا اذا سببت لصاحبها ألما ، وترك الالم طابعه على كل من الجسم والعقل !**

فالسياسى الذى صار واقعيا بعد ان قاسى ليالى طويلة من الارق والصراع مع الحقائق ، لايستطيع أن يقنع بتجاربه

الشاب المثالى الذى يريد أن يغير نظام الكون بغير أن يبذل مجهودا ! .. وتجاربنا الثمينة التى نعتز بها ونؤمن بفوائدها تبدو لاولادنا ثرثرة شيوخ تجلب النعاس والسأم ! .. كما انه من العبث ـ والمستحيل سيكلوجيا ـ ان نخلق من الفتاة ابنة العشرين امرأة حكيمة زرقاء الناب .. أو على حد قول احد الفلاسفة : «**ان نصائح الشيوخ والعجائز لهى مثل شمس الشتاء ، تشع نورا لكنها لا تشع دفئا !**» ومن هنا نرى المبالغة فى نصح الاولاد تنتج عكس المقصود منها ، فهى تثيرهم وتزيدهم تمردا ، وتحدث للكبار خيبة أمل ، فيسود الفريقين جو من التوتر والتوبيخ ! .. وينبغى علينا نحن الآباء ان نعود انفسنا أن نتقبل شقاوة الصغار وحماقاتهم «المعقولة» التى لا يمكن تجنبها ، بصدر رحب ..

فلنكن منصفين !

◆ **وخلال** فترة مراهقة الاولاد ـ أو البنات ـ ينبغى على الآباء والامهات ان يحاولوا تذكر ايام مراهقتهم هم ، فلا يشكون مما لابد أن يجول فى رؤوس الصغار من أفكار ومايعتمل فى قلوبهم من مشاعر ونزعات تلازم فترة المراهقة عادة ولا سبيل الى منعها أو تجنبها !

لكن الوالدين يجدون فى الواقع صعوبة كبرى فى تجاهل نزعات أولادهم فى تلك السن . **ونحن جميعا نقول لانفسنا فى سن العشرين : «لو صرت والدا يوما ما لسمحت لاولادى بكذا وكيت ، وكنت لهم الاب المثالى الذى عجز ابى عن أن يكونه معى !» .. لكننا لانبلغ الخمسين حتى نصير نسخا طبق الاصل من آبائنا ، وبالمثل يصير اولادنا مثلنا حين يكبرون !**

وهكذا تساهم كل هذه المشكلات والوان الصراع والاحقاد فى طبع «سن الحيرة» بطابعها .. ويزيد الامر تعقدا أن الولد أو البنت فى هذه السن يخرج من دائرة أسرته بعض الشىء الى

دائرة زملائه فى المدرسة ، ويكون لنفسه صداقات وعلاقات جديدة مختلفة ، فتفتر رابطته باهله قليلا ويزداد تأثير زملائه وأصدقائه الجـــدد عليه ، فينزع الى التمرد عـــلى والديه الى حدما .. لكن واجب الوالدين فى هذه الفترة الحرجة ان يظلوا على حبهم له وعنايتهم بأموره

وقد ذكرت فيما سبق ان الحياة العائلية تغدو مملة كئيبة اذا لم تتخللها المطالعات العائلية فى كتب الدين والادب، وممارسة فن من الفنون .. واضيف هنا انه فى فترة المراهقة ، او سن الحيرة ، يكون أمرا طبيعيا أن تثير نصائح الآباء الصارمة أعصاب اولادهم المراهقين الحالمين ، فيروحون يلعنون عائلاتهم وقوانينها وتقاليدها .. وينظرون الى الحب باعتباره شيئا رائعا جميلا .. ويحسون بالحاجة الى الصداقة والعطف والحنان .. فيعقدون الصلات الخفية ويتبادلون العهود والوعود .. ثم تخيب آمالهم حين يحنـــث احباؤهم فى عهودهـــم ، ويخونـــون مواثيقهم ، ويتقلبون فى عواطفهم .. وهـكذا تنقلب مقاصـــدهم عليهم فيقاسون مرارة اللوعة التى تصيبهم نتيجة لانهيار مثلهم العليا واتساع الشقة بين احلامهم الجميلةوبين حقائق الحياة الصارمة!

وانها لفترة حرجة موجعة فى حياة كل انسان .. فللشباب افكارهم وآراؤهم ، لكنهم احرار من المسؤليات ، معفون من الصراع اليـــومى مع الناس والاوضاع ، ليست لهم عائلات يعولونها ولا اعمال يديرونها ولا مسؤوليات عامة نحو المجموع .. **وهم يعتنقون افكارا نظرية خيالية بعيدة كل البعد عن الحقائق، وينظرون الى النساء والمجتمع نظرات تخالف الواقع كل المخالفة .. ومن هنا ينبع شقاؤهم الذى ينغص عيشهم فى تلك السن !**
.. لكنهم حين يتجاوزون طور المراهقة ثم يتزوجـــون ويرزقون أطفالا ، تزيدهم المسئولية العائلية خبرة بالحياة وتضـــفى عـــلى ذكائهم القديم النظرى الخطر قوة جديدة والهاما قويا ..

وشيئا فشيئا يتعلمون الحياة على حقيقتها فى مدرسة الاسرة ، والعمل ، والحياة العامة ٠٠ فيغدون رجالا حقيقيين يستطيعون معاونة اولادهم على اجتياز فترة المراهقة بخير ، بعد التعرض لنفس التجارب والمشكلات .. !

لذلك كله يحسن ان يقضى المراهقون جانبا كبيرا من «فترة الحيرة» بعيدين عن محيط عائلاتهم ، كى يكتشفوا العالم الخارجى ومتاعبه فى تلك السن الباكرة ، فتصبح عائلاتهم فى نظرهم ــ بالقياس والمقارنة ــ ملجأ وملاذا يهرعون للاحتماء فيه مرحبين !

فاذا تعذر تدبير هذه الفرصة لابناء الاسرة المراهقين ، وجب على الوالدين ان يتذكروا ايام مراهقتهم فيصطنعون اللين والتسامح فى محاسبة أولادهم على حماقات ارتكبوها هم أنفسهم من قبل !٠٠ ويحدث أحيانا أن يعجز الوالدان عن اصطناع ذلك اللين والتساهل ، فيتولاه بدلا منهم الاجداد ، الذين لطف تقدمهم فى السن من حدة طباعهم وجعلهم اقل صرامة وتدقيقا ، وأوسع افقا وتفكيرا من ابنائهم .. وبالتالى اقدر منهم على فهم الجيل الناشىء وتقدير ظروفه .. !

المحبة والحزم معا ٠٠!

◆ **والخلاصة** ان فن الحياة العائلية فن كبير الاهمية لحفظ كيان الاسرة .. فنحن نحمل فى اعناقنا مسؤولية تيسير الحياة على أبنائنا فيما لو عرفنا كيف نكفل لهم طفولة سليمة سعيدة ٠٠ **وفى سبيل هذه الغاية فليتحد الوالدان على محبة اولادهم ، واسباغ رقتهم وحنانهم عليهم ، فى نفس الوقت الذى يفرضان فيه عليهم نظاما رصينا ، ويراعيان المساواة التامة فى معاملتهم ٠٠ فاذا داهمتهم تلك الفترة الحرجة المحتومة التى اطلقنا عليها «سن الحيرة» تعاون الوالدان على بذل النصح لهم ، بقدر ،**

وحكمة . وانجع النصائح فى هذا المجال هى القدوة الحسنة !

وأخيرا فانه من الضرورى لتجديد هواء الجو العائلى ترك التيارات النقية تهب عليه من العالم الخارجى بعد تكييفها تكييفا مناسبا . .

سؤال اخير يفرض ذاته فرضا على الاذهان فى النهاية : هل الحياة العائلية نظام سوف يدوم ؟ وانا اعتقد ان الجواب بالايجاب ، فهو ـ مثل الزواج ـ نظام لا يمكن الاستعاضة عنه ، لانه يهذب الغرائز الفردية ويصوغها فى قالب الضرورات الاجتماعية . . **ولئن كان الاصوب ان يقضى المرء سنوات يفاعته الباكرة بعيدا عن اهله ، فانه بعد ان يتعلم الحياة فى مدرستها الحقيقية ويتمرس بشىء من المغامرات التى لا مفر منها ، تأتى الساعة التى يعود فيها مبتهجا الى نطاق تلك العواطف العائلية الطبيعية .. وبعد الايام العسيرة التى يقضيها فى عالم قاس لا يعبأ به أويرحمه ، يلذ له ـ سواء كان طالبا ، أوفيلسوفا ، أو وزيرا ، أوجنديا ، أوفنانا ـ أن يعودمرة أخرى طفلا ، أوأبا،أو جدا ، او رجلا عاديا ، حين يجلس ليتناول عشاءه مع افراد اسرته !**

الجريمة.. والعقاب



المحاكمات الكبرى

فى الماضى والحاضر

عزيزى القارىء ...

قدمت لك فى الاعداد السابقة من كتابى طائفة من القضايا والمحاكمات الهامة ، هى على التوالى : محاكمة «جورجيت هودو» ملكة الجمال الباريسية.. فمحاكمة السفاحين «بيرك» و«هير» .. ثم محاكمة فيلسوف اليونان العظيم «سقراط» .. ومحاكمة «آن بولين» ملكة انجلترا .. فمحاكمة «دريفوس»

واليوم اقدم لك فيما يلى محاكمة عالمية هزت العالم بأسره عام ١٩٣٥ ، هى محاكمة النصاب الفرنسى «ستافسكى» ، التى نتج عنها سقوط الوزارة الفرنسية ونشوب اضطرابات خطيرة فى باريس ، نتيجة لافتضاح امر عدد كبير من رجال الدولة الذين كانوا شركاء فى الفساد وحماة له !

وفى الاعداد القادمة تقرأ معى باذن الله فى هذا الباب مجموعة منوعة من القضايا والمحاكمات الكبرى التى احدثت دويا ، سواء فى الشرق او الغرب، ومنها: محاكمة مرجريت فهمى ، محاكمة فلورنس ماى بريك، محاكمة فيليبيدس، محاكمة الكابتن كيد .. والمحاكمات الجنائية التى لمع فيها نجم المحامى العالمى «مارشال هول» .. وعشرات غيرها


LE PROCÉS
STAVISKY
par
GEO LONDON
أشهر قضايا الرشوة واستغلال النفوذ
والانحلال الخلقي
قضية ستافسكى
للمحقق الفرنسى چيو لندن
5.000

هذه القضية

اهتز العالم فى سنة ١٩٣٥ لنبأ خطير . ولم يكن ذلك النبأ من انباء الحرب ـ فالسلام يومئذ ناشر الويته على ربوع العالم المتحضر ـ ولكنه كان نبأ من انباء الفساد ، لا يقل اثره عن وقائع الحروب فى شىء . فالذين مسهم الامر كانوا من كبار الوزراء والاقطاب واركان الدولة فى فرنسا ـ وهى فى ذلك الوقت فى مكان الصدارة من دول العالم الديمقراطى الذى توجه النصر فى معاهدة فرساى ! .. والثقة بالدولة والاقطاب هى الدعامة الاولى فى حياة الشعوب وفى استتباب السلام .. فلا امن للناس الا اذا وثقوا بمن يتولون امورهم من الحاكمين ، ومن يدبرون معاشهم من رجال المال والاعمال ، ومن يحكمون بينهم من أهل القضاء والادارة .. فاذا اصبح الناس ذات يوم فقيل لهم ان الذين تثقون بهم من الوزراء والحكام لصوص ! .. وان الذين تعتمدون عليهم فى تدبير معاشكم واستثمار اموالكم لصوص .. والذين تلجاون اليهم لاقامة العدل وحماية الحقوق هم الذين يغيرون على تلك الحقوق ويلتوى فى ايديهم ميزان العدل ، فذلك ولا ريب هو الفزع الاكبر عند سواد الشعب الذى لا يتذوق الحياة الا فى ظلال الامن والاستقرار .. ولا امن ولا قرار اذا تزعزعت تلكم الثقة ، واهتزت اركانها ، ومـاد أساسـها !

وقد عرفت هذه القضية باسم قضية ستافسكى ، فقد كان هذا الرجل هو قطب الرحى من ظاهرة الفساد التى تكشفت بتلك الفضيحة

من هو ستافسكى ؟

◆ هو «الكسندر سيرج ستافسكى»، وهو يهودى روسى الاصل، ولد فى ٢٠ نوفمبر سنة ١٨٨٦ فى بلدة صغيرة بالقرب من مدينة «كييف» ، حيث كان ابـوه طبيب اسنان متوسط الشـهرة والكسب . وفى سنة ١٩٠٠ هاجر الطبيب بولده البالغ مـن العمر اربعة عشر عاما الى فرنسا ، وقد كان قصارى أمله ان ينشأ ابنه طبيب اسنان مثله .. غير ان الفتى كان طموحا

فاذا هى منتشرة الذيول فى مرافق فرنسا يومئـذ .. واذا الرشوة المالية ـ وغير المالية ! ـ عملة متفاهم على رواجها فى ارفع الاوساط ..!
وقد احدث ظهور هذه الفضيحة يومئذ فى فرنسا ـ بل فى اوربا بأسرها ـ هزة عنيفة اسقطت الوزارة الفرنسية وادت الى شبه ثورة صاخبة فى باريس ، وجرت فى ذيلها فضائح عديدة اسقطت كثيرين من الكبراء من علياء مجدهم !

وقد تصدى لتأريخ هذه القضية الفذة مؤرخ من اشهر المؤرخين القضائيين المعاصرين فى فرنسا ، وهو ((جيو لندن))
واسم ستافسكى قد اضحى منذ نظر هذه القضية علما على فساد الحكم واستغلال النفوذ والرشوة ، فى العالم اجمع .. كما اصبح اسم ((كويسلنج)) منذ الحرب العالمية الثانية علما على كل خائن يبيع وطنه للاعداء ويخضعه لاطماعهم ويبيع ارضه لجيوشهم !

واليوم وقد بدأ عهد التطهير فى مصر ، بعد أن تراكمت ادران الفساد فى السنوات الاخيرة ، حتى كان كل قطب من اقطاب العهد البائد ((ستافسكى)) مكبرا عشرات المرات ! .. راينا ان نعيد الى الحياة من زوايا النسيان سيرة الفاسد الاول ستافسكى ، لكى نرى مبلغ خطورة السكوت على الفساد والغفلة عن القضاء عليه ، حتى يغدو مثل ((الفرغرينة)) سما يخشى منه على حياة الدولة والمجتمع !

والآن ، عود الى سنوات السلام قبل الحرب الاخيرة لنشهد مراحل القضية وملابساتها ..

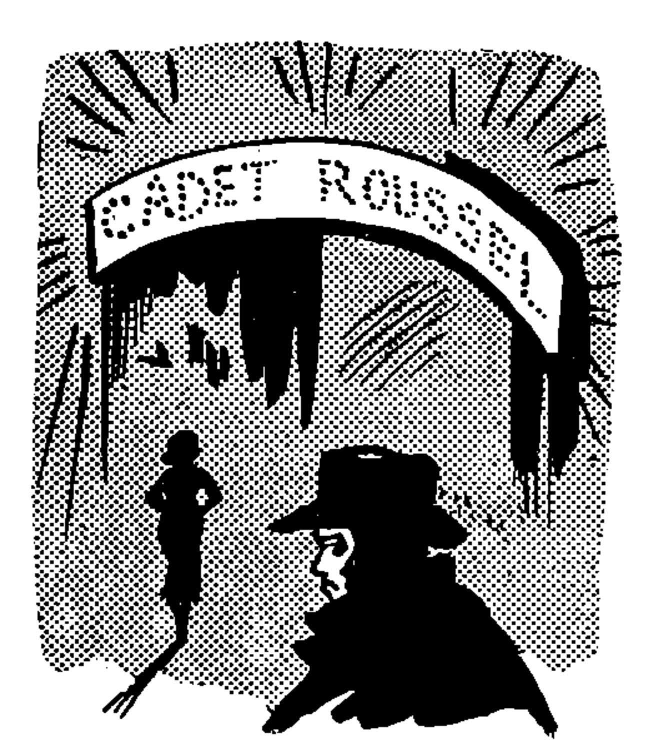
شغوفا بالظهور محبا للمال ، يلتمسه من اهون السبل .. **فما كاد يبلغ مبلغ الشباب حتى اخذ ينصب شباكه حول الفتيات والسيدات ذوات الثراء والمال ، وأرتكب عددا من جرائم النصب والسلب والسرقة ، حتى قبض عليه فى احداها سنة ١٩١٢ فحبس ستة عشر يوما ثم اخلى سبيله لعدم كفاية الادلة ! .. ثم صدر أول حكم عليه فى سنة ١٩١٥ ، حيث قضى فى سجنه ستة اشهر بتهمة النصب والاحتيال ..**

وخلال تلك الاعوام تقدم الشاب فى مجال الاجرام ، فبعد ان كان يعيش من مال النساء اللواتى يخدعهن ويسلبهن ما تصل اليه يداه من حلى ونقود ، اتسعت اطماعه فصار يحكم تدبير جرائم الاحتيال بفرض ابتزاز الاموال .. كما اعتاد ان يستأجر الحانات و«الكباريهات» ليديرها ويكسب منها المال الوفير . وكانت له حاسة تتقن تنسم رائحة النقود اينما وجدت، وذكاء يحسن تدبير الخطط لنقل هذه النقود الى حوزته !

المال اقوى من الحب !

◆ **وفى** سنة ١٩١٧ اقيمت عليه الدعوى العمومية مرة اخرى مع شريكه المصرفى «أمورو» .. لكنه واصل بعد الافراج عنه مغامراته بهمة لا تعرف الكلل وجرأة لا تعرف الخوف .. حتى اذا كانت سنة ١٩٢١ رأيناه يبدد مجوهرات عشيقته «مدام جان بلوخ» التى كانت تكبره باعوام كثيرة ، وكانت قد اودعت المجوهرات أمانة بين يديه !

ثم بدأ يتلاعب فى اعمال جملة شركات ، بالاشتراك مع المدعو «هميل فارب» ، فتقاطرت الشكاوى ضده .. بيد انه استطاع بحيله الماكرة ان يفلت من العقاب ! .. وفى احدى المرات اختلس أربعة ملايين من الفرنكات ، فحكم عليه بالسجن .. لكنه لم يكد يخرج من سجنه حتى اخذ يرتاد المجتمعات الباريسية الراقية ، وأفلح بفضل اناقته وفصاحته وقوة شخصيته فى مصادقة كبار الرجال وذوى النفوذ ، **فوقف بحكم صلاته هذه على اسرار بعض الكبراء ، من الرجال والنساء، فاتخذ من هذه الاسرار رأس مال له راح يستغله احسن استغلال !.. ثم انشأ حانة للفجور أطلق عليها «كاديه روسيل»، شجع الكبراء على ارتيادها سرا . وكان يقرضهم المال عند الحاجة فيرسلون اليه الشيكات لسداد ديونهم فى حينها ،**



وعندئذ يضيف هو الى الرقم المكتوب صفرا او صفرين الى اليمين ، ويقبض بذلك حقه من البنوك مضاعفا اضعافا .. فاذا انكشف هذا التزوير لاصحاب الديون خافوا ان يفضحوه لئلا يهتك أسرارهم فنعرف عنهم زوجاتهم او غيرهن ما يحرصون هم على أخفائه !..
وفى احدى المرات بالغ فى تزوير شيك بهذه الحيلة فرفع الرقم المكتوب عليه من ٦٠٠ الى ٤٦٠٠٠ فرنك ! وحين اكتشف التلاعب وحوكم من اجل ذلك اختفى الشيك فجأة من ملف القضية فزال جسم الجريمة !

تكالب اجرامى على جمع المال

◆ **وفى** سنة ١٩٢٥ اشترك ستافسكي فى سرقة اسهم على ظهر الباخرة «فالديفيا» . وفى نفس السنة ارتكب جريمة خيانة امانة قدم من أجلها الى المحاكمة ، لكنها لم تثبت عليه . وفى العام التالي اتهم بتدليس جديد ، ثم حفظت القضية لعدم كفاية الادلة ايضا ! .. وهكذا اوغل فى الاجرام ، وهو كل يوم يزداد جرأة وفجورا ، حتى بلغت قيمة الشيكات التى زورها فى سنة واحدة اربعة ملايين من الفرنكات ! وحين تعقبه المجنى عليهم من رجال المال واستطاعوا تقديمه الى المحاكمة ، أجلت قضيته تسع عشرة مرة ، واستمرت معلقة سنوات .. حتى انتهى اجله فى هذه الاثناء قبل ان ينتهى نظر القضية ، فشطبت نهائيا بطبيعة الحال !

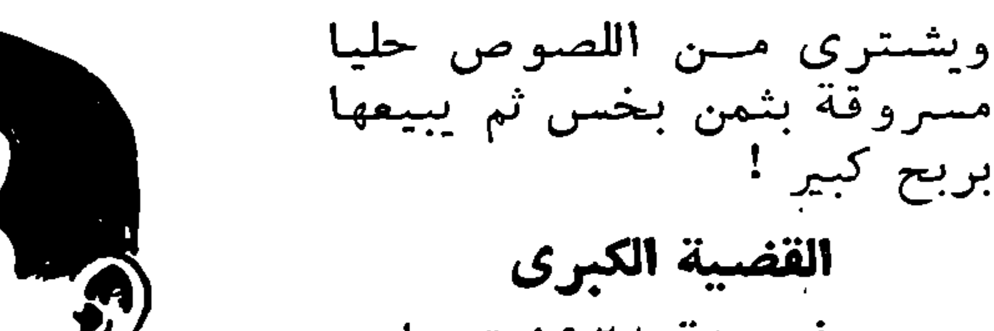
يعيث فسادا .. فى حمى وزارة الداخلية !

◆ **وتزايد** ثراء ستافسكى ، بفضل جرائمه العديدة ، فبدأ منذ سنة ١٩٢٧ يظهر فى ارقى المجتمعات بالعاصمة الفرنسية ، ويصادق اكبر الشخصيات ، فى مختلف المناصب والهيئات !.. واستأجر لمكتبه جناحا فاخرا فى فندق كلاريدج بحى الشانزليزيه ، كما استأجر لمسكنه بيتا انيقا باسم زوجته القديم الذى كانت تتسمى به قبل الزواج حين كانت تعمل عارضة أزياء (مانكان) .. وصار يظهر فى جميع الاماكن التى يرتادها الكبراء والاغنياء فينفق فيها عن سعة ، ويتصل بكواكب المسرح ورجال السياسة والاعمال واصحاب الصحف الكبرى ، ويعقد الصداقات مع الوزراء والشيوخ والنواب وكبار الموظفين .. !

والعجيب انه فى الوقت الذى كان فيه البوليس يسعى لضبطه متلبسا باحدى جرائمه العديدة كى يزج به فى السجن، كان ستافسكى يحمل فى محفظته توصية صادرة من احد كبار موظفى وزارة الداخلية الى جميع مفتشى الامن العام كى يمدوا اليه يد العون كلما طلب عونا ! ..

وكلما ذاع شىء من حوادث نصبه واحتياله خشى الموظفون ان يسترسلوا فى التحقيق معه لانهم يعرفون صلته بالوزراء والكبراء ! بل كان اعوانه واصدقاؤه يلقون فى روع المحققين انه يشتغل لحساب فرنسا فى المانيا والمجر ، وانه جاسوس سياسى يؤدى خدمات للحكومة الفرنسية !

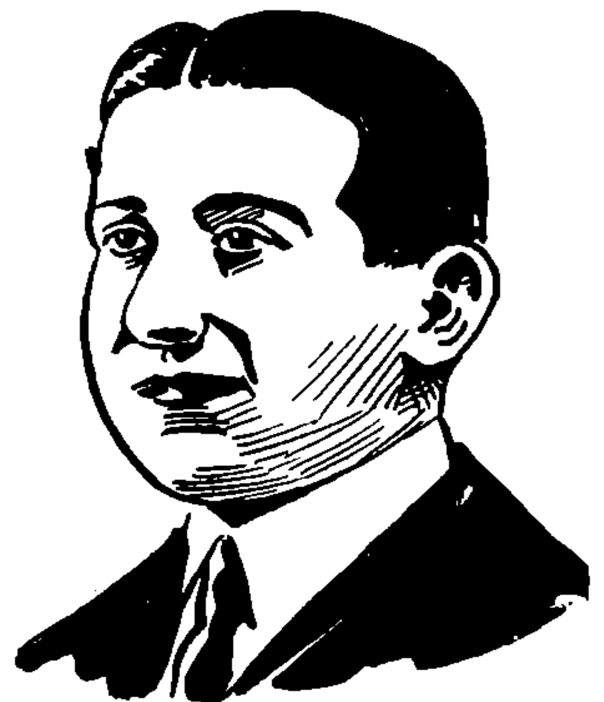
وكان ستافيسكى يطلب المال من أى سبيل ، وكان ذهنه يتفتق كل حين عن عدد لا يحصى من المشروعات التجارية التى تقوم على الخداع والاحتيال . وفى احدى الفترات انشأ عددا من حوانيت الجواهر فى «بيارتز» و «كان» و «لوتوكيه» ، فكان يبدل الجواهر الصحيحة التى تودع لديه بجواهر زائفة ..



ويشترى من اللصوص حليا مسروقة بثمن بخس ثم يبيعها بربح كبير !

القضية الكبرى

◆ **وفى** سنة ١٩٢٨ تمادى ستافسكى فى احتياله ، فتورط فى عمليات النصب الواسعة النطاق التى ادت فى النهاية الى افتضاحه وقادته الى حتفه !



ستافسكى

وقد كان ، يوم بدأ تلك العمليات، خارجا لتوه من الحبس الاحتياطى على ذمة التحقيق فى احدى التهم المنسوبة اليه ،وكان خالى الوفاض من المال ، فهداه شيطانه الى ان ينصب شباكه حول «بنك بلدية اورليان للتسليف على الرهونات» .. والمتبع فى هذه البنوك ، عندما يتقدم شخص اليها كى يقترض نقودا مقابل رهن جواهره ، أن تعرض هذه الجواهر اولا على مثمن البنك كى يقدر قيمتها، تمهيدا لتحديد المبلغ الذى يقرض نظير ارتهانها . وهذا المثمن مسؤول عن تقديراته ، فاذا لم يسدد المقترض «السلفة» فى موعدها ، يبيع البنك الجواهر المرهونة ، فاذا لم تغط قيمة البيع مبلغ السلفة ألزم المثمن بدفع قيمة العجز . ولهذا يلاحظ دائما أن المثمنين فى هذه البنوك لا يسمحون الا بسلفيات ضئيلة جدا بالقياس الى القيمة الحقيقية للجواهر المرهونة ، احتياطا لاحتمال خطأهم فى التقدير ثم احتياطا لاحتمال حدوث انخفاض غير منتظر فى سوق الجواهر فجأة !

◆**ومن** هنا كان على السيد ستافيسكى كى يحصل على سلفيات ذات قيمة مقابل مجوهرات زائفة ضئيلة القيمة ،

ان يفعل أحد أمرين : اما ان يغش المثمن فى نوع البضاعة ، او ان يجعل منه شريكا له فى الاحتيال !

فماذا فعل ستافيسكى ؟

لقد ارتكب الوزرين ، فاستطاع بالتواطؤ والغش معا أن يغرى المثمن بأن يعتمد فى تقدير قيمة الجواهر التى يرهنها ستافيسكى لديه على شهادة شركة وهمية لتجارة الاحجار الكريمة كان ستافيسكى نفسه قد انشأها فى المدينة من قبل. وتحت ستار الثقة فى اسم الشركة التجارى استطاع صاحبنا ان يرهن احجارا «مزيفة» من الزمرد لا تزيد قيمتها الحقيقية على نصف مليون فرنك ، ويحصل مقابلها على سلفيات بلغت اكثر من خمسة وعشرين مليونا من الفرنكات !

لكن رجلا مقامرا متلافا ، مثل ستافيسكى ، لم يكن ليقنع بهذه الارباح «المتواضعة» ، فخطر له مشروع آخر يدر عليه ارباحا اضخم : كان اصحاب المزارع الذين جردتهم معاهدة «تريانو» من املاكهم فى المجر ، قد اعلنوا استعدادهم للنزول عن حقوقهم ومطالبهم لمن يشتريها منهم فورا بمبلغ قليل من المال . . ومن هنا فكر المحتال الذكى فى ان يشترى تلك الحقوق بثمن بخس ، ثم يبذل مساعيه فى باريس كى تسدد الحكومة الفرنسية تلك الحقوق او تضمنها ، تحت ستار التنافس مع ايطاليا على كسب النفوذ السياسى فى بلاد المجر ! وعندئذ يمكنه هو ان يصدر من السندات ما يوازى قيمة تلك الحقوق التى ضمنتها الحكومة ، فتروج سنداته ويقبل عليها المكتتبون . . وبذلك تواتيه الثروة الضخمة السهلة التى طال اشتياقه اليها !!

ولكن كان لابد لهمن مال وفير يشترى به جميعتلك الحقوق من اصحابها فى بلاد المجر . . ففكر فى خطة اخرى جهنمية يحصل بها على المال المطلوب :

مشروع السندات المزيفة

◆ **كان** خلال تردده على كازينو «بياريتز» المشهور بالقمار ، قد تعرف على محافظ بلدة «بايـون» المجاورة ، واسـمه «جوزيف جارا» ، فلفت نظره الى ان السياح الذين يقصدون الى تلك المنطقة ويخسرون فى المقامرة قد اعتادوا أن يرهنوا حليهم ومجوهراتهم فى بنوك الرهون التابعة لبلديتى مدينتى «تولوز» و «بوردو» ، فلماذا لا يكون لبلدة «بايون» نصيب فى هذه التجارة الرابحة ؟

وهكذا ، وبذلاقته المعهودة ، اقنع ستافيسكى المحافظ بفكرته . ثم حصل منه على ترخيص بان ينشىء ـ بأموالـه الخاصة ـ بنكا للرهون يكون تابعا لبلدية بايون ، على ان يخول له حق اصدار سندات لتمويل عملية اقراض راهنى المجوهرات، ومن اليسير عليه ان يروج هذه السندات بفضـل نفوذه في الدوائر المالية والسياسية بباريس ! وقد وافقت بلدية بايون على تفصيلات المشروع وسار فعلا فى طريق النجاح ..

غير ان ستافيسكى لم يكن بالرجل الذى يقنع بالربـح الحلال ، مهما بلغ .. ومن هنا اتفق مع مدير البنك ـ وكان صنيعة له يدعى ((تيسييه)) ـ على طريقة سهلة عاجلة للثراء غير المشروع : .

كانت الخطوة الاولى أن يسعى ستافيسكى لدى وزير العمل «البير داليمييه» ـ وكان من البارزين فى حزب اليسار ـ كى يعلن تحبيذه لسندات بلدية بايون ، وبذلك صار من السهل على السماسرة بعد ذلك ان يروجوا تلك السندات مهما ارتفعت قيمتهـا .. !

وكانت ورقة السند ذاتها مقسمة الى ثلاثة اجزاء ، أو ثلاث قسائم : قسيمة تبقى لدى مراقب حسابات البنـك ، وقسيمة لدي مدير الخزانة .. والقسيمة الثالثة هي التي

تتداول فى السوق فيشتريها اى صاحب مال يرغب فى تشغيل ماله مقابل فائدة معقولة ، سيما وهو فى الوقت نفسه لا يخاطر بشىء ، وانما يضمن استرداد قيمة السند من البنك ـ او من مشتر آخر ـ فى اى وقت ، ما دامت هذه القيمـة مضمونة بالمجوهرات المرهونة التى تساوى اضـعافها فى الواقـع ـ او هذا هو المفروض على الاقل ! ـ وبهذا كان حامل السند بمثابة شخص يقرض البنك مالا كى يساعده على تسليفه بدوره لاصحاب المجوهرات ، مقابل رهن مجوهراتهم ضمانا لتسديد المبلغ . .

بئر من الذهب !

◆ **لكن** الذى كان يحدث ، شىء آخر مخالف للمفروض تماما: كان يحدث ان مدير الخزانة ـ وهو شريك لستافيسكى يدعى «تيسييه» ـ كان يتسلم دفاتر السندات من مراقب البنك (بعد ان يكون هذا قد وقعها «على بياض» ، قبل كتابة قيمتها عليها ـ كما يحدث فى بعض عمليات البنوك عادة ـ تسهيلا للعمل ، ولتوفر الثقة !) . . **وبعد ذلك كان مدير الخزانة يجرى فى تلك الدفاتر «اللازم» !.. واللازم هو كتابة رقم مبلغ صغير فى الخانة الدالة على قيمة السند فى كل من القسيمتين اللتين تبقيان فى البنك . . ثم كتابة رقم مبلغ آخر «ضخم» فى القسيمة الثالثة ، اى فى نفس السند الذى يطرح للتداول ! . . وهكذا قد يشترى شخص سهما مكتوبا عليه ان قيمته عشرة الاف فرنك مثلا ، فى حين ان قيمته الحقيقية المسجلة فى البنك ـ والمضمونة بالجواهر ـ قد لا تزيد على المائة فرنك !**

وليس على ستافيسكى بعد هذا الا ان يضع فى جيبه قيمة الفرق بين المبلغين . . وبذلك يحصل على اموال طائلة ، بلغت عند افتضاح الامر ٢٥٨ مليونا من الفرنكات ! !

الخاتمة المحتومة !

◆ **غير ان** ستافيسكي غالي فى استغلال حيلة هه السندات المزيفة ، أو هذه «البقرة الحلوب» ، بغية جمع المبلغ الذى يلزمه لمشروع المجر ! .. فلم يحل صيف سنة ١٩٣٢ حتى كانت رائحة الفضيحة قد بدأت تفوح ، والريب قد بدأت تحوم حول سندات بايون .. وشرعت بعض الصحف تندد بمشروعات ستافيسكى واعماله .. غير انه سارع الى سد افواه تلك الصحف بالمال ، فسكتت حينا عن مهاجمته !

لكن شركة تدعى شركة «اوربين» للتأمين كانت قد اشترت مقدارا كبيرا من السندات المذكورة ، فلما حامت الشكوك حولها انتهزت الشركة فرصة حلول يوم استحقاقها فطالبت برد قيمتها ! .. ولم يكن لدى ستافيسكى من المال ما يسد به هذه الثغرة الخطيرة .. فكان ذلك ايذانا بفضحه وكشف احتياله !

وعندئذ بادر مدير الاقليم الذى تقع فيه «بايون» ، الى فحص الدفاتر الخاصة ببنك الرهون .. فانكشفت امامه الاعيب التزوير .. وقبض على تيسييه .. ثم صدر بعد اسبوعين امر القبض على ستافيسكى . لكنه هرب ! .. وظل رجال البوليس يبحثون عنه من ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٣٣ الى ٨ يناير سنة ١٩٣٤ .. حتى وجدوه اخيرا فى «شامونيكس» ! .. فلما رأى نهايته ماثلة امامه اخرج مسدسه واطلق النار على نفسه ! **(وفى رواية اخرى انه لم ينتحر ، وانما اغتاله رجال البوليس الذين دهموا مخبأه ! وكانوا قد كلفوا من قبل الحكومة باخماد انفاسه ، خشية أن تفضى محاكمته الى فضح شركائه من الوزراء والكبراء واصحاب النفوذ ! !)**

وايا كانت الرواية الصحيحة فى شأن مصرعه ، فالثابت انه قد مات تاركا وراءه سلسلة فضائح كبرى لم تلبث ان

افضت الى استقالة الوزارة ! واحدثت رجة عنيفة فى الرأى العام ما يزال صداها يلوح للخاطر كلما ذكرت جرائم الثراء غير المشروع واستغلال النفوذ !

◆ **واستجابة** لضغط الشعب الغاضب لحقوقه ، الذى عبر عن سخطه لافلات ستافيسكى من العقاب بشبه ثورة صاخبة اجتاحت باريس عدة ايام ، اذعنت الحكومة لصوت الحق فأمرت بفتح باب التحقيق فى فضائح ستافيسكى على مصراعيه .. !

وبعد عام ونصف عام من التحقيقات المتواصلة ، قدمت القضية آخر الامر الى القضاء ليقول فيها كلمته ! وفيما يلى عرض تفصيلى شائق لادوار المحاكمة :

بداية المحاكمة

◆ **فى اليوم** الرابع من نوفمبر سنة ١٩٣٥ ، بعيد الظهر بدقائق ، لم تكن قاعة المحكمة الكبرى تضم الا شخصا واحدا ، وحارسا شابا من حراس الجمهورية ، ولكن هذا الحارس لم يكن قائما فى هذا اليوم على حراسة «الجمهورية» ، بل على حراسة خزانة هائلة يبلغ ارتفاعها مترين ، وتضم بين جدرانها الحديدية ملف قضية ستافيسكى الضخم ! .. وكان الحارس الشاب يتطلع الى انتهاء نوبته بقلق ، وهو يحمد الله على انه لم تقع محاولات فى الليلة السابقة لاغتصاب الخزانة ، ولو انه اصيب بالفزع منذ يومين حين ضاعت مفاتيح الخزانة من حامليها ، ولكن الله سلم فقد عثروا عليها بعد ساعة من البحث !

واخيرا حانت الساعة الواحدة بعد الظهر ، فابتدأ المحامون فى الدخول الى القاعة ، ومعهم المدعون بالحق المدنى ، وجيش من السكرتيرين والاعوان . واخيرا وصل المتهمون الطلقاء والشهود ، وفى مقدمتهم ارملة ستافيسكى ــ وكانت مرتدية ثوب حداد رائع التفصيل ، مزين بفراء «استراخان» فاخر !

وبعد ذلك دخل المحامى العام والمستشارون يتقدمهم الرئيس بارنو . واقتصر العمل فى هذه الجلسة على اجراء تمهيدي يتلخص فى القرار الذى تلاه الرئيس ، «بانه نظرا لطول المرافعات من الجانبين رأت المحكمة الحاق مستشارين احتياطيين بهيئتها ، واضافة ستة محلفين يختارون بالقرعة» .

وانسحب الرئيس والاعضاء الى حجـــــرة المداولة حيث جرى اختيار هؤلاء المحلفين بمشهد من المتهمين . حتى اذا تم ذلك دخل المتهمون المحبوسون على ذمة التحقيق والمحاكمة الى القفص .. فنرى فى الصف الاول منهم : «دى بروس» المدير السابق لبنك التسليف البلدى فى أورليان . و «فارو» المثمن السابق للبنك المذكور ، وكلاهما شيخ نيف على السبعين يبدو عليه الاجهاد ! .. وهذا هو «هاتو» ، نديم ستافسكى ، ثم هذا هو «هايوت» المدير السابقلمسرح «الامبراطورية » ، ثم الجنرال السابق «دى فورتو » ، الحائز على وسام الشرف من طبقـــــة كومندور ! أما فى الصف الثانى فنرى المتهمين بالنصب عـلى بلدية بايون وهم : مدير البنك «تيسييه» ، و «كوهين» المثمن ، و «دى جوان» عضومجلس الادارة .. أما فى الصـــــف الثالث فنرى «جارا» محافظ بايون ونائبها السابق فى البرلمان ، جالسا بين حفنة من شركاء ستافسكى ..

وما أن أعيد فتح الجلسة حتى أخذ المدعى العام فى قراءة صحيفة الدعوى التى اســــــتغرقت من الزمن أكثر من خمس ساعات !.. وكانت الخطوة التالية سماع أقوال الشـــهود ، وقد بلغ عددهم أكثر من ثلاثمائة شاهد ، من جميع طبقـــات المجتمع !.. بيد أن الرئيس تلقى أكثر من مائة اعتـــذار من الشهود ، يعتذر بعضهم عن الحضور نهائيا ، كمايطلب البعض الآخر تحديد تاريخ معين لحضوره للادلاء بشهادته ، حتى لايضيع وقته سدى ! ولهذا السبب رؤى تأجيل الجلسة الى الغد حيث

تبدأ المحكمة فى سماع الشهود ، لاسيما وقد تبين أن الشاهد الاول وهو البارون «روتشيلد» لم يحضر هذه الجلسة الاولى ٠

ليس للنساء تأثير عليه !

◆ **وفى** اليوم التالى بدأت الجلسة بملاحظات فكهة من الرئيس «بارنو» ، الذى لاحظ أن «المرحوم» ستافسكى ، ابن طبيب الاسنان الروسى ، قد استطاع بحذقه وذكائه الوقاد أن يتلمس الثغرات فى اللوائح الادارية فينفذ منها الى أغراضه ٠ كماكان ثاقب النظر فى الرجال ، وفى النساء أيضا ٠٠ بحيث لم يكن للمرأة كبير تأثير عليه !٠٠ بيد أنه كان يدرك تمام الادراك أن المرأة « آلة » نافعة وحليف قوى ، فأحسن استخدام النساء فى الحصول على انتصاراته التى خرق بها القانون !

واستطرد الرئيس بعد ذلك يشرح بوضوح تام طرائق ستافسكى فى النصب ، وأساليب احتياله على المجالس البلدية ٠٠ وقدم لذلك كله بسرد قصة تاريخه الحافلة بالمغامرة والتحايل ٠ وكان الرئيس «بارنو» واضحا جدا فى بيانه ، خفيف الروح ، بحيث استولى على مشاعر الحاضرين وأحسن تصوير الحوادث حتى أحسوا كأنهم يعيشون فيها ! ثم أردف ذلك بتوزيع ملخص مكتوب به قائمة بأسماء المتهمين وبيان التهمة الموجهة الى كل منهم ، حتى تتحدد معالم الموضوع أمام المحلفين ٠٠

المتهم الاول ٠٠ فارق الحياة !

◆ **ولما** كان المجرم الاول وهو ستافسكى قد فارق هذا العالم ، فان المتهم الاول فى قضية ستافسكى لم يكن هو ستافسكى ، بل «دى بروس» مدير بنك التسليف السابق فى أورليان ٠٠ فبدأت المحكمة فى استجوابه ، يحف به محامياه ٠

واعترف الرجل بأنه كان يتقاضى عمولة مقدارها نصف فرنك عن كل مائة فرنك يوافق على اقراضها لمؤسسة ستافسكى ، ولكنه أصر على أن هذه العمولة كانت عملا تجاريا مشروعا ، **ولم يسع رئيس المحكمة الأن ينبه المتهم والمحلفين الى أن تلك العمولة ـ التى تشبه ماكان يتقاضاه بعض مديرى المصالح فى مصر نظير مشتروات مصالحهم فى العهد السابق ! ـ من شأنها أن تغرى المدير المسئول بتضخيم العمليات كى يتضخم رقم العمولة !** وقد ارتفع بالفعل رقم العمليات فى سنة واحدة الى ٢٢ مليون فرنك ! .. كما لاحظ الرئيس أيضا أن مدير البنك «دى بروس» نسى أوتناسى الحصول على موافقة رؤسائه المختصين ، وهى موافقة كانت ضرورية فى ذلك الوقت لكل قرض يتجاوز ثلاثة آلاف فرنك ! وانه لم يكد مدير المقاطعة يلاحظ ذلك التجاوز حتى تلقى ستافسكى من دى بروس خطابا يلمح فيه الى ضرورة التفاهم مع «المراجع العليا» !!

ولم يقصر ستافسكى فى البرهنة على حسن اتصاله بتلك المراجع العليا ، والعليا جدا ، فسرعان ماوصلت الى مدير المقاطعة رسالة رسمية من وزارة التجارة تطلب اليه الغاء الحد الاقصى لسلطة مدير بنك التسليف فى عقد القروض مباشرة !

وكان لاعلان هذه الحقيقة الناطقة بمدى سلطان ستافسكي على وزير التجارة وقع هائل فى قاعة الجلسة تمثل فى همهمة استنكار ! واستطرد الرئيس بعد ذلك مبينا كيف تضخمت مبالغ القروض حتى وصلت الى عشرين مليونا لقرض واحد ! وقد بلغ من غفلة بنك التسليف بعد ذلك أن مديره دى بروس وافق على رهن مجموعة من الزمرد عددها ١٥٥ فصا ، مقدرا ثمنها الحقيقى بمبلغ ٥٣ مليونا ، مع أن الموجود فى العالم كله من هذه الاحجار الكريمة لايبلغ ذلك المقدار ! وبالرغم من هذا

فقد أقرض البنك ستافسكى نظيرها ٢٥ مليونا من الفرنكات ، مع مراعاة «الاختصار فى الاجراءات » ، بحيث لم يطلع الخبير المثمن الا على ثلاث زمردات من المجموعة كلها !

تهــديد بالانتحار !

وهنا وقف الشيخ الفانى «دى بروس» فى القفص وأعلن بصوت مضطرب أنه لم يسلم ستافسكى الاذون المزيفة الخاصة بهذا المبلغ الا لان ستافسكى دخل عليه فى مكتبه وأخـرج له مسدسا وهدده بالانتحار حيث هو ، اذا لم يعطه تلك الاذون لانقاذه من الافلاس !٠٠ فخشى المدير أن يؤدى انتحارستافسكى الى ضياع قيمة رهونه لدى البنك ، فيعرضه ذلك لهزة ماليـة عنيفة ، ومن ثم أجاب عميله الى طلبه !٠٠ وهنا خاطب الرئيس المتهم مبتسما :

ـ انك قد أعطيته أذونات مزيفة على الخزينة فى احـــدى وعشرين مرة ، ولنفرض أن ذلك كان انقاذا لمالية البنك وحياة ستافسكى ، فهـــل كان ستافســكى يؤدى أمامك فى كل مرة مهزلة التهديد بالانتحار والمسدس فى يده ؟

ـ لقد أردت تفادى وقوع الكارثة ٠ وأى انسان فى مكانى كان يفعل مافعلت !

ـ كلا ياسيدى ، فلولا أنك كنت موقنـــا من أن الزمردات مزيفة ولاقيمة لها ، لماتورطت فى هذه التزويرات الجـــديدة مهما كان التهديد ، ولما وجـــدت نفسك مضطرا لصرف أذون مزيفة على الخزينة !

ـ أنت محق فى أننى ربماكنت أبلها ٠٠

ـ كلا ! انك لم تكن أبلها ، بل مزورا ، ومزورا مع سـبق الاصرار والتدبير المنظم المحكم الذى.خولك الحصول بطـريق التحايل على امضاء مراجع الحسابات ، ذلك المراجـع الذى لم

يكن يراجع شيئا مماتفعل . لقد بعت نفسك أيها الرجـــل لستافسكى فأجدى عليك ذلك مالا بلغ مقداره ١١٣ ألفـــا من الفرنكات !

ــ بل لم أجن منه الاالسجن والخراب . كلا ، لست لصا ، وما أردت الاانقاذ البنك ، ثم كيف كنت أشك فى ستافسكى الذى كان يقول لى انه يتعشى فى المجتمع مع النواب والوزراء ؟!

ــ أفصح عن أسمائهم .

لكن المتهم يزعم أنه لايذكر .. ويصر القاضى .. ويصر المتهم على جوابه السابق .. وينتهى استجوابه عندهذا الحد !

الخبير المثمن ..

◆ **ويبدأ** بعد ذلك استجواب « فارو » ، الخبير المثمن لـدى بنك تسليف بلدية أورليان ، وهو ينتسب الى أسرة من أعرق الاسر فى تلك المدينة ، ويتمتع ــ الى ماقبـل تلك القضية ــ بسمعة طيبة جدا ! وقد حضر للدفاع عنه نقيب محـامى أورليان .

وقرر فارو ان كل الزمردات التى فحصها كانت حقيقية ، ولكنه لم يقم بفحص جميع الزمردات المرهونة ! وأضـاف انه لا ذنب له اذا كان قد ثبت من التحقيق أن الزمردات التى قام بفحصها كانت تستبدل بعد ذلك بأخرى مماثلة مزيفة توضع فى خزائن البنك .. وان الزمردات الحقيقية كان ستافسكى يستعيرها من تجار الجواهر الى أجل !

لكن المدعى العام لايقتنع بأقوال فارو ، ويرى أنه كان متواطئا ولاشك ، والا لماتمكن ستافسكى من ابدال الجواهـر التى قام فارو بفحصها وتثمينها !

وهكذا انتهت الجلسة الثانية .

استجواب ممثل !

◆ **وكان** أول المتهمين الذين استجوبتهم المحكمة فى الجلسة التالية هو المتهم الثالث « هاتو » ، وهو رجل بدين له كرش يملأ العين ، وصوت غليظ كأنه يخرجه من بطنه ! وكان هاتو قد احترف التمثيل فى صدر شبابه ، حتى اذا وضعت الحرب الأولى أوزارها جمعته المقادير بستافسكى فجعله له نديما وخدينا ، وكان يسخره فى مغامرات النصب للقيام بأعمال تتفق ومهنته الاولى على خشبة المسرح ، فكان من أهم تلك الادوار دور سكرتير أحد ثراة البرازيل ، وقد زعم أنه كلفه برهن مجموعة جواهره عن طريق أحد بيوت المال ، وكان هذا البيت هو مؤسسة ستافسكى فى أورليان !

وكانت اجابات الممثل وحركاته تدل على السذاجة والبوهيمية ، وانه ارتكب ما ارتكب غير مفكر فى العواقب ، وانما هو دور فى رواية أسند اليه فسره أن يقوم به من أجل صديقه ، وحنينا الى فنه القديم ! وقد أصر أيضا على أن ستافسكى لم يكن يطلعه على أسراره ، وانه كان يعتقد أن ستافسكى رجل أعمال شريف وغنى ، وان الجواهر التى يتعامل فيها غير مزيفة :

ـ لقد رأيت هذه الجواهر ياسيدى الرئيس ، وأقسم انها كانت غاية فى الجمال ، ولا أعتقد أن أى جواهر حقيقية يمكن أن تكون اجمل منها ، فكيف كنت أشك فيها ؟! .. ثم انى لم أكن حاضرا حين فحص الخبير فارو الجواهر ، بل بقيت فى غرفة الانتظار ، اذ ماذا يعنينى من رجل يضع منظار الخبراء على احدى عينيه ، وأنا رجل فشلت طول حياتى فى لبس « مونوكل » بسيط ؟ أقسم أننى كنت فى جميع جلسات التثمين أظل فى خارج الغرفة ..

ـ لقد كنت اذن ممثلا لايبرح الكواليس ؟ ولكن خبرنا

مامقدار ربحك من مساعدة ستافسكى فى هذه العمليات ؟
ـ كان مرتبى ضئيلا ، فلم أكن الا موظفا عنـــده ، وكنت لاأعرف شيئا عن أسرار العمل ، فلماذا يجزل لى العطاء ؟
وهكذا انتهت أقوال هاتو ، وجاء دور الشريك الاساسى فى جميع عمليات الاحتيال التى قام بها ستافسكى ، ويدعى :

« **هايوت !** »

◆ **وهو** رجل ذكى ، حاضر البديهة ، سريع النكتة ، ابتدره الرئيس قائلا :
ـ انك صديق ستافسكى ، صديق السراء والضراء · ولهذا أسألك قبل كل شىء : «هل تعترف بأنك استفدت من سـخاء ستافسكى مع علمك بمصدر أرباحه » ؟
ـ بل أنكر هذا كل الانكار ، فانى أعرف ستافسكى منـــذ سنة ١٩٢٥ ، وكان عمرى ٢٣ سنة ، فاستخدمنى مديرا لشركة تموين لم تلبث أن أفلست · ولكن ادارتى فى حدود اختصـاصى كانت سليمة قانونيا ، ولا علم لى بأى خرق للقـوانين قام به ستافسكى فى تلك الشركة · واذا كنت فى سنة ١٩٢٦ قـد أصبت برشاش فى قضية سرقة أسهم ، اتهم فيها ستافسكى ، فاننى انما أردت مساعدته بدافع أخـــوى صرف ، ثم حفظت القضية ضدى بعد ذلك ·
ثم شرع هايوت بعد ذلك يروى للمحكمة كيف افتتــح ستافسكى مسرح الامبراطورية ووكل أمره اليه ، وكيف أفلس على يديه ! ثم كيف أسس بعد ذلك « اصطبلا » لخيول السباق عهد به اليه أيضا ·· ثم كيف استقر به المطاف أخـيرا مديرا لمؤسسة ألكس (وهو الاسم المستعار الذى انتحله ستافسـكى حين أنشأ المؤسسة لاخفاء ماضيه الحافل الذى يتنافى مع نقـاء سمعة رجال المال) ·· وكيف ارتفعت جملة المبالغ التى تعـامل بها بوصفه مديرا لتلك المؤسسة الى أكثر من عشرين مليون فرنك !

فلما واجهه الرئيس بفواتير تثبت أنه كان يشـــترى زمردات مزيفة باستمرار فى اليوم السابق لتـاريخ كل طلب قرض من بنك التسليف البلدى ، وايصالات تثبت اقتراضـه زمردات صحيحة من تجارالجواهر فىتاريخ كليوم منأيام فحص الرهونات بواسطة الخبير المثمن ، لم يزد عـــلى أن ابتســم ابتسامة صفراء ٠٠!

أمافيما يتعلق بعمليات أذون الخزينة المزورة ، فقد صمم هايوت على أنه يجهل كل شىء يتعلق بها ، وأصر عـلى الانكار حتى حين واجهه رئيس المحكمة بأنه هو الذى تولى بيع ماقيمته خمسة ملايين فرنك من هذه الرهون للجمهور المخدوع !

ـ وكيف أتعامل فى كل هذه الملايين وأنا لاأملك اليــوم ثمن قميص ؟

ـ انك لم تكن تملك ثمن قميص فى سنة ١٩٣٠ حينمـــا تزوجت ، واذا بك بعد قليل تستأجر مسكنا خاصا أشـــبه بالقصور ايجاره خمسة وثلاثين ألف فرنك ، وثمن الاثاث فيــه ٨٠ ألف فرنك ٠ وقد اشتريت من الملابس فى ٢٨ شـــهرا ماقيمته ٨٣ ألف فرنك !

ـ لاأنكر اننى أحب الاناقة ، وهى ليست جريمة !

وضجت القاعة بالضحك لهذا الجواب ٠٠

ولماسأله بعض المحامين عن الشخصيات الكبيرة التى كان يراها فى صحبة ستافســكى ، لاذ بالصمت ورفض التصريح بأسمائهم !

صلة ستافسكى بالوزير « بيير لافال » !

◆ **ونودى** بعده المتهم الرابع « الجنرال دى فورتو » ، الــذى جرد من رتبته العسكرية ، ولكنه لم يتجرد من طبيعة المقاتل ٠٠ فانبرى يدلل للمحكمة على براءته قائلا :

ـ لست الا كبش الفداء فى هذه القضية ، زج باسمى فيهـا

لغرض سياسى بحت ، كى تنصرف الاذهان عن تعقب المجرمين الحقيقيين ٠٠ مع أننى مواطن مخلص شريف ، كان أبى وزيرا ، وأبليت فى الحرب بلاء سجلته بلاغات الحربية بالثناء المستطاب !

والواقع أن دى‌فورتو كان عضو مجلس الادارة فى‌مؤسسة ستافسكى ، والتهمة الموجهة اليه تنصب على أنه اشترك ـ مع علمه بموضوع الجريمة ـ فى صرف قيمة أربعة أذون مزيفة قيمتها خمسة ملايين فرنك ، نظير ربح شخصى له مقداره عشرة آلاف فرنك !

ـ أقسم الى آخر رمق من حياتى أنه لم يكن لى علم بتزييف هذه الاذون الصادرة عن هيئة رسمية ٠ واننى كنت أثق فى ستافسكى ثقة عمياء ، لاسيما وقدكنت أراه على‌صلة بشخصيات عظيمة ، منهم مسيو «بيير لافال (١) » الوزيرالسابق ! وكيف يخطر ببالكم أننى كنت أخاطر بالوقوف فى هذا الموقف المشين لوأننى علمت أنهـا أذون مزورة ؟ ثم كيف تكون مزورة وهى صادرة من هيئة رسمية ؟ انها قد تكون غير سليمة ، أوخاطئة ، ولكنها لايمكن أن تكون مختلقة مثل أوراق النقد المزيفـة ! ولم نكن نحن‌وحدنا المتجرون فى هذه الاذون ، فلماذا لم يتعقب القانون الآخرين ؟ أترى تكيل العدالة بكيلين فى‌هذا الزمان ؟ ولماذا لم تتعقب النيابة ستافسكى منذ سنة ١٩٣١ ؟

وعند هذا الحد انتهت أقواله ، فرفعت الجلسة على أن‌تعود للانعقاد فى اليوم التالى

قضية بنك بايون

◆ **وكان** الدور قد حل لنظر الشق الثـانى من القضية ، الخاص بحوادث الاحتيال على بنـك تسـليف بلدية بايون ،

---

(١) هو مسيو لافال الذى صار فيمابعد رئيسا للوزارة ثم اعدم بعد الحرب الاخيرة بتهمة الخيانة العظمى والتعاون مع الالمان !

فاستدعى الامر اعادة استجواب المتهم الاول دى بروس :
ـ يبدو أنك كنت همزة الوصل بين بنـــك تسليف بلدية أورليان وبنك تسليف بلدية بايون ؟
ـ ليس هذا صحيحا على الاطلاق .
وجلية الامر أن دى بروس كان قـــد ترك وظيفته فى أورليان ، فأوفده ستافسكى الى بايون حيث بدأ بشراء أثاثات للمؤسسة الجديدة قيمتها ٢٠ ألف فرنك ، بعـــد أن أفهمه ستافسكى أن هذه المؤسسة لها رأس مال محترم و « ســند » محترم أيضا فى شخص السيد «جارا» نائب بايون ومحافظها ! .. ثم عرض ستافسكى على دى بروس منصب المدير فى بنـك تسليفها البلدى ، فقبل دى بروس ذلك العرض .
ـ فأنت اذن قد قبلت العمل مع ستافسكى من جـديد فى بايون ، بعد الذى كان بينك وبينه فى أورليان ، حيث ساعدته فى اصدار أذون مزيفة على الخزينة قيمتها ٢١ مليونا ؟!
ـ ان ثقتى به كانت لاتزال مطلقة ، يضاف الى هـــذا أن تعيينى مديرا لبنك تسليف بلدية بايون لم ينل قبولا لـــدى مدير المقاطعة ، فتمكن ستافسكى من تعيين شخص آخـــر هو تيسييه .. ولماكان تيسييه صديقا لى فقد توليت أنا تدريبه على منهاج العمل .
ـ على منهاجك الخاص طبعا ؟ ومن هذا القبيل اصدار أربعة أذون بأربعة ملايين من الفرنكات ، دون أن تكون هناك حـركة قروض تجعل البنك فى حاجة الى ذلك المبلغ الجسيم ، وبدون موافقة من مديرية المقاطعة على اصدار أذون بهذه المبالغ الضخمة ؟
ـ ان النائب جارا قال لى ان هناك عملاء سيقترضون خمسة ملايين فرنك ـ مقابل رهن جواهرهم ـ فلم أجـــد مغالاة فى اصدار أذون بأربعة ملايين .
وبذلك انتهى استجواب دى بروس، وبدأ استجواب تيسييه

مرتبه السنوى ٤٠ ألف فرنك !

◆ **وبرز** تيسيبيه من الصف الثانى فى القفص الى الصف الاول ، فاذا هو رجل فى الثانية والستين جميل الصورة ، نموذج خالص للباريسى الاصيل ! فى تصفيف شعره وتنسيق شاربيه أناقة ملحوظة ، فى غير مغالاة أو ابتذال ، وهو الى هذا يبدو هادىء الاسارير ، رزينا ، جادا ٠٠

وقد بدأ بعرض طويل لتاريخ معرفته بستافسكى ، وكيف بهر أنظاره ببذخه وبطانته حين عمل تيسيبيه فى شركة من الشركات القديمة التى كان يديرها المحتال ٠٠ حتى اذا كان شهر أبريل سنة ١٩٣١ عرض عليه ستافسكى وظيفة مدير بنك تسليف بلدية بايون بمرتب ٤٠ر٠٠٠ فرنك فى السنة ، بخلاف المسكن والاضاءة ٠ وكان التعيين تحت التمرين لمدة بضعة شهور ٠

وبدأ رئيس المحكمة يناوشه بالاسئلة :

ـ كم تكلفت الخزانة العامة للبلدية من جراء اصدار السندات المزيفة ؟

ـ لاأدرى بالضبط ٠ وان كنت قد سمعت أنها تكلفت مائتى مليونا ٠

ـ بل أكثر من مائتى مليون ٠

ـ لاشأن لى على كل حال بهذا كله ، فان «جارا» ، وهو نائب المدينة ومحافظها ورئيس مجلس ادارة البنك أصدر الى الاوامر فنفذتها ، لإنه رئيسى الاعلى بطبيعة الحال

ـ لا طاعة لرئيس على مرءوس فى معصية للقانون ٠ وأنت تعلم حدود القانون فى هذا الامر لانك محاسب قانونى !

ـ لقد علل لى « جارا » ضرورة التفرقة بين الرقم المكتوب على قسيمة البنك والرقم الآخر المكتوب فى قسيمة العميل بأن

الفرق لازم لتمويل عمليات سرية فى باريس لاسبيل الى اثباتها فى الدفاتر ٠

ـ لاأظنك أنت أيضا تريد أن تدعى حسن النية ؟

ـ انى لم أقبض شيئا من هذا المال الحرام ٠

فكان جواب الرئيس على هذه الجرأة ابتسامة تدل على أنه يدخر لهذه النقطة رأيا آخر وهجوما آخر ٠ فالمفهوم لدى النيابة أن تيسييه لم يكن ليجهل أن الزمردات المرهونة مزيفة ، كأخواتها المرهونة فى أورليان ، والا لما أصدر الاذون المزيفة ٠ وقد واجهه الرئيس بهذه الحجة ، فاحمر وجهه وارتعدت يداه ، ولاذ بالصمت !٠٠ فقال له الرئيس :

ـ خير لك أن تعترف بالحقيقة ٠ ولست أقول ذلك كى أستدرجك ويكون لى فضل انتزاع الاعتراف منك ، بل مراعاة منى لماضيك ٠٠ فقد كانت لك فى الحرب صحيفة مشرفة وحصلت على النوط التذكارى !

وبدا الاضطراب على وجه تيسييه ، وزاد احمرار وجهه واضطراب يديه ٠٠ وبدا على زجاج منظاره مايشبه الضباب لما غشى عينيه من الدمع ٠ فهل تكلم واعترف ؟ كلا ٠ بل لاذ بالصمت ٠ فصاح به الرئيس :

ـ ان شريكك فى التهمة ـ المثمن هنرى كوهين ـ اعترف بأنه قدر الزمردات بأكثر من قيمتها كثيرا بناء على أمر منك ! وانك أكدت له أن الموضوع لن ينكشف ، لان الزمردات ستسحب وتدفع قيمة الرهن فى الوقت المناسب !

ـ وماقول الرئيس فى أن مندوبا من وزارة التجارة زار البنك وأثنى على طريقته فى العمل ، وأوصى بالتوسع فى هذه العمليات ؟

ـ أذكر لنا تفاصيل هذه النقطة ٠

ـ لقد أقيمت لمناسبة حضور مندوب وزارة التجارة ، وهو

السيد قسطنطين ، مأدبة غداء تكريما له برئاسة السيد جارا نائب بايون ومحافظها فى نفس الوقت • وكان بين الحاضرين وكيل المقاطعة ، ومدير الايرادات ، ورجال المحافظة ، وأعضاء مجلس ادارة البنك • وكنت أنا شخصا عاديا ، بل انى لم أجلس الى مائدة الشرف الكبرى ، ممايدل على أن مابين السيد قسطنطين ومجلس ادارة البنك لم أكن أنا طرفا فيه ، فلوكنت طرفا فى التواطؤ لاجلسونى بينهم !

الزمردات السبع الحقيقية !

◆ **وحينئذ** هب أحد المحامين طالبا سماع شهادة السيد قسطنطين ، فوافق الرئيس على ذلك • ولكنه التفت الى « تيسييه » قائلا :

ـ ولكن ذلك لاينفى أنك أصدرت سندات مزورة بأكثر من مائتين وثمانية وثلاثين مليونا •• وانك كنت تزور أو تقلد امضاء المراجع « بيبيه » ، الذى بلغ من اهماله ألا يراجع السندات وأن ينسى توقيعها !•• وانك حاولت تصريف بعض هذه الاذون بنفسك • يضاف الى هذا أنك رددت الى ستافسكى سبعة رهون من الزمرد دون أن يسدد قيمة القروض المستحقة عليها !

ـ أعترف بأن الشطر الاخير كان اجراء غير سليم ، ولكنى أقدمت عليه اطاعة لامر رئيسى النائب جارا •

ـ انه ليس مجرد اجراء غير سليم •• فان هذه الزمردات كانت هى الجواهر الوحيدة ذات القيمة الحقيقية بين جميع ودائع ستافسكى !

ـ انه خطأ وقع منى بحسن نية ، وعن غفلة فى اطاعة رئيسى « جارا »

وهكذا انتهت أقوال تيسييه ، وبدأ المحامون يمطرونه بالاسئلة ، بيد أن محاميه طلب اليه أن يشرح للمحلفين معلوماته

عن بطانة ستافسكى ! وكأنما كان تيسييه ينتظر هذا السؤال بفارغ الصبر ، فقد اندفع يقول :

ـ لقد قال لى ستافسكى ذات يوم ونحن فى محطة سكة حديد « بايون » انه مسافر الى « بواتييه » كى يقابل السيد «هولان» ، ويجتمع بوزير العمل «فرانسبوا البير » ، كى يقدم للاخير خمسة ملايين فرنك يدعم بها جريدته ٠ فلم يكن فى وسعى أن أرتاب فى رجل مثل «جارا» وهو النائب والمحافظ ، ولا فى ستافسكى الذى يختلط بالنواب والوزراء ويبدى له جميع الموظفين فروض الاحترام !

وبهذه الكلمات انتهى دور تيسييه ، فأخلى مكانه لشريكه : المثمن كوهين !

فى الدنيا نساء شريفات !

◆ **وكان** المثمن كوهين رجلا قصيرا هزيلا ، تحفل صحيفة سوابقه بعدة أحكام فى قضايا نصب وتبديد أمانات وحجوزات واصدار شيكات بدون رصيد والاعتداء على أفراد الضبطية القضائية ٠٠ الخ

وشرح كوهين بالتطويل كيف عرف ستافسكى معرفة جوار فى السكن ٠ ثم اعترف بأنه غالى فى تقدير الزمردات التى عرضها للرهن ، ولكنه قرر أن تيسييه كان يزور بعض تقارير التثمين !٠٠ وانه رأى بعينيه تقارير ليست بخطه ولابخط والده الذى كان مثمنا قبله ثم توفاه الله ٠ فلما فاتح تيسييه فى ذلك طمأنه هذا بأن ستافسكى سيسوى كل هذه الحسابات فى شهر سبتمبر ٠٠ فاطمأن ولم يمانع فى المسايرة ، ثقة منه بصديقه ستافسكى ، الذى **أقنعه أنه بسبيل انشاء مؤسسة جديدة تتولى تسديد جميع هذه القروض ، وسيكون على رأسها سفير الفاتيكان وبعض مستشارى مجلس الدولة والمديرين والوزراء السابقين !**

ويلاحظ أن كوهين لم ينكر أنه مذنب ، ولكنه ادعى أنه كان معذورا ومجنيا عليه ، لوقوعه تحت تأثير ستافسكى الذى بهره بالاوساط العالية التى يعيش فيها ، وبشخصيته وثرائه وبذخه !

ـ لقد كان هذا الرجل ساحرا ياسيدى الرئيس ، فلو أنه حدثك ساعة واحدة فقط ، لاستولى على ارادتك ياسيدى الرئيس وسخرك وفق هواه !

وضجت القاعة بالضحك ، بينما استأنف كوهين كلامه :

ـ تصور ياسيدى الرئيس ان البارون امبان صاحب شركة المترو فى باريس وضاحية هليوبوليس فى مصر أخرج فى سبتمبر سنة ١٩٣٢ من كازينو «بياريتز» ، بعد مشادة بينه وبين سيدة يبدو أنه احتضنها أثناء الرقص أكثر ممايليق ! وكانت هذه السيدة بالصدفة امرأة شريفة ، وفى الدنيا نساء شريفات ياسيدى الرئيس ..

وضجت القاعة بالضحك مرة أخرى ، بينما استطرد الشاهد :

ـ ... فاذا بستافسكى يمسك التليفون ويتحدث مع باريس بضع دقائق ، فتح على أثرها باب الكازينو أمام البارون على مصراعيه !.. بل هناك أكثر من هذا ياسيدى الرئيس ، وهو اننى أصغيت ذات يوم لصوت ضميرى فكتبت الى ادارة الامن العام أعرض عليها الادلاء بمعلومات خطيرة . واذا بستافسكى يوبخنى بعد ذلك توبيخا شديدا ، فدهشت كيف عرف الحقيقة وأنكرت . وعندئذ أخرج ستافسكى من جيبه خطابى الى ادارة الامن العام وأطلعنى عليه ، فشعرت أننى أسير هذا الرجل الذى لايغلب ! بل ان هناك ياسيدى الرئيس أشياء أعجب من هذا ولكنى لاأملك التصريح بها لاننى لاأملك الدليل عليها .

ــ بل صرح بكل مالديك ولا تخف ٠

ــ أعلم اذن اننى بعت لستافسكى جملــة مجوهرات كى « يهديها » لفريق من النواب ، لاأذكر منهم فىهذا المقام الاسم النائبفرانسوا ألبير !**واعلم أيضا ياسيدىالرئيس أنستافسكى كثيرا ماكان يتعشى مع السيد « سير » وزير التجــارة ونجله ، وان المفتش قسطنطين كان دائم التردد على مكتبه ! فاذا راعيت كل هذه الاعتبارات ياسيدى الرئيس لم تستطع أن تديننىبنية خالصة وضمير مستريح ٠٠**

ولم يجبه الرئيس بشىء بطبيعة الحال ٠٠ فجلس كوهين، ولم تلبث أن رفعت الجلسة ٠٠ وقد أثرت معــــلومات كوهين وأقواله الاخيرة فى الرأى العام تأثيرا مدويا !

مفتش البوليس ٠٠ موظف عند ستافسكى !

◆ **وبدأت** الجلسة التالية بسماع أقوال «دى جوان » مفتش البوليس الذىاتهمته النيابة بأنه كان منمحاسيب ستافسكى٠ وقد اعترف أنه كان يعرف ستافسكى من زمن طويل ، وانه كان لايناديه الا باسم اسكندر الذى انتحــــله تخلصا من اســـم ستافسكى المشبوه ! وكان علىعلم كذلك بجميع سوابقه القديمة فى النصب والاحتيال ٠ وكانت لستافســـكى اليد الاولى فى اعادته الى الخدمة العاملة من الاستيداع !٠٠ كما اعترف الشاهد أنه عمل موظفا لدى ستافسكى أثناء مدة الاستيداع ، ثم قبــل بعد ذلك أن يكون مندوب الحكومة فى مجلس ادارة بنــــك التسليف فى « بايون » ، مع اطلاعه على حقيقة ستافســـــكى وتصرفاته المالية !

ولكن «دى جوان» أصر على أنه لم يقبل العمل الا عــــلى أساس نظافة العمليات المالية وسلامتها قانونيا ٠٠ وهنــــا انبرى الرئيس لتفنيد هذا الزعم من واقع مستندات البنــك ، ومنها يتضح أنه أجاز رهن لآلىء صناعية على اعتبار أنهـــا

طبيعية ، وان ستافسكى كان يدفع له ايجار منزله الذى يبلغ ١٦ ألف فرنك ، بخلاف نسبة فى الارباح بلغت مبلغا ضخما !

ولم يكن مفتش البوليس السابق رجلا موهوبا فى صناعة الكلام ، فكان الجمهور يضحك من اجاباته ٠٠ ولم يطل استجوابه فانه لم يلبث أن أخلى مكانه لمتهم أخطر منه هو النائب «جارا» !

يتراشقان بالتهم !

◆ **ونودى** نائب بايون ومحافظها السابق ، الذى اشتد هزاله فى السجن حتى صار يخب فى ملابسه الواسعة جدا ٠٠ فوقف معتمدا على عصاه ، يصغى فى صمت لتلخيص الرئيس لتاريخ حياته الاجتماعية والسياسية ٠٠ ثم عقب على كلام الرئيس فشرح للمحكمة كيف فكر فى سنة ١٩٣٠ فى انشاء بنك تسليف فى بايون ، لقربها من « بياريتز » ، التى يكثر بين زبائنها من تدفعهم الخسارة فى القمار الى رهن جواهرهم ٠ **وكيف ان وزير التجارة أقر هذه الفكرة وشجعها ٠ وكيف ان ستافسكى ــ الذى عرفه باسم اسكندر ــ بدا له فى مظهر السائح الغنى الذى ينفق ببذخ فى كازينو بياريتز ٠٠ وكيف قدمه اليه صديق مشترك من النواب السابقين ــ أبى أن يذكر للمحكمة اسمه !** ــ وتطرق الحديث الى فكرة بنك التسليف ، فاذا بالسيد اسكندر من الخبراء فى هذه المؤسسات :

ــ وراح يحدثنى عن النجاح الباهر الذى أحرزه فى أورليان ، وعن فوائد ذلك المشروع لمدينتنا ماديا واجتماعيا ، فوثقت به وصدقته لاننى رأيته متصلا بأرقى الدوائر السياسية والدبلوماسية !٠٠ بل كانت له صلات قوية بالاوساط المحترمة فى القضاء العالى ٠ ولو أننى طلبت معلومات عنه من ادارة الامن العام لشهدت فى حقه أحسن شهادة ! وقد أكون متساهلا أو مفرطا لانى وثقت برجل لا أعرفه معرفة أكيدة ، لكن ذلك ليس جريمة تستحق العقاب ٠

ـ على رسلك ‥ فاننا لم ندخل بعد فى موضوع الجـــرائم المنسوبة اليك !

فلم يكترث جارا لهذه الملاحظة من جانب الرئيس ، وانما انطلق فى لهجته الخطابية التى حذقها من اشتغاله بالسياســة طيلة ربع قرن :

ـ لقد صدقت ماقاله لى ستافسكي من أن هـــذا الاقبـــال على رهن الجواهر وبهذه القيمة العالية ناتج عن نشوب الثـورة فى اسبانيا ، وخوف وجهاء اسبانيا من نتائجها ، بحيث أخرجوا كنوز آبائهم وعرضوها للبيع أوللرهن ! ولكنى لم أهتم مطلقـا بتتبع أرقام السندات أوالقروض ، كماينسب الى المدعى العام ذلك

وهنا هب تيسييه محتجاً ، فقال جارا :

ـ انه يريد أن يهرب من المسئولية بالقائها على كاهلى !

وأخرج من جيبه خطابا صادرا من تيسييه بتـــاريخ ١٣ ديسمبر سنة ١٩٣٣ ، قدمه للرئيس وهو يقول :

ـ كنت قد طلبت من تيسييه بيانا بقيمة السندات المتداولة ، **فرد على بهذا الخطاب مقررا أنه أقل من خمسة وعشرين مليون فرنك ٠ مع أن الواقع أنه كان أكثرمن ٢٣٨ مليونا ! وهذا يدل على أننى كنت ضحية خداع تيسييه ، ولم يكن هو ضــحيتى !**
وأؤكد للمحكمة أننى لم أكن أعرف حقيقة ستافسكى وعملياته المالية . اما موافقتى على تعيين دى بروس مديرا للمصرف، فكان الدافع اليها انه خبير بذلك العمل ، فقد تولى ادارة مصرف أورليان ٠ وكانت شهادة وزارة التجارة على لسان مفتشـــها العام قسطنطين تشيد بكفاءة دى بروس ٠ كذلك سمعت ثنـاء على تيسييه فلم أمانع فى ترشيحه لذلك المنصب حينما رفض مدير المقاطعة تعيـــين دى بروس ٠ ولا أنكر أن اســـكندر (ستافسكى) هو الذى زكاه عندى ، فقد كنت مخدوعا فيــه ، شأنى فى ذلك شأن الناس جميعا ‥

ــ وهل من مقتضيات ذلك أن تدلى الى مجلس ادارة البنك بوصفك رئيسا له ببيانات مضللة ، فتزعم أن لديك مكتتبين بمبلغ خمسة ملايين فرنك ، كي يوافق مجلس الادارة على اصدار سندات جديدة بملايين الفرنكات ؟ ثم بعد ذلك تشطب من محضر تلك الجلسة اسمك لتضع مكانه اسم دى بروس ؟

فلم يحر جارا جوابا .. وتصبب جبينه عرقا !

◆ **وبهذا** رفعت الجلسة ، كى تعود للانعقاد فى اليوم التالى. واذا «جارا» يشغل الخواطر بانكار ماجاء على لسانه فى التحقيق الذى أجرته النيابة من اعتراف بالتزوير فى أذون الخزينة ومن حمايته للتزوير الذى قام به تيسييه بتقليده امضاء المراجع .. كما أنكر جارا صدور خطابات تتضمن اعترافه بهذه الوقائع ، مما حدا بالرئيس الى ندب خبير فى الخطوط لحسم هذا الموضوع !

وغالى جارا فى تمثيل دور الحمل البرىء ، فأعلن فى لهجة مسرحية ماسبق أن قرره من طهارة ذمته :

ــ ان كل ذنبى أننى لم أهتم بما لايعنينى من التفاصيل ، ولكننى لم آت الى هنا لهذا السبب ، ولازلت فى انتظار تقديم الدليل على ادانتى أو اشتراكى فى الجريمة المزعومة !

فجابهه الرئيس بكل هدوء بأنه لايمكن اتهام تيسييه وحده بتزوير السندات ، لان جارا قد أصدر أذونا بأربعة ملايين فرنك قبل أن يصدر أمر تعيين تيسييه مديرا للمصرف ، وذلك فى اليوم التالى لافتتاحه ! بل انه فضلا عن ذلك قد ضخم ميزانية المصرف من عشرين مليونا الى ثمانين مليونا فى سنة واحدة هى سنة ١٩٣٢ ، كى يوهم المكتتبين فى السندات المزيفة بأن حالة المصرف مزدهرة كل الازدهار !

ــ فاذا لم يكن هذا هو الاحتيال والغش فماذا يكونان ؟.. ولاتنس أنك اعترفت فى التحقيق بسفرك فى يولية سنة ١٩٣٣ برفقة ستافسكى لمقابلة وزير العمل ومدير الضمان الاجتماعي كي يأمرا بالاكتتاب في سندات بايون المزيفة !

ـ انى أنفى أننى فعلت ذلك ، مع ان وزير العمل فى ذلك الوقت (فرانسوا البير) كان من رجال حزبى السياسى !

ـ وهل تنكر أيضا أنك قمت بتهدئة خواطر حملة السندات المزيفة حين طالبوا بالسداد مؤكدا لهم الحصول على حقهم فى ديسمبر سنة ١٩٣٣ ؟

ـ لاأنكرذلك ، ولكنى كنت معتمدا على قيمة الجواهر المرهونة. وتحت يدى خطاب أقدمه للمحكمة بتاريخ ٢١ نوفمبر سنة ١٩٣٣ صادر من وزير التجارة ردا على طلبى مراجعة عمليات البنك ، يقول فيه ان تلك المراجعة سابقة لاوانها وليس لها داع . مما يدل على أن عملية البنك كانت سليمة فى مظهرها ، وأنا رجل سياسى غير مختص فى المسائل المالية فكان من الطبيعى أن لاأكتشف التلاعب من تلقاء نفسى . وهل يعقل اذا كنت شريكا فى التزييف أن أطلب بنفسى المراجعة ؟

ـ ان المراجعة الحسابية لايمكن أن تكشف التدليس ، لان القسيمتين الموجودتين فى البنك تحملان أرقاما متطابقة وذات قيمة متواضعة !

ـ من الثابت أننى لم أفد ثروة من وراء تقلدى رياسة مجلس ادارة البنك . بل لقد حجز على مكافأتى البرلمانية فى يونية سنة ١٩٣٤ سدادا لدين على ، فأقرضنى اسكندر مائتى ألف فرنك . فلو كنت شريكه فى التزوير لماكانت بى حاجة الى هذا القرض !

ـ ولكن عند القبض عليك وجدت عندك ثروة تقدر بأربعمائة ألف فرنك . فكيف تعلل هذا ؟

ـ ان لى شقيقة ثرية أهدتنى هذا المبلغ لاصلح به شأنى .

◆ **فلما** انتهت أقوال جارا ، قام الرئيس بمواجهته مع تيسييه كى تتضح الحقيقة فى مسألة الخطاب الذى قدمه جارا بخط تيسييه وفيه بيانات غير حقيقية عن سندات البنك ، تقل

كثيرا عن قيمتها المزورة • فقال تيسييه :
ـ لقد كتبت هذا الخطاب كما أملاه على السيد جارا تليفونيا• ولم يكن أمامى الا اطاعة نائب المدينة ومحافظها ورئيس مجلس ادارة البنك فى الوقت نفسه ، فهو منى بمثابة الاسد من « النملة » ! وقد كان هذا شأنى دائما فى كل ما يأمرنى به السيد جارا •

وكانت لهجة تيسييه تنبىء عن الصدق • ولكن المتهم «هايوت» يتدخل لصالح جارا فيقرر ان ستافسكى كان قد اعترف له بأنه أوهم تيسييه بأن جارا على علم بكل شىء ، حتى لايتردد فى تنفيذ المطلوب • ولكن الواقع أن جارا لم يكن يعرف شيئا !

يؤمن على حياته بثمانية ملايين فرنك !

◆ **وجاء** دور المتهم التالى «جيبان» مدير مؤسسة « الثقة » للتأمين ، فبدأ حديثه بالاحتجاج على تقرير المفتش يونى الذى عزا اليه أنه كان ينفق عن بذخ ، وأقسم أنه كان يديرالمؤسسة بكل أمانة ، وان ذمته طاهرة من كل شائبة !

وقد التقى جيبان بستافسكى لاول مرة فى سنة ١٩٢٩ ، حين اتصل ستافسكى بالمؤسسة فى بضع عمليات ، **وكان ستافسكى مؤيدا من وزارة العمل !•• كما ان مجلس الادارة كان ميالا الى اتمام الصفقة ، فلم يجد جيبان مانعا من اتمامها • وفى سنة ١٩٣٠ اشترت شركة الثقة للتأمين أول اذن من أذون أورليان المزيفة وقيمته مليون فرنك • ثم توالت بعد ذلك عمليات الشراء حتى قاربت أحد عشر مليونا فى مارس سنة ١٩٣١** • وفى يوليو التالى جاء ستافسكى الى مكتب شركة الثقة وسدد خمسة ملايين فرنك قيمة هذه الاذون •••

« ووضع ستافسكى كومة أوراق النقد علىالمكتبوسألنا :
« ماذا أنتم صانعون بهذا المبلغ ؟ يجب أن تشتروا به سندات

على خزينة بلدية بايون التى ستصدر عما قريب » ووثقنـــا به فاشترينا سندات بلدية بايون ! »

وهكذا تبين أن شركة الثقة للتأمين كانت هى العميـــل الذى قرر جارا لمجلس الادارة يوم افتتاح البنك أنه سيشترى سندات بخمسة ملايين فرنك ٠

وراح جيبان يصف الجو الذى كان يعيش فيه ستافسكى، وكيف كان يختلط بأرقى الاوساط ٠٠ وكيف أمن على حيـاته فى شركة الثقة بثمانية ملايين فرنك ، الامر الذى حدا بجيبان أن يكون شديد المجاملة لهذا العميل الضخم ! **ثم حكى للمحكمة كيف دخل ستافسكى يوما كازينو القمار فى «كان» ، فوجـد مائدته بقاعة الطعام قد شغلها قنصل أمريكا ، فاذا بمدير المطعم ورئيس الخدم وجميع الموظفين يسرعون باجلاء القنصل عن المائدة قبل أن يتم طعامه !** »

وأكد الشاهد أنه كان يتصل تليفونيا بتيسييه عندشراء كل سند من سندات بايون يحمله اليه ستافسكى ، للتـأكد من ملكيته له حقـا ٠ وهكذا انزلق الى شراء ماقيمتـه ٢٣٨ مليونا ٠ وساعد على اقبال الشركة على هذه السندات انهـا تلقت من السيد «داليمييه» وزير العمل فى ذلك الحين ، الذى تولى بعد ذلك وزارة العدل ، توصية بتحبيذ شراء سـندات خزائن البلديات وتوظيفها ، كوجه من وجوه الاستثمار ٠ وقد دل هذا الخطاب على ضخامة نفوذ ستافسكى ٠ وساعد ذلك على الثقة به وبسندات بايون ثقة مطلقة !

وابتسم رئيس المحكمة وعاجل جيبان بالسؤال التالى :

ـ وكيف تعلل استيلاءك على شيكات من ستافسكى ، كان أحدها بمبلغ مائة ألف فرنك ؟

ـ كنت قد رجوت ستافسكى أن يلعب لى على جواده سابين بمبلغ أربعة آلاف فرنك فى سباق سان كلو ، فربحت من هذا

الرهان ٩٧ ألف فرنك ·

ـ وهل اشتريت لنفسك شيئا من سنـدات بايون التى اشتريتها لشركتك ؟

ـ انى لاأشترى الا سندات شركتى وأسهمها · ولما كانت شركتى قد اشترت من سندات بايون عددا ضخما ، فانى أعتبر بمثابة مشتر بطريق غير مباشر لتلك السندات ··

وترك جيبـان المكان لمتهم آخر هو الصحفى الكبير «دى بارى» ··

يتوسط له لدى الوزير !

◆ **وكان** « دى بارى » من المتهمين الطلقاء ، فقرر أنه عرف ستافسكى فى سنة ١٩٣٢ ، وكان يتوسط بطانة من الاصدقاء ذوى النفوذ ، بينهم نفر من رجال القضاء العالى ! وكان تعرفه به فى كازينو بالريفييرا ، ثم التقى به بعـد ذلك فى باريس ، **فطلب اليه ستافسكى أن يتوسط لدى ادارة الامن العـام فى تسوية حادث وقع أثناء اللعب فى كازينو الريفييرا ، فقـام دى بارى بتسويتهـا ، ثم تغـدى معه فى مطعم من أرقى المطاعم ، فهاله ماتبينه من حفاوة أرقى الناس بصديقه الجديد ! ثم تنازل له دى بارى عن صحيفته « الارادة » (وأكد الشاهـد للمحكمة أنه لم يستفدمن ذلك التنازل مطلقا !)**

وكانت التهمة الموجهة الى دى بارى أنه توسط بصـفته الصحفية والسياسية لدى وزير العمل ((داليمييه)) كى يعطى ستافسكى توصية رسمية الى شركات التأمين باستثمارأموالها فى سندات بنوك تسليف البلديات ! ولكن دى بارى أنكر أنه تقاضى أى أجر عن هذه الوساطة · فعقب الرئيس عـلى ذلك بأن ستافسكى كان يعمل فى ذلك الوقت فى تأسيس شركة « المعرفة » التى ستتولى الانفاق على احياء صحيفة « الارادة » المملوكة لـ «دى بارى» ! كما أن دى بارى توسـط فى الوقت

نفسه لوقف حملة الصـــحفى داريوس عـــلى بلدية بايون ومحافظها جارا !

فأجاب دى بارى بأن هذه الوساطة كانت طبيعية ، لان داريوس زميل قديم و « جارا » صديق قديم ، وهو شخصـيا رجل شهم معروف عنه وساطة الخير لفض المنازعات !٠٠ وهنا فاجأه رئيس المحكمة بالقول متهكما :

ـ لعل من قبيل المصادفة وحدها اذن ما اتضح عند مراجعة الحسابات من أن انشاء شركة «المعرفة » كلف ستافسكى ثلاثة ملايين ونصف من الفرنكات !٠٠ فهل أنفق ستافسكى هـــذا المبلغ من أجل احياء جريدتك ٠٠ لوجه الله ؟

وبرغم ذلك فقـــد ختم دى بارى أقواله بطلب البراءة متعجبا من توجيه التهمة اليه على الاطلاق ! وتلاه بعـــد ذلك المحـــامى «بونور» الذى أبدع فى الدفاع عن نفسه ، وكانت تهمته أنه تقاضى من ستافسكى أتعابا مبالغا فيها !٠٠ ففنـــد هذه التهمة مبينا أنها لاتنطوى عـــلى جريمة ، ومؤكدا أنه لم ينصح لستافسكى مرة واحدة بالاجتراء على خرق القوانين ، وان الدفاع عن موكله هو واجب المحامى الذى تفرضه عليــه مهنته ٠

ولكن الرئيس ظل يلاحقه بالاسئلة عن تواريخ الشيكات التى تلقاها من ستافسكى ، ولاسيما تلك التى تطابق نجـــاح احدى عمليات الاحتيال وبيع سندات الخزينة المزيفة !٠٠ فكان جواب بونور انها مصادفات ليس الا ٠٠!

المحامى الذى ساعد ستافسكى على الفرار !

◆ **وأعقب** بونور محام آخر يدعى «جورج جولييه» وجهت اليه التهم نفسها التى وجهت الى بونور ٠ وكان جورج رجـــلا مسنا هزيلا ، متواضع المظهر ، يكاد يبدو عليه الفقر ٠ وقـــد أنكر أنه كان لستافسكى سوى محام يقوم بواجبه ، فلم يكن

صديقه فى يوم من الايام ، ولم يقدمه الى زوجته ، أو يدعه لتناول الطعام على مائدته ٠٠ الى آخر مظاهر رفع الكلفة التقليدية ٠ وكانت التهمة الموجهة اليه هى مساعدة ستافسكى على الهرب فرارا من قضية نصب وقعت قبل عمليات الاحتيال التى كان ميدانها أورليان وبايون ، فقد سعى لتأجيل القضية نحو عشرين مرة ، تمكينا لستافسكى من الفرار فى هذه الاثناء ٠٠ ثم عرف مقره بعد فراره ومع ذلك لم يبلغ عنه النيابة !

ولم يجد المحامى دفاعا عن هذه التهم غير أن يتعلل ٠٠ بواجبات المهنة !

أقوال أرملة المنتحر !

◆ **وبعد** أن سمعت المحكمة أقوال بقية المتهمين الثانويين المطلقى السراح ـ وهم : كامى ايمار ، وبول ليفى ، وجيبو ريبو ، والصحفى داريوس ، وديباردون ـ **جاء دور المتهمة الاخيرة : مدام « أرليت ستافسكى » أرملة النصاب الكبير ! ـ وكانت المرأة الوحيدة بين تسعة عشر متهما من الرجال ! ـ فدلفت الى المنصة بعد أن خلعت معطفها ٠ وكانت ترتدى ثوبا أنيقا أسود ، حليت أكمامه بأطراف بيضاء ، ووشاحابنفسجيا، وقفازين أسودين ٠ وكانت طويلة القامة ، رشيقة القد ، مرنة الاعطاف ٠٠ وقد بدأت تدلى بأقوالها بصوت «موسيقى» عذب** ، فوصفت باختصار كيف شاركت ستافسكى حياته منذ سنة ١٩٢٥ ـ قبل زواجهما بزمن ـ ثم كيف قبض عليها معه فى « مارلى لوروا » ، فزج به هو فى السجن ٠٠ وحين خرج وعدها بأن يتوب ويكف عن مغامراته ، فقبلت أن تتزوجه ٠ وتم الزواج فعلا فى ٢٢ ديسمبرسنة ١٩٢٧ ، وأطلق ستافسكى على نفسه منذ ذلك الحين اسما جديدا نظيفا هو «بواتيل» ! ٠٠ وحسبت الزوجة بعد ذلك أن زوجها قد سار فى الطريق المستقيم ، حتى فوجئت ذات يوم من عام ١٩٢٩ برجال

الضبطية القضائية يفتشون مسكنهما فى شارع «رينيسانس» .. فوبختته بعد ذلك وعنفته بشدة على مسلكه ، فطيب خاطرها ووعدها خيرا . وفى العام التالى كان الرجل الذى خرج من السنجن سنة ١٩٢٧ ـ خالى الوفاض ـ قدأصبح يمتلك فيللا أنيقة فى حى «سان كلو» وسيارة وسائقا خاصا !.. ثم تزايد ثراؤه بالتدريج :

ـ وكيف لم يثر هذا الثراء المتزايد شكوكك ؟

ـ انه قد صار يختلط بعددمن الشخصيات الكبيرة التى فوق الشبهات !

ـ وماقولك فى الجناح الخاص الذى صرت تقطنينه فى فندق « كلاريدج » ، وأجره عشرون ألف فرنك فى الشهر ؟

ـ لم يكن من شأنى الاطلاع على هذه الحسابات .

ـ لكنك أنفقت فى الفندق خلال المدة بين ٢٥ يوليو واول اكتوبر مبلغ خمسة وخمسين الف فرنك (عدا ايجار الجناح الخاص) ، منها ٣٨ ألف فرنك للطعام والمشروبات وحدهما !؟

ـ ربما ..

ـ وأنفقت على أدوات الزينة خلال ثلاث سنوات نحو ٢٠٠ ألف فرنك ؟

ـ ربما أكون أنفقتها خلال ثلاث أوأربع سنوات ..

ـ وماذا كنت تعلمين عن أعمال زوجك ؟

ـ لم يكن من طبعه أن يتحدث عن أعماله بشىء حين يعود متعبا من الخارج ، بل كان يخصص وقته فى بيته لزوجته وأطفاله .

ـ أويعقل أن يخفى زوجك عنك أموره ، برغم الحب الذى كنت تظهرينه له ؟

ـ (فى لهجة قوية) بل لقد أحببته حبا صادقا !

واذ شدد رئيس المحكمة على المتهمة الخناق ، اعترفت بأنها عرفت « تيسييه » و « جارا » شريكى زوجها فى عمله ،

كما اعترفت بأن ستافسكى لم يخف عنها فرحته يوم حصل على خطاب التوصية من وزير العمل داليمييه .. لكنه فى يوليو سنة ١٩٣٣ صارحها بأن الازمة المالية قد أثرت فى ايراداته ، بحيث ينبغى عليهما الاقتصاد فى النفقات ، وقد اضطرت بعد ذلك الى أن تبيع بعض حليها ومجوهراتها ، سيما وقد وعدها زوجها بأنه يعتزم الدخول فى مشروعات جديدة سوف تعوضه عن خسائره الاخيرة !

وبعد ان ناقشت المحكمة المتهمة فى شأن «بوالص» التأمين، على حياة زوجته وأولاده ، التى أبرمها ستافسكى بحوالى المليون فرنك !.. نهض محامى المتهم «جيبان» فوجه الى مدام ستافسكى السؤال التالى :

ـ ألم يذكر زوجك أمامك قبيل فراره الاخير ، ليلة ٢٣ ديسمبر ، أن جيبان كان حسن النية ، يجهل كل شىء ؟

ـ نعم ، لقد ذكر ذلك والحق يقال ..

وعندئذ انهارت أعصاب المتهمة فنكست رأسها وأخفت عينيها بحقيبتها ، ثم تهالكت على المقعد خائرة القوى !

مرافعات الدفاع تستغرق عشرين يوما !

◆ **وبانتهاء** استجواب المتهمة الاخيرة ، انتقلت المحكمة الى فحص تقارير الخبراء والمحاسبين ، ثم سمعت شهادة الكثيرين من رجال السياسة والصحافة الذين جاء ذكرهم فى أقوال المتهمين ـ وهى لاتخرج عما أشرنا اليه فيما سبق ـ وأعقب ذلك سماع مرافعة المدعى العام ، ثم تعاقب على منصة الدفاع خمسة وعشرون من كبار المحامين ، استغرقت مرافعاتهم عشرين يوما ..!

وأخيرا .. حان يوم الفصل فى مصائر المتهمين ، فدخل المحلفون حجرتهم للمداولة فى الساعة العاشرة من صباح يوم ١٦ يناير سنة ١٩٣٦ ، حيث قضوا فى مداولاتهم نحو عشرين

ساعة متواصلة ، وباتوا ليلتهم ساهرين على مهمتهم ٠٠ وفى صباح اليوم التالى قدموا الى المحكمة قرارهم !

فلننتقل الآن الى قاعة المحكمة فى ذلك اليوم المشهود :

الحكم !

◆ **نحن** الآن فى الساعة التاسعة صباحا ، وقد غصت قاعة المحكمة بجمهور قلق متلهف على معرفة قرار المحلفين ٠ فقد كانت غالبية ذلك الجمهور من أصدقاء أو أقرباء العشرين متهما الذين ينتظرون البت فى مصيرهم فى ذلك اليوم !٠٠ وحيثما كنت تدير بصرك فى ارجاء القاعة كانت تطالعك نفسيات مسطورة على الوجوه : كم من وجه غير معالمه القلق ، وكم من عين جحظ بها الجزع ! ـ لاسيما حين علم الناس أن المداولة استغرقت عشرين ساعة كاملة ! وكانت الدقائق تمر بطيئة متثاقلة ، حاملة الى القاعة كل لحظات أفواجا جديدة من الناس ، وشائعات متوالية تتلقفها الاسماع !

حتى اذا كان منتصف الساعة العاشرة أبلغ المحلفون الرئيس بارنو أنهم على استعداد لاصدار قرارهم ، فدخلت هيئة المحكمة قاعة الجلسة وأعلن الرئيس افتتاحها ، ثم وقف رئيس المحلفين ليتلو قرارهم ، وقد أخلى قفص الاتهام من أشخاص المتهمين ، بحكم نص القانون الصريح الذى يوجب أن يتلى قرار المحلفين فى غياب المتهمين !

ووقف رئيس المحلفين ، « الصيدلى جيبون » ، ليلقى فى غير تلعثم او خطأ أجوبة المحلفين على الالف وتسعمائة وستة وخمسين سؤالا التى وجهتها اليهم المحكمة !٠٠ وقد قسم رئيس المحلفين تلك الاسئلة الى أقسام ـ تجنبا لاضاعة الوقت ـ فجاء القرار على الوجه التالى :

ـ أقسم أمام الله والناس بشرفى وضميرى ان اجابات

المحلفين على الاسئلة من واحد الى اثنين وسبعين بالايجاب ، وعلى الاسئلة من ١٧٣ الى ٤١٤ الخ ٠٠٠ وفى النهاية استطرد المتكلم الى القول انه قد تبين للمحلفين فى صدد التهم المنسوبة الى المتهمين :

ان تيسيبيه مذنب فى جريمة تزوير أوراق رسمية ، والاشتراك فى تبديد الرهون ، والاشتراك فى النصب ٠٠

وان جارا (النائب والمحافظ السابق) مذنب أيضا فى مايتعلق بتزوير محضر جلسة مجلس الادارة ، ولكنه غير مذنب فى تزوير سندات الخزينة ٠٠

وان المثمن كوهين مذنب فى جريمة التزوير فى أوراق رسمية والاشتراك فى جريمة النصب ٠٠

وان دى بروس مذنب أيضا فى جريمة التزوير فى الاوراق الرسمية والاشتراك فى جريمة النصب ٠٠

وان جيبان (مدير شركة الثقة للتأمين) مذنب فى جريمتى استعمال أوراق رسمية مزورة والاشتراك فى النصب ٠٠

وان هايوت مذنب فى جريمتى الاشتراك فى النصب واخفاء أشياء مسروقة ٠٠

وان هاتو مذنب فى جريمتى الاشتراك فى تزوير أوراق رسمية والاشتراك فى النصب ٠٠

وان الجنرال السابق دى فورتو مذنب فى جريمة استعمال أوراق رسمية مزورة ٠٠

وان فارو ، ودى جوان ، ودى بارى ، أبرياء من جميع التهم الموجهة اليهم ٠٠

وان بونور (المحامى ونائب الدائرة الثالثة) مذنب فى جريمة التستر على اخفاء أشياء مسروقة ٠٠

وان بقية المتهمين أبرياء الساحة !

ثم ختم رئيس المحلفين تلاوة القرار بالقول انه وزملاءه

المحلفين يرون وجود ظروف مخففة بالنسبة لجميع المذنبين ، ماعدا تيسييه !

يبكى كالاطفال !

◆ **ثم** رفعت الجلسة على الاثر كى تنظر المحكمة فى اجابات المحلفين على أسئلتها تفصيلا ، للتأكد من أنه لم يتسرب اليها السهو أوالخطأ فى أى موضع منها !٠٠ وقد دامت المداولة ساعة كاملة أسفرت عن سلامة القرار من حيث الشكل من كل ناحية ٠٠

وكان منظر القاعة فى هذه الاثناء عجيبا كل العجب ، فهذا محام يفسر القرار لموكله ٠٠ وهذا متهم نال البراءة فراح يعانق زميلا له فى الاتهام والبراءة ٠٠ أما جارا فقد أسلمه قرار ادانته الى حالة من اليأس خشى منها على قواه العقلية ! وأما المحامى بونور فقد راح يبكى كالاطفال ومحاميه لايقل ذهولا عنه ٠٠

وفى الساعة الحادية عشرة الا ربعا أعيدت الجلسة ، فتوجه الرئيس بالكلام الى الذين نالوا البراءة قائلا :

ـ سآمر باطلاق سراحكم فورا كى تتمكنوا من الغداء فى غير هذا المكان ٠ ولكنى أطلب اليكم الحضور ثانية فى الساعة الواحدة بعد الظهر ، لان المدعين بالحق المدنى لهم الرأى الاخير فى المطالبة بالتعويضات قبلكم ـ على الرغم من براءتكم !

ثم أتجه بعد ذلك الى المذنبين ، وقد علت وجوههم غبرة شديدة ، فتلا عليهم من جديد قرار المحلفين الذى صدقت المحكمة عليه ٠٠ ثم خلت المحكمة مرة أخرى للمداولة فى «تحديد» عقوبة كل مذنب ، جنائيا ومدنيا !

وقد دامت هذه المداولة ساعتين كاملتين ، كانتا على المتهمين أطول من يوم الحشر !٠٠ فلما أعيدت الجلسة قرأ الرئيس الاحكام بصوت واضح قوى النبرات :

ـ قضت المحكمة **بسجن** « **تيسييه** » **سبع سنوات مع الاشغال الشاقة** ·· وحبس « **جارا** » **سنتين** حبسا بسيطا ·· وحبس **دى بروس خمس سنوات** حبسا انفراديا (زنزانة) ·· وحبس **جيبان خمس سنوات** حبسا انفراديا ·· وحبس **هايوت سبع سنوات** حبسا انفراديا ·· وحبس **كوهين خمس سنوات** حبسا انفراديا .. وحبس **هاتو سنتين** حبسا بسيطا .. وحبس **دى فورتو سنتين** حبسا بسيطا ·· وحبس **بونور سنة واحدة مع وقف التنفيذ** ·· وتغريم الجميع ماعدا بونور مائة فرنك ·· واعتبار المحكوم عليهم مسئولين متضامنين عن دفع مصاريف القضية وهى نحو مليون فرنك ·· واعتبار شركة الثقة للتأمين مسئولة عن التصرفات المالية لمديرها جيبان ·

ثم رفعت الجلسة بعد تلاوة الحكم مباشرة ، فكنت ترى المحكوم عليهم كانهم سكارى وماهم بسكارى ، وقد بدا الناس يغادرون القاعة أفواجا : مابين امرأة باكية ·· وطفل يولول·· وشاب فجعه أن يلطخ اسم أبيه وشرفه بعار لايمحى !

حدث ذات يوم



من قصص التاريخ ومآسيه

عزيزى القارىء ...

فى هذا الباب اعتدت ان أطوف بك فى سياحة فكرية شائقة نزور خلالها شتى البلاد والعصور ، كى نلم من كل منها بقصة .. ونشهد فى كل منها دراما من صميم الحياة والواقع

وهكذا مضينا معا فى عدد سابق الى ايطاليا ، حيث التقينا بسليلة السفاحين «لوكريشيا بورجيا» .. ثم تركناها لنغوص فى بطن الزمن ، فنلتقى بقيصر روما القديمة «تيبريوس» .. ومن هناك عدنا الى فرنسا فى عصر نابليون ، فعرفنا عشيقته البولونية «مارى فاليفسكا» .. ثم عبرنا القنال الانجليزى الى انجلترا ، حيث شهدنا ماساة ملكتها كارولين ، زوجة الملك جورج الرابع

واليوم نمضى الى فينا ، عاصمة النمسا والغناء والخمر والنساء ، لنعيش مع الاميرة العاشقة التى كانت لها قصة اغرب من اخصب خيال ..!

وفى الاعداد القادمة اقدم لك بمشيئة الله من قصص التاريخ ومآسيه : مأساة النسر الصغير (ابن نابليون) .. سبايا بيزنطة الجميلات .. نهاية الماريشال «ناى» (اشجع الشجعان) .. فاجعة جوانا ملكة اسبانيا التى جنت حبا .. قصة الليدى جين جراى .. رحلة ماجيللان .. الخ


المأساة التي هزت البلاط النمسوي
منذ نصف قرن..
ESCAPE FROM
LINDENHOF
by
PAULINE CARTER
الحب أقوى من الموت!
للباحثة المؤرخة "بولين كارتر"

فرار .. فى ظروف غامضة !

◆ فى يوم من ايام شهر اغسطس سنة ١٩٠٤ طلعت صحف القارة الاوربية على قرائها بنبأ مثير ، مفاده ان صاحبة السمو الاميرة «لويز دى كوبرج» ـ التى كانت قد أودعت قبل سبع سنوات مصحة للامراض العقلية بالقرب من «درسدن» بالمانيا ـ قد فرت الان من المصحة المذكورة فى ظروف غامضة ، وانه يظن ان لصديقها القديم الكونت «فون متاشيخ كجليفتش» ضلعا فى حادث فرارها ! .. **وقد انطلق رجال البوليس فى ثلاث دول ـ هى المانيا والنمسا وبلجيكا ـ للبحث عن الهاربة ومحاولة اللحاق بها ، ولكن يبدو انهم عجزوا جميعا عن العثور لها على أثر !.. ثم اضافت الصحف الى النبأ أن الشعور العام فى البلاد جميعا يتمنى للاميرة السلامة والامان حيثما كانت !**

وقد كان الشعب البلجيكى على الخصوص اقوى الشعوب الثلاثة عطفا على الاميرة التعسة «لويز» ، بحكم كونها كبرى بنات ملك بلجيكا ليوبولد الثانى ، الذى يكن له الشعب من الاحترام والتبجيل قدرا اعظم مما يكن له من الحب !

والواقع ان الكثيرين من المتقدمين وقتئذ فى السن كانوا مايزالون يذكرون بالاعجاب والشغف أميرتهم هذه يوم كانت صبية تطل من عربتها بوجهها الصبوح وشعرها الذهبى الجميل ، ملوحة لهم بيدها!.. ثم يذكرونها وهى تغادر بروكسل الى فينا بعد سنوات ، عروسا فى صحبة زوجها وابن عمها الامير فيليب دى كوبرج .. كان ذلك فى ربيع سنة ١٨٧٣ ، والاميرة يومئذ لم تكد تبلغ السادسة عشرة ، وقد ادرك كل ذى نظر بعيد منذ تلك الساعة انه ما من زواج غير متكافىء

مثل زواج هذين المخلوقين اللذين لا يناسب احدهما الاخر في شيء !.. فبينما كانت «لويز» فتاة مرحة ، مستقلة الشخصية، خالية الذهن من كل ما يتصل بالحياة خارج اسوار قصر ابيها الملكي في «لايكن» (ضاحية بروكسل) ، حيث ولدت ونشأت على التربية الديمقراطية الانجليزية .. كان زوجها «فيليب» على العكس منها رجلا باردا صارما، يكبرها في السن باكثر من الضعف، يشغل منصب «جنرال» في الجيش النمسوى ، وقد نشأ في ظل النظام «الامبراطورى»، بحيث لايفهم لكلمة «الديمقراطية» معنى او مدلولا .. وبالاختصار فانه كان آخر رجل يصلح لان يسوس زوجة يافعة في خلق «لويز» !

مأســاة مايرلنج

◆ **وهكذا** بدأ الخلاف بينهما من اليوم الاول .. وكان بيت لويز الجديد ــ وهو قصر «كوبرج» العتيق في فيناـ كئيبا موحشا، نفس الكآبة والوحشة اللتين كانتا تسيطران على بلاط امبراطور النمسا «فرانز جوزيف» ، حيث كانت تسود تقاليد صارمة جامدة لا تسمح بدخول القصر الامبراطورى لغير افراد الطبقة الرفيعة ، وفي أضيق الحدود ! .. **لكن الاميرة لويز أبــت ان تتمشى مع هذا «الجو» ، ومنذ البداية صدمت اوساط البلاط «بخفتها ورعونتها الميؤوس منهما ، ومسلكها السوقى المتحرر من القيود !»**

وقد كرهت لويز زوجها ولم تخف مقتها له ! .. وحتى مولد ابنتهما «دورا» وابنهما «ليوبولد» لم يقرب من شقـة الخلاف بينهما !.. وفي العام الثامن بعد زواجهما هبطت فينا شقيقة لويز «الاميرة ستيفاني» مع عريسها الامير رودلف ، ولى عهد النمسا . وكانت ستيفاني ، على العكس من اختها الكبرى لويز ، رقيقة الحاشية لطيفة المعشر ، تبدو موفقة في زواجها

.. ومع ذلك لم تنقض عشر سنوات حتى استيقظت اوربا ذات صباح على نبأ مأساة مفزعة وقعت للاسرة الامبراطورية ، فقد عثروا على جثة ولى العهد مع جثة عشيقته «ماريا فيتسيرا» فى كوخ للصيد بجهة مايرلنج (فى غابات فينا) !

صحوة قلب .. !

◆ **وانسحبت** الاميرة الارملة من الحياة العامة ، كما كانت تقضى التقاليد ، بينما بقيت شقيقتها أميرة كوبرج كالعهد بها نفس الشخصية المتألقة التى تحوم حولها ألمع نجوم المجتمع فى العاصمة النمسوية .. فانها وقد حرمت متعة السعادة الزوجية جعلت همها ان تكون نجمة من نجوم المجتمع ، وامرأة من أكثر سيدات اوربا اناقة وتألقا فى مظهرها ! وفى سبيل بلوغ هذا الهدف لم تبخل بمال او تقتصد فى نفقات ، بحيث جاوز اسرافها فى هذا الباب كل حد وبلغ درجة السفه ! ثم حل اليوم الذى أبى فيه دائنو الاميرة ان يقبلوا توقيعها على فواتير البضاعة التى تتسلمها مالم يقترن بتوقيع شقيقتها الاميرة ستيفانى ارملة ولى العهد ، باعتبارها ضامنة !

ورغم ان لويز وزوجها قد عاشا معا معيشة الغريبين ، كل على هواه الخاص ، فقد ظلت الاميرة وفية لزوجها .. وهى التى لو تركت لنفسها زمام الاستمتاع بمغامرة او اكثر من مغامرات الهوى لقوبل مسلكها يومئذ بالتسامح والتغاضى من اهل طبقتها، ما دام رائدها فى ذلك التكتم والحذر ! .. ومع ذلك فقد عاشت لويز حتى بلغت الاربعين مقيمة على وفائها للزوج الذى تبغضه، حريصة على عفتها الحرص كله ..

وفجأة ، التقت ذات يوم بالضابط الهنغارى الوسيم الكونت «فون متاشيخ كجليفتش» ..

.. فأفلت منها زمام قلبها ، بعد ان عاش حبيسا ربع قرن!

لقاء .. تحت ظلال الكستناء !



◆ **كانت** الاميرة تتهادى بعربتها الفاخرة ذات عصر فى شارع «براتر»، اجمل شوارع فينا واكثرها اناقة، حين مر بها «الكونت» ممتطيا جواده المطهم .. فأوقفت «لويز» عربتهاتحت ظلال اشجار الكستناء الفارعة التى تحف بالطريق كى تتملى برؤية الفارس الوسيم يخطر فوق جواده فى خيلاء رشيقة ..واخذ هو بدوره ــ ومن فوره ــ بجمال الاميرة الذهبى المشرق ! .. وهكذا لم تمض ايام حتى استطاع الكونت ان يوسط صديقا له كى يقدمه الى اسرة كوبرج رسميا فى دارها ، كما تقضى تقاليد القصور .. **وسرعان ما صارت الاميرة تشاهد وهى تخب بجوادهافى غابات فينامع«مدربها» الجديد.. ثم رؤى الاثنان يلتقيان خلسة فى اركان خاصة اعدت للخلوات!..** وبمضى الايام لم تعد الاميرة تذهب الى دار الاوبرا ، او المسرح ، أو ميدان السباق ، الا وفى رفقتها الكونت .. بل انها جرؤت ان تتناول العشاء معه ذات مرة فى مطعم عام ، دون ان يصحبهما أحد !

فضيحة .. فى بلاط الامبراطور

◆ **وآثر** الزوج ان يتجاهل الامر ، وقنع بالتغاضى .. فى الوقت الذى اختلف فيه رد الفعل الذى قابل به المجتمع مسلك الاميرة : بين الاشمئزاز .. والثرثرة الساخرة ــ تبعا لاختلاف طبائع الناس !

.. حتى ركبت لويز رأسها تماما ، فطلبت الطلاق ! ..
ثم تفاقم الامر حين أبت قيصرة روسيا ــ وكانت تزور النمسا فى ذلك الحين ــ أن تحضر حفلة راقصة فى القصر الامبراطورى .. اذا حضرتها «اميرة كوبرج»! وعندئذ احتدم غضب الامبراطور العجوز ــ رغم انغماسه هو نفسه الى اذنيه فى مباذل شيخوخته الفاجرة ! ــ فأمر «بنفى» الاميرة لويز من بلاطه .. فما كان من العاشقة المنبوذة الا ان انزوت عن الانظار فترة طويلة ، عاشتها متنقلة بين اقليمى الريفييرا الفرنسية والايطالية .. ومعها عشيقها الكونت !

وتتابعت الشهور ، وتعاقبت الفصول والمواسم ، والاميرة متشبثة بغرامها .. والكونت مخلص لحبه بدوره ! .. وطيلة المدة لم تكف لويز عن تكرار مطالبة زوجها بالطلاق .. بل انها حاولت فى هذه الاثناء ان تحصل على معاونة ابيها لها فى هذا الصدد ! لكن الملك قمع عواطفه الابوية فأمرها بأن تعود الى كنف زوجها صاغرة ، ورفض ان يدفع ديونها التى تورطت فيها فى استهتار ملحوظ ، رغم ان دائنيها لم يكفوا عن مطاردته فى شوارع عاصمته ذاتها وعلى سلم قصره الخاص !!

واخيرا نشر الامير فيليب ــ الزوج ــ بيانا موجزا فى صحف الريفييرا يتنصل فيه من مسؤوليته عن ديون زوجته الاميرة ، ومن التزامه بدفعها ! .. فلم يكد الدائنون ــ من تجار «نيس» و«كان» ــ يطالعون البيان فى الصحف حتى تقاطروا على دار عميلتهم المدينة يوقعون الحجز على حليها وادوات مائدتها الثمينة ، بل وعلى الجياد التى فى حظيرتها !

وكما يحدث حين يسقط حجر فوق مياه بحيرة ، شاعت انباء هذه الفضيحة وتزايد انتشارها فى مختلف اوساط العاصمتين النمسوية والهنغارية .. ثم اتسعت دائرتها الى باريس ، وبرلين ! .. **واذا الامبراطور فرانز جوزيف يامر الزوج**



المتـــردد ، أمير كوبرج ، بأن يتحدى عاشـــق زوجته ويدعوه الى المبـــارزة ! ٠٠ وكم كانت فرحة العجـــوز الخبيث ومتعته حـــين تم له ما أراد فجـــرت المبارزة بالفعل فى فناء مدرسة الفروسية بفينا ٠٠ وعنـــدئذ أطلق كلا الغريمين على الآخـــر عدة طلقـــات ، ثم تشـــابك المتبارزان بالسيوف ٠٠ وأخيرا انتهت المبـــارزة باصابة الامير بخدش فى يده وانسحابه ، بعد أن سلم الشرف الرفيع وهدأت ثائرته ٠٠ الى حين !

العاشقان الطريدان !

◆ **لكن** القدر مضى يضيق الخناق على العاشقين اكثر فاكثر كل يوم ، حتى جاء اليوم الذى أدركا فيه بوضوح ان اقامتهما على شواطىء الريفييرا قد باتت أمرا غير مرغوب فيه ، وانهما قد استنفدا ترحيب القوم بهما !٠٠ **وعندئذ أخذالكونت أميرته الى قصر اسرته فى اقليم ((كرواتيا)) ، حيث كان زوج امه ((الكونت كيجليفتش)) من كبار موظفى الحكومة ، وحيث توهم العاشق انه سوف يجد تحت سقفه ملجأ له ولعشيقته . لكن ظنه لم يلبث أن خاب ، اذ لم يمض شهر حتى طلب من النزيلين أن يرحلا ! . .** فانتقلا الى فندق فى مدينة « فجرام » . وهناك حظيا بعطف متزايد من جانب طلبة المنطقة واهلها الريفيين

وفى هذه الاثناء ذهب الزوج المهجور ـ الامير فيليب ـ الى الامبراطور العجوز فرانز جوزيف يطلب اليه ان يوافق على

طلاقه من زوجته «الخائنة» ! .. لكن الامبراطور خشى ان تتكرر مأساة ابنه رودلف ، الذى كان قبل مصرعه قد طلب بدوره من ابيه ان يوافق على طلاقه من زوجته ستيفانى كى يتزوج من عشيقته «فيتسيرا» ، وقد عرف العالم كله ما وقع له على اثر ذلك .. ومن هنا اجاب الامبراطور محدثه فيليب : «لست اريد «مايرلنج» اخرى ! .. فكر فى حل افضل من هذا ..»

المأساة تبلغ أوجها !

◆ **وقد** فكر الكونت بالفعل فى حل افضل ، فلم يلبث ان هبط بلدة «فجرام» رهط من الاطباء ذوى السترات والقفازات السوداء واقمصة الاكتاف ، يصحبهم عدد من رجال البوليس الحربى ! وقبل انقضاء اربع وعشرون ساعة على وصولهم الى البلدة **اقتيدت الاميرة العاشقة الى أكآب مصحة للامراض العقلية فى فينا ، واقتيد عشيقها الكونت فى الوقت نفسه الى السجن !**.. وبعد أيام قدم الاخير الى المحاكمة بتهمة تزوير توقيع الاميرة ستيفانى على بضع وثائق ، والحصول عن طريق هذا الاحتيال على مبلغ ٦٠ ألف « فلورين » (وهىعملة هنغارية) من شخص ثالث ! »

أما من يكون هذا «الشخص الثالث » المجنى عليه ، فهذا مالم يكشف عنه الستار !.. كما لم تستدع الاميرة لويز الى المحكمة لتساعد عشيقها على الخروج من هذا المأزق الغامض . وهكذا صدر حكم المحكمة على الكونت ـ فى ٢ ديسمبر سنة ١٨٩٢ ـ بالحبس الانفرادى لمدة ست سنوات فى اصلاحية عسكرية ، مع تجريده من رتبته وامتيازاته !

ثم نقلت أميرة كوبرج التعسة الى مصحة «لندنهوف » الواقعة فى قلب غابات سكسونيا ، حيث أسلمت الى أطبائها مصحوبة بتوصية من أبيها «الحنون» ـ ملك بلجيكا ـ يقول فيها : « اسهروا على حراسة المخبولة بكل عناية ! »

وقد نفذ أطباؤها التوصية مرحبين ، فقد كانت « صيدا» أدسم من أن يفرطوا فيه مختارين ، ومهما بذلوا للمريضة من عناية فان الاجر الذى تقاضوه عن علاجها كان كفيلا بتعويض مجهودهم أضعافا !٠٠ وهكذا أحيطت لويز فى المصحة بكل رعاية تليق بمكانتها ، لكنها كانت مع ذلك «سجينة » !٠٠ **ولم يمض زمن حتى انقطع أهلها وأصدقاؤها القلائل عن زيارتها فى «سجنها» ، الذى وصفته فى مذكراتها بقولها : « لقد كان لى جناح خاص ، وعربة ، ورفيقة تؤنسنى ، ووصيفات ٠٠ لكن جناحى كان مع ذلك محاطا بأسوار مستشفى مجاذيب ! والحوذى والخدم كانوا من رجال البوليس السرى ٠٠ وأدركت أننى صرت فى حكم الميتة بالنسبة لجميع من عرفونى يوما ، ومنهم أفراد عائلتى ذاتها ! »**

والواقع أن وحدتها كانت قاسية حقا ٠ حتى ابنتها ـ الاميرة « دورا » ـ كانت قد انحازت الى صف أبيها ، ضد أمها التعسة ، وتزوجت من دوق «شلزويج هولشتاين » ٠٠ وأما ابنها ـ الامير ليوبولد ـ فقد انغمس فى شهواته وملذاته واتهم أمه بتبديد ارثه !٠٠ وكأنما لم يكف الام التعسة ذلك منه حتى أنبئت فيما بعد أنه قد انتحر فى ظروف فاضحة !

ارادة الرأى العام !

◆ **ولبثت** القصة المفجعة هاجعة أربع سنوات كاملات ، نسى الناس خلالها الاميرة المسكينة فى مصحتها !٠٠ ولكن كانت هناك بضع جهات سياسية وصحف واعية لم تنس مأساة الكونت «متاشيخ» ٠ وقد أدرك المثقفون والمطلعون أن محاكمته انما كانت فى واقع الامر مهزلة ، وان المسكين قد جعل بمثابة «كبش الفداء » الذى يكفر عن أخطاء غيره !٠٠ **وأخيرا ، وتحت**

ضغط الرأى العام ، وانزعاج المسئولين من العاصـــــفة التى تتجمع فى الافق وتنذر بالانطلاق ، صـــــدرت الاوامر باعادة النظر فى القضية من أساسها ٠٠ فأسفرت المحاكمة الجديدة عن تبرئة الكونت واطلاق سراحه !

لكن لويز كانت ماتزال هناك سجينة أسوار «لندنهوف»، وكانت الدلائل كلها توحى بأنها ستبقى فى محبسها الى ما لا يعلم الا الله ! وماذا فى وسع أطبائها أوغيرهم أن يفعـــلوا من أجلها ؟ انهم قد انتهوا الى الاعتراف لانفسهم بعدم وجود أدنى سبب يبرر بقاءها فى المصحة على الاطلاق ٠ لكن الاوامر التى لديهم كانت صريحة ! ومن ثم لم يستطيعوا أكثر منأن يسمحوا « للمريضة » بقسط أوفر من الحرية ، وان عجزوا عن السماح ببقائها وحيدة لحظة واحدة ، أوتخليصها من رقابة « وصيفاتها» المفروضات عليها !٠٠ حتى فى نزهاتها بالعربة فى الغـــابة أو فى الحقول ، مع كلبها الصغير «كيكى» ، كان يصحبها اثنـــان من أفراد « حاشيتها » على الاقل !

لكن الاقدار حين تشاء شيئا ، يعجـــز البشر عن عرقلة خططها !٠٠ فقد حدث فى احدى تلك النزهات الخلوية ، ذات عصر جميل من عصارى الخريف ، ان مر بالركب شخص يركب دراجة ٠ وكان مروره قريبا من عربة الاميرة بحيث كادت عجلة الدراجة تحتك بعجلة العربة !٠٠ ورغم أن الامر كله حـــدث بسرعة خاطفة ، وعلى غير انتظار ، فقد اتسعت الفرصة للاميرة كى تتعرف فى راكب الدراجة على شخص عشيقها الكونت !

ومنذ تلك الساعة ركز كل من العاشقين همه فى التحايل لتدبير فرصة يلتقيان فيها ، برغم الرقابة الصـــارمة المضروبة على الاميرة !٠٠ وبالفعل تم اللقاء بينهما بتدخـــل « وسيط » أجزل له العطاء ٠ ولدهشتهما اكتشفا أن حبهما القـــديم لم ينطفىء أويفتر !٠٠ وفى غمرة لوعتهما الملتهبة أقســم الكونت

للاميرة أن ينقذها من أسرها ، وتوسل اليها أن تتذرع بالامل ٠٠ !
لكن ثلاث سنوات أخرى انقضت على ذلك اللقاء ، قبل أن يستطيع الكونت تدبير لقاء آخر مع معشوقته !٠٠ وخلال هذه المدة سافر الكونت الى باريس ، حيث نشر كتابا روى فيه القصة بأكملها ، فى اطار لونته ولاشك عواطفه الخاصة ، لكنه أفلح به فى اثارة عطف الكثيرين على الاميرة السجينة ، واشمئزازهم من المكيدة التى دبرت لها ٠ وكانت النتيجة المباشرة لهذا العطف أن «تبنت» احدى الصحف الحرة ـ وتدعى صحيفة «لو جورنال» ـ قضية المرأة المهضومة الحق ، وتصدت للدفاع عنها بحماسة لاتعرف الهوادة ! وهكذا بدا أن الاميرة التى تألب عليها الاعداء فى الماضى ، قد تهافت عليها الاصدقاء الآن لانصافها والاخذ بناصرها !

محاولات ٠٠ فى الخفاء

◆ **ولنعد** مرة أخرى الى «لندنهوف» ٠٠
كانت الاميرة قد خرجت ذات يوم للنزهة فى عربتها كالعادة ، حين عمد شخص غير متحوط الى القاء ورقة مطوية اليها من نافذة العربة !٠٠ وضبطت الورقة لساعتها ، ولكن بعد أن لمحت الاميرة الكلمة الوحيدة التى كتبت فيها : « تذرعى بالامل ! »
على أن هذا الحادث سبب للاميرة انزعاجا وضررا محققا ، اذ كان أطباؤها قد سمحوا لها بالذهاب الى بلدة « باد ايلست » الصغيرة ، مراعاة لصحتها وتمكينا لها من اتباع علاج خاص يتوافر هناك ٠٠ فلما وقع حادث الورقة تردد القوم فى تنفيذ برنامج الرحلة التى أعدت ، ولم يسمح للاميرة بالرحيل آخر الامر ـ مع حاشية تحرسها ـ الا بعد أن أحيط المكان كله برجال البوليس ، وفرضت رقابة صارمة على موظفى الفندق

الذى تقيم فيه الاميرة وخدمه جميعا !٠٠ بل واتخــــذت كافة الاجراءات التفصيلية المشددة بعناية ودقة تجعلان فرار الاميرة برغم كل هذه التحوطات ٠٠ ضربا من المستحيل !

ومع ذلك ٠٠ فهذا ماحدث :

ذات مساء ، غادرت الاميرة قاعة الطعام بالفنــدق تتبعها وصيفتها والحاجب الذى يؤنس وحشتها ٠٠ وفيمـا هى تعبر الردهة احتك بها رجل غريب هامسا لها : « اطمئنى ! هنـاك شخص يعمل لمساعدتك ! » ٠٠ وفى اليوم التالى استطاع ساقى المائدة أن يدس فى يدها ورقة صغيرة ٠ ولثــــانى مرة مرت المغامرة بسلام ، دون أن يلحظها أحد !٠٠ ثم صارت لويز تتلقى كل يوم بهذه الطريقة تعليمات جديدة توصــــيها بما ينبغى أن تفعل ٠٠

ولابد أن حراسها كانوا متهاونين مهملين ، فانه بالرغـم من أن ثيابها وحذاءها كانت تؤخذ منها كلما حانت ســـاعة النوم ، فانها استطاعت تهريب بعض الثياب والاحــذية فى حقيبة ٠٠ والغريب حقا أنها وجدت الفرصة لان تخلو بنفسها الفترة الكافية كى تفعل ذلك فى غير حضور أحد !

وأخيرا جاءها البشير النهائى : «موعدنا غدا ! »

مؤامرة فى الظلام

◆ **فى تلك** الليـــلة ذهبت الاميرة وصحبها الى المسرح ٠ وكانت سهرة بهيجة ، برغم اضطراب لويز بسبب رؤيتهـــا وصيفتها تتدرب على اطلاق النـار ، قبل العشاء !٠٠ فلمـــا عادت من المسرح وأوت الى مخدعها ثم أغلق بابه عليهــــا ، وارتفع شخير مربيتها فى الحجرة المجاورة ٠٠ نهضـــت لويز فارتدت ثيابها ، وجلست تنتظر ٠٠ وكان معها كلبها الصغير الذى أخذ ينبح كلما سمع أدنى صوت !

أخيرا دقت الساعة معلنة انتصاف الليـل ، ودار مفتاح فى قفل الباب ! انه الحارس الليلى ـ الـــذى كان فى الوقت نفسه من أنصار الاميرة فى السر ـ جاء يهمس لها : « صه ! كونى على استعداد ، وسأعود حين يأزف الوقت المحدد » ٠٠ وكانت معجزة ان الكلب الصغير ظل صامتا هـــذه المرة فلم ينبـــح !

وتلت ذلك ساعتان من الانتظار الممض الموجع ، الشبيه بحشرجة النزع !٠٠ وفى النهاية عاد الرجل ، فهمهم الكلب مزمجرا ٠٠ واذ ذاك همست له صاحبته مفزوعة متوســلة : « كيكى ، لا تحدث جلبة ٠٠ والا فقد ضعت !»

وبدا كأن الحيوان الصغير فهم ماتقول ٠٠!

رحلة تكتنفها الاهوال ٠٠

◆ **وتبعت** لويز الرجل عبر الممر ، ومنه الى السلم المؤدية الى الطابق الاسفل ٠٠ ثم عبرا الردهة المعتمة الى البـــاب ، فالميدان الخارجى ٠٠ وهناك تحت الاشجار كان الكونت ينتظر ! ٠٠ ولكن ليس هذا وقت اللقـــاء العاطفى !٠٠ ومرت داورية أجبرت ثلاثتهم على التراجع للاختباء فى ظل الحائط ٠ وكان القمر ساطعا ، فى حين أن أمامهم مرحلة خطرة عليهم أن يعبروا خلالها الميدان الفسيح الذى يغمره الضياء !

وكان الكونت قد استأجر جوادا وعربة وأمر الحـــوذى بالانتظار فى مكان آمن ٠٠ لكنه حين وصل وصـحبه الى المكان المذكور لم يجدوا للعربة أى أثر ، وكأنها قد اختفت بســحر ساحر !٠٠ وفجأة برز لهم الحوذى من أحد الاركان ، فقـادهم الى حيث آثر اخفاء عربته ، امعانا فى الحيطة ، فى حى قريب من أحياء البلدة ٠٠ ومضى الاربعة الى هناك ، مارين فى حوارى وأزقة لا عداد لها !

وأخيرا انطلقت بهم العربة المتواضعة ، التي لايمكن من فرط قذارتها أن يدور بخلد من يراها أنها تقـــل أميرة !٠٠ انطلقت تخضخض راكبيها في ممرات الغابة الوعرة ٠٠ حتى اضطرالحوذي الىالاعتراف آخرالامر بأنه قد ٠٠ ضل الطريق ! ٠٠ ووجد الهاربين نفسيهما مشرفين على حدود ثلاث ممالك : بافاريا ، والنمسا ، وسكسونيا ٠٠ ولو وطأت أقدامهما أرض أية مملكة منها لالقى القبض عليهما !

وكان الفجر قد بدأ يتسلل الىالافق ، فيبدد الظلمة التي تحمي الهاربين ٠٠ فلم يبق الا أن يعودا أدراجهما الى محطـــة «باد ايلست» ـ البلدة التي فرت الاميرة منها ! ـ ويحـــاولا اللحاق بالقطار الذاهب الى برلين ٠٠ خفية عن العيون !؟

وحاباهما الحظ ، فأفلتا من عيون الرقباء ٠٠ ولم تمض ساعات حتى كانا يهبطان من القطار في العاصمة الالمانيـــة ، حيث أخفاهما بعض أصدقاء الكونت المنتمين للحزبالاشتراكي، حتى هدأت الضجة التي أثارها فرار الاميرة في شتى العواصم الاوربية ، وعلى صفحات الصحف الكبرى ٠٠

وقد كانت تلك الضجة في الواقع تفوق الوصف ، أو على حد قول الاميرة المزهوة : « عندما انكشف أمر فراري هز النبأ قلب القارة بأسرها ، فقد «تبخرت» في الهواء كماتتبخر الارواح والاشباح !٠٠ وزاد القوم حيرة أنهم لم يستطيعوا أن يعثروا للكونت على أي أثر ! »

ولم يجد رجال البوليس النمسوي والالماني عنـــد أفراد الجمهور أدنى ميل لمعاونتهم في الاهتداء الى مخبأ الاميرة ، أو الوقوف على سر لغزها الغامض ٠٠ فقد قرر كل من سئلوا أنهم لم يروا أويسمعوا شيئا ! وكان أولهـــم في الاعتصـــام بهـــذا الموقف السلبي : الحارسالليلي للفندق الذىاختفت منه الاميرة !

محنة العاشقين !

◆ **وكانت** أمنية الاميرة أن تصل الى باريس ، حيث لاتمتد قبضة والدها ملك بلجيكا ، ولا قبضة امبراطور النمسا فرانز جوزيف ٠٠ وحيث كانت تأمل أن تستطيع اثبات سلامة عقلها بشهادة الاطباء الفرنسيين ، وبذلك تسترد حقوقها المدنية ٠٠

لكنها لكى تصل الى باريس لابد لها من اختراق كل من ألمانيا وبلجيكا بالقطار ! وكانت صورتها وصورة عشيقها قد نشرت فى جميع صحف القارة ٠ لكنها أقدمت مع ذلك على المغامرة ، فصعدت والكونت عربة القطار الذى سيقلهما الى أرض الحرية ، وهما يرتجفان هلعا واشفاقا مما يخبئه لهما الغيب ، بعد أن تنكرا فى لباس اثنين من أفراد الطبقة المتوسطة واستعانا بجوازى سفر مزورين ٠٠!

ووصل القطار الى بلدة « هربستال » ، التى تفصل بين حدود كل من ألمانيا وبلجيكا ٠ وفحص موظفو الجمرك أوراقهما فلم يجدوا فيها مايريب ٠٠ **ولكن فجأة ، توقف مفتش بلجيكى مسن أثناء مروره أمام باب «الديوان» الذى يجلسان فيه ، وحدق فيهما برهة ٠٠ ثم مضى !٠٠ وتبعه الكونت الى الممر على عجل وقد أدرك مايجول بخاطره ٠٠ واذ ذاك استدار اليه المفتش قائلا : « إنها أميرتنا ، أليس كذلك ؟ لاتخف ، فلن يشى بها أحد منا !»** ٠٠ ثم تابع القطار انطلاقه كالصاروخ يشق قلب الليل ٠٠

وفى باريس تحققت للاميرة أمنيتها كاملة ، فأعلن الاطباء سلامة عقلها تماما ، وبالتالى جدارتها بادارة كل أمورها بنفسها ! ٠٠ واذ ذاك اضطر والدها ــ ملك بلجيكا ــ الى أن يعرض استعداده لان يقدم لها مأوى ومعاشا شهريا ، بشرط أن تمتنع عن رؤية عشيقها منذ تلك الساعة !

وكان الذين يعرفون «لويز» يدركون مقدما ماذا سيكون جوابها : انها لاتستطيع أن تفكر فى هجر الرجل الذى أتلف حياته كلهامن أجلها ! وانها لتوثر على خذلانه أن تعيش بقية حياتها معيشة الفقر والاملاق ، فى المنفى ، مستعينة على امساك رمقهـا بما يمدها به المحسنون من الاصدقاء ، ولو اقتضـاها الامر أن تقطن فى «بنسيون» متواضع فى أحد الاحياء الفقيرة !

دموع ٠٠ وبسمات !

◆ **وعاشت** بالفعل على هذه الصورة نحو خمس سنوات ٠٠ وفى سنة ١٩٠٩ مات أبوها الملك ليوبولد ، فتناست « الاميرة لويز دى كوبرج » قسوته وجنايته عليها وسارت خلف نعشـه تشيعه الى القبر ٠٠ وطيلة الطريق تهافت أهل بروكسل على تحية أميرتهم المحبوبة !٠٠ فلما تولى الملك الجديد « ألبرت » العرش ـ وكان ابن عم لويز ـ استجاب لعواطف الشعب فرد للتعسة لقبها كأميرة بلجيكية ٠٠ ثم لم تلبث لويز أن حصلت على حكم بالغاء زواجها من زوجها الامير فيليب ٠٠ **لكنها لم تكد تهنأ بزوال العقبة التى تمنع زواجها من عشيقها الكونت ، حتى نشبت الحرب العالمية ـ الاولى ـ سنة ١٩١٤ فاعتقل الـكونت فى ميونيخ ، باعتباره هنغاريا من رعايا الاعداء !٠٠ ثم عصفت الحرب بكافة « الامبراطوريات » الاوربية وأطاحت ببلاطهـا وأمرائها ، ففقدت الاميرة حتى رونق لقبها ٠٠**

وحين حملوا اليها نبأ موت عشيقها ، لم يبق لها ماتعيش لاجله ٠٠ فأنفقت السنوات الاخـيرة من حياتهـا فى كتابة مذكراتها ، والجلوس الى نافذة غرفتها بالبنسيون الذى تقطنه فى فينا ، تطل منها على قصر « هوفبرج » ـ مسرح شـبابها المتألق الراحل ـ وتعيش على ذكريات ماضيها : ذكريات امرأة ممرورة النفس ، شامتة بدنياها الراقدة الآن حطاما عنـد

قدميها ! لقد حاولت أن تقف في وجه هذه الدنيا وتحاربهـا ، ففشلت وخسرت المعركة ٠٠ لكن الاقدار لم تلبث أن انتقمت لها من البلاط الامبراطورى ، بل من الامبراطـورية النمسوية بأسرها !

وكانت أفكارها الاخيرة مع الرجل الذى قاسى واحتمـل كثيرا من أجلها ، فكتبت فى مذكراتها تناجى روحه : « ان روح التضحية وقف عليك وحدك ، فهى لم تكن يوما لى ، لـكنك وهبتنى اياها منذ عرفتك ٠ وما من هبة كانت يوما أثمن وأغلى على نفسى من هذه ٠٠ ولسوف أشكر لك صنيعك عـلى هذه الارض ، وفيماوراء القبر ٠٠ هكذا أراد الله ، فلتكن مشيئته !»

إقرأ معى :



كتاب الشهر

عزيزى القارىء ...

فى الشهور الثلاثة الماضية قدمت لك فى هذا الباب المنوع الكتب التالية على التوالى : ((آراء جريئة فى الحياة)) للفيلسوف الانجليزى المعاصر ((جود)).. ثم : ((آراء جريئة فى السياسة)) للفيلسوف الانجليزى الراحل برنارد شو .. وفى العدد الماضى قدمت لك فصولا من هذا الكتاب العالمى للكاتب الامريكى الاشهر ((ديل كارنيجى)) ، وهو الكتاب الذى بيعت منه ملايين النسخ فى امريكا والبلاد الناطقة بالانجليزية .

وفى الفصول السابقة المذكورة قرأت معى سيرة كل من : روكفيللر ، ملك المال .. وهيرست ، ملك الصحافة .. وسومرست موم ، ملك القصة .. وشكسبير ، ملك المسرحية .. وزهاروف .. ملك الاسلحة .

واليوم اقدم لك فصولا اخرى من نفس الكتاب ، تقرأ فيها سيرة كل من : موسولينى .. كاروزو .. هيلين كيللر .. تيودور روزفلت .. تشارلس ديكنز .. الاخوين مايو

وفى الاعداد القادمة تقرأ معى بأذن الله فى هذا الباب المزيد من الفصول الشائقة والكتب الممتعة .. فى كل باب .. ومن كل لون .


FIVE MINUTE
BIOGRAPHIES
by
DALE CARNEGIE
كيف نجحوا
فى الحياة !
الكتاب العالمى
للكاتب الأمريكي ديل كارنيجى

١ ـ كاروزو : ملك الغناء

◆ حينما توفى « انريكو كاروزو » فى سنة ١٩٢١ ، وهو فى سن الثامنة والاربعين ، نزل خبر موته نزول الصواعق على امم باسرها من شعوب الارض ، لان أجمل صوت وعته ذاكرة البشر الاحياء قد سكن وصمت سكون الابدية وصمتها !

وقد مات كاروزو وتصفيق العالم اجمع لعبقريته لايزال يدوى فى اذنيه دوى الرعد القاصف !.. وكان موته على أثر برد أصابه وهو فى حالة اعياء من ارهاق العمل ، فأهمل علاجه ، وظل بعد ذلك ستة أشهر طوال يصارع نتائجه فى بسالة وجلد ، وآلاف الدعوات الحارة تنطلق كل يوم من قلوب ملايين المعجبين به ، سائلة عناية الله أن تنعم عليه بالشفاء ..

ولم تكن حنجرة كاروزو الفذة محض هبة من هبات الآلهة ، بل هى ثمرة جهود مضنية استمرت سنوات طويلة ، فى صبر ومثابرة وعزم لايلين ... فقد كان صوته فى مبدأ الامر رفيقا جدا ورفيعا الى درجة أن معلما من معلميه قال له يوما :

ـ انك لن تستطيع الغناء ، فأنت لم توهب ملكة الصوت المعبر ، وغناؤك أشبه مايكون بصفير الريح فى ثقوب مصاريع النافذة !

واستمر صوته « متسلخا » حين يرتفع به الى الطبقات العالية ، سنوات طويلة .. وكان تمثيله من السوء والرداءة بحيث كان يقابل بصفير الاستهجان كلما ظهر على خشبة المسرح !

◆ وما أقل من شربوا حتى ارتووا من كأس الشهرة وخمر النجاح الفنى كما شرب كاروزو الخالد ، ومع ذلك فقد ظل وهو فى أوج شهرته ونجاحه تتندى بالدمع عيناه اذا ماتذكر تلك الايام السوداء التى صاحبها الفشل فى بداية حياته الفنية ..!

وقد ماتت أمه وهو فى سن الخامسة عشرة ، وظل طول حياته يحمل صورتها أينماسار .. وكانت تلك الام قد أنجبت واحدا وعشرين طفلا ، مات ثمانية عشرة منهم وهم فى المهد ، وعاش ثلاثة فقط ليبلغوا استواء العمر !.. ولم تكن هذه الام سوى فلاحة جاهلة ، لم تعرف من امور الدنيا شيئا سوى الكروب والاحزان والمتاعب ، بيد انها شعرت ـ كانما بوحى غامض ـ

ان ولدها هذا فيه جذوة العبقرية المقدسة ، وانه مامن تضحية تغلو فى سبيل اذكائها هذه الجذوة !٠٠ وحين تحققت نبوءتها صار كاروزو يقول :

ـ لقد مشت أمى حافية القدمين كى تمكننى من الغناء !

وكان ينتحب وهو يقول هذه الكلمات !

وعندما بلغ كاروزو العاشرة من عمره ، انتزعه والده من المدرسة كى يزج به فى المصنع ٠٠ فكان يعمل فيه طول النهار ، حتى اذا جاء المساء انكب الغلام على دراسة الموسيقى ! ولم يستطع الفتى أن ينتزع نفسه من جو المصنع ليحترف الغناء الا حين بلغ رشده فى سن الحادية والعشرين ٠٠

العاشق بالنيابة !

◆ وكان أول عرض تلقفه كاروزو وتشبث به هو الغناء فى قهوة مجاورة للبيت ، نظير تناول وجبة العشاء ! وكان يؤجر نفسه أحيانا للعشاق المتيمين ، كى ينشد أناشيد الغرام تحت نوافذ معشوقاتهم من سيدات المدينة !٠٠ وهكذا بينما كان العاشق المفتون يقف بصفاقة تحت ضوء القمر ، ليرسل الى الحبيبة المطلة من الشرفة باشارات الهيام ٠٠ كان كاروزو المتوارى بظلال الشجر يصب فى أذنيها غناء العندليب الساحر !

وأخيرا ، حين سنحت له أول فرصة للغناء فى الاوبرا ، كان عصبى المزاج جدا أثناء التمرينات ، بحيث تحشرج صوته ثم تحطم نهائيا • وجدد المحاولة بعد ذلك مرات بغير جدوى ٠٠ وأخيرا انفجر باكيا ثم ركن الى الفرار من المسرح !

والمقدر له أن يعود الى الاوبرا بعد ذلك كان ثملا جدا ، الى درجة أن الجمهور راح يغرق صوته فى دعابات صاخبة ومواء كمواء القطط ٠٠ وقد حدث ذلك ذات ليلة حين غاب المغنى الاول ، وكان هو المغنى الاحتياطى ، فبحثوا عنه فى كل مكان ٠٠ ولكن دون أن يعثروا له على أثر !٠٠ وأخيرا وجدوه فى حانة ، يعب النبيذ حتى فقد توازنه ، فما أن علم بالمسألة التى طلب من أجلها حتى راح يعدو نحو الاوبرا بأقصى سرعة ، فلما وصل كان لاهث الانفاس ٠٠ وكانت الدنيا كلها تدور من حوله كأنها أرجوحة السيرك ٠٠٠ فما ظهر على خشبة المسرح وهو يترنح حتى انفجرت أفواه الجحيم فى الصالة ، من صفير وضحك وتصفيق ساخر ونكات ومواء !٠٠

وطبعا كان جزاؤه فى نهاية السهرة .. الفصل من عمله !

وفى اليوم التالى كان اليأس قد استبد به لهذه المصادفة السيئة ، بحيث فكر فى الانتحار . ولم يكن فى جيبه غير ليرة واحدة ، لاتكفى الالشراء زجاجة واحدة من النبيذ ، بغير طعام ... وهكذا جلس فى الحانة فى المساء ـ وهو لم يذق لقمة خبز ـ يشرب زجاجة النبيذ اليتيمة .. ويدبر الطريقة التى ينتحر بها بعد ذلك !

واذا باب الحانة يفتح ويدخل منه رسول .. رسول من الاوبرا !

وصاح الرسول :

ـ كاروزو . كاروزو . تعال حالا .. فالناس لايريدون الاصغاء للمغنى الاصلى ، وقد ظلوا يطاردونه بالصفير حتى غادر المسرح . وهم يهتفون فى طلبك انت .. انهم يريدونك انت ...

ـ انا ؟ هذا غير معقول ، فهم لايعرفوننى ، ولايعرفون اسمى ..

ـ طبعا هم لايعرفون اسمك ، ولكنهم يريدونك مع هذا .. ويصرخون بأعلى صوتهم : « نريد المغنى السكران ! »

يؤمن بالخرافات ..!

◆ وعندما مات كاروزو كان مليونيرا ، عدة مرات ! فقد كسب من اسطواناته وحدها اكثر من اربعمائة الف جنيه .. ومع هذا كان شبح فقره فى صدر حياته يطارده دائما ، بحيث كان يسجل فى مفكرة خاصة كل مبلغ ينفقه ولو كان ثمن رباط حذاء اوبقشيشا تافها !

وكان متطيرا يتشاءم تشاؤم الفلاح الايطالى الجاهل ، فظل الى نهاية حياته يخشى « عين الحسود » ، ولم يكن يعبر المحيط الا بعد ان يستشير فلكيا يقرأ له الطالع !.. واما العبور تحت سلم خشبى فمحرم عنده كل التحريم . وكذلك لبس بدلة جديدة يوم الجمعة ، والقيام برحلة او ابتداء اتفاق يوم ثلاثاء او جمعة !

وكانت النظافة شغله الشاغل ، فكان يبدل ملابسه كلها بغير استثناء بمجرد دخوله الى البيت ، ولو اقتضى ذلك ان يكرر هذه العملية اربع مرات فى اليوم الواحد ..!

وكان صوته أقوى الاصوات وأنقاها فى العالم ، ولكنه مع ذلك كان يفرط فى التدخين ويسخر ممن يحذرونه من عاقبة ذلك . ولم يكن يدخل المسرح ابدا الااذا شرب أولا كأسا من الويسكى بالصودا « لانعاش الزور » !

وقد هجر كاروزو المدرسة فى سن العاشرة ، ولم يقرأ فى حياته كتابا كاملا على الاطلاق ، فى أى علم من العلوم .. وقد قال مرة لزوجته :

ـ ولماذا اقرأ ؟ انى اتعلم من الحياة ذاتها ...

وكان ينفق ساعات طويلة فى العناية بمجموعات نقوده وطوابع بريده ، كما كانت له موهبة نادرة فى التصوير الكاريكاتورى ، فكان يقدم لصحيفة اسبوعية لوحة كاريكاتورية فى كل عدد ..

أشواك فى حياته

وقد ظل سنوات طويلة يعانى من صداع عنيف متصل كان يعذبه عذابا شديدا ويكاد يخرجه عن صوابه . فلما تقدم فى السن قليلا بدات حيويته الخارقة تخونه ، وصار يمضى الساعات الطويلة فى الاستديو الخاص به ، منطويا على نفسه لايبهجه شىء ، حتى ولاهتاف المعجبين به ..!

ثم تغلبت عليه السوداوية آخر الامر ، فكان لايهتم الابقصاصات الصحف التى تتكلم عنه ، فيقصها ويلصقها فى كتاب خاص بذكرياته .. منعـــزلا عن الحياة الاجتماعية كل العزلة .

◆ وهو من مواليـــد نابولى ، ولكن عندما غنى فى نابولى لاول مرة قوبل بالصفير .. لذلك لم يغن فيها بعد ذلك أبدا ، وان كان قد زارها مرارا بعـد ذيوع شهرته ..

ولعل أسعد لحظات حياته هى تلك اللحظة التى احتوى فيها ابنته الطفلة جلوريا بين ذراعيه عند مولدها .. وكان لايفتـأ يقول انه ينتظر تلك اللحظة التى يراها فيها قد كبرت بحيث تأتى الى استديوه الخاص وتفتح بابه وحـدها لتدخل عليه فى عزلته ..

وذات يوم حدث هذا بالضبط ، وكان كاروزو واقفا بجوار البيانو .. فضمها الى صدره وتلألأت الدموع فى عينيه وهو يقول لزوجته :

ـ الم أقل لك اننى كنت دائما فى انتظار هذه اللحظة ..؟

... وبعد اسبوع واحد مات كاروزو !

٢ ـ هيلين كيلر : المعجزة البشرية !

◆ قال الكاتب الامريكى الفكه « مارك توين » ذات مرة : « ان أدعى الشخصيات الى الاعجاب والاهتمام فى القرن التاسع عشر كله شخصيتان : نابليون وهيلين كيلر ! »

وهيلين كيلر هى العمياء الصماء البكماء التى زارت مصر منذ أشهر ..

وقد قال مارك توين عبارته المذكورة يوم أن كانت هيلين كيلر لاتعدو الخامسة عشر من عمرها . وهى ماتزال حية الى اليوم وقد نيفت على الثمانين ، احتفظت خلالها بمكانتها .. فهى فى الواقع من أعجب شخصيات القرن العشرين ، كما كانت من أعجب شخصيات القرن التاسع عشر !

وهيلين كيلر عمياء تماما ، ولكنها قرأت مع ذلك من الكتب أكثر بكثير مما استطاع كثير من المبصرين أن يقرأوا ! ولعلها قرأت مائة ضعف ماقرأه الرجل العادى المتوسط .. بل انها « ألفت » سبعة كتب ، كما ألفت فيلما سينمائيا عن حياتها ومثلت فيه !

وهيلين كيلر صماء تماما مثلما هى عمياء تماما . ومع ذلك فهى تستمتع من الموسيقى بمايفوق حظ الكثيرين من ذوى الآذان السليمة ..!

وقد سلخت من عمرها تسع سنين وهى بكماء لاتنطق حرفا !.. ومع هذا ألقت محاضرات فى كل ولاية من الولايات المتحدة الامريكية ، وطافت بجميع بلاد أوربا ، كمازارت مصر أخيرا ، وكانت لزيارتها ضجة كبرى ..

◆ وعندما ولدت هيلين كيلر ، كانت فتاة عادية من كل وجه .. فلماصار لها من العمر سنة ونصف حل بها مرض أصابها بالصمم المفاجىء ، وبالبكم ، وبالعمى ، حتى صارت عبارة عن كتلة من اللحم الحى بدون حواس انسانية !

ثم أخذت تنمو وتكبر وكأنها حيوان متوحش فى غابة .. فهى تحطم كل شيء لايروق لها ، وتحشر الطعام فى فمها بيديها جميعا .. واذا حاول أحد أن يردها عن ذلك انطرحت على الارض وراحت ترفس وتحاول أن تصرخ ، ولكنها لاتستطيع !

وكتب والداها تحت تأثير يأسهما المفجع الى معهد « بيركنز » للعميان فى مدينة بوسطن ملتمسين ارسال معلمة خاصة لابنتهما .. وهكذا دخلت



هيلين كيلر ومعلمتها ..

« آن مانسفيلد سوليفان » فى حياة هيلين وكأنها ملك كريم صور من نور وأمل . وكانت آن فى ذلك الوقت لاتعدو العشرين من عمرها حين شرعت فى تلك المهمة العسيرة التى بدت مستحيلة. وهل هناك أشق من تعليم تلميذة عمياء بكماء صماء ؟ وبواسطة أى الحواس اذن تصل الى تعليمها والى عقد الصلة بينها وبين العالم الخارجى ؟

لكن « آن » كانت كبيرة القلب ، صقلتها التجارب المرة ، فهى فتاة يتيمة دخلت مع اخيها ملجا الايتام ، ولم يكن لهما مكان ، فكانا يبيتان فى غرفة الموتى ، وهى غرفة يوضع فيها من يموتون ريثما يحل ميعاد الدفن ! ولم يتحمل شقيقها هذه الحياة فقضى نحبه بعد ستة أشهر .. أما هى فأوشكت على العمى فى سن الرابعة عشرة ، فأرسلت الى معهد بيركنز فى بوسطن كى تتعلم القراءة بأصابعها ، بيد أن القضاء لطف بها فتحسن بصرها ، ولم يصبها العمى الا بعد ذلك بنصف قرن من الزمن !

◆ وليس فى الامكان شرح المعجزة التى أحدثتها آن فى حياة هيلين كيلر ، فان ذلك كان عملا خارقا للعادة ، غير مسبوق . وقد فصلته هيلين كيلر نفسها فى كتابها عن نفسها الذى سمته « قصة حياتى » . ومن يقرأ هذا الكتاب يرى مبلغ السعادة التى شعرت بها فى أول مرة حين اكتشفت أن هناك لغة انسانية يمكنها بها أن تتفاهم مع الناس ! ومن تلك اللحظة بدأت تحب الحياة ، وتتلهف فى نهاية كل يوم على مطلع اليوم الجديد الذى يليه ..

فلما بلغت هيلين العشرين كان تعليمها قد تقدم جدا ، فدخلت ومعها معلمتها « كلية رادكليف » . وفى هذه الاثناء استعادت ملكة الكلام ، وكانت أول جملة نطقتها :

ــ أنا لم أعد خرساء !

وهى الآن تتكلم كلاما عاديا ، لاتشوبه الا شبه لكنة اجنبية ظريفـــة • وهى تكتب كتبها ومقالاتها للصحف علــى آلة كاتبة بحـــروف «براى» البارزة •• وتعيش فى ضاحية من ضواحى نيويورك ، وحـــول بيتها حديقة تحب أن تتمشى فيها مع كلبها الكبير • وقد لاحظت عليها ـ يوم رأيتها ـ أنها تتكلم مع نفسها أثناء النزهة ، ولكن لابشفتيها كما نفعل نحـــن بل باشـــارات من أصابعها !•

وقد أخبرتنى سكرتيرتها أنهـــا ، على خلاف الشائع عن العميان زورا وبهتانا ، لاتتمتع بحاسة للاتجاه أدق من حواسنا ، فكثيرا ماتضل طريقها فى بيتها اذا بدلت مواضع قطع الاثاث • وحاسة الشم عندها كالتى عنـــدنا لاأكثر • أماحاسة اللمس فمرهفة جدا ، حتى انها تستطيع أن تفهم مايقوله أصدقاؤها اذا وضعت أناملها برفق على شفاههم وهم يتكلمون !•• وتستمتع بالموسيقى اذا وضعت أناملها على خشب « الكمان » أثناء العزف ، وتستمع الى المذياع بأن تتحسس التموجات الصادرة عن بوقه ، وتستمتع بالغناء بأن تضع أناملها على حنجرة المغنى أوالمغنية ••

واذا صافحتها بيدك اليوم ، وقابلتها بعد خمس سنين ، تذكرتك فورا بمجرد لمس يدك •• بل وعرفت ان كنت مسرورا أومنحرف المزاج !

وهى تعشق السباحة ، وركوب الخيل ، وتلعب الشطرنج • وقد أقامت الدليل فى مذكراتها على أن الصمم كارثة أفدح كثيرا من العمى ، فالاصوات أهم كثيرا للانسان من الاشكال والالوان !

٣ ـ موسولينى : الزعيم الثائر

◆ عاش موسولينى يفتخر بأنه كان طفلا مشاغبا يملأ الجيرة كلها رعبا ، وقلما كان يعود الى البيت بغير جرح فى وجهه أوبطحة فى رأسه أوعلامة سوداء حول عينيه !•• وحينما ارسلوه الى المدرسة بعد ذلك كان يبكى استيحاشـــا وحنينـــا •

وقد كان والده قبله من أعتى الثوار الدوليين فى زمانه ، وقـــد أطلق على ابنه اسم بنيتو تيمنا باسم « بنيتو جواريز » الثائر المكسيكى الشـــهير فى زمانه ••

وقد فصل موسولينى من المدرسة ، ثم طرد بعد ذلك من سويسرا وفرنسا ، بسبب نشاطه الثورى الذى أدخله السجن احد عشر مرة !

وكان من مدمنى القراءة ، وقد حدث مرة حين جاء البوليس لاعتقاله أن قال لهم : « انتظروا قليلا حتى آتم قراءة هذا الفصل ثم اذهب معكم .. »

وقد تقلب موسولينى فى حياته من الاشتراكية الى الشيوعية ، الى الفوضوية ، وأخيرا الى الفاشية ..

ومن الطبيعى أنه خلق لنفسه أعداء فى جميع هذه المراحل ، فحاول كثيرون الاعتداء على حياته .. ولكنه كان يتخذ كلمة نيتشة المشهورة : «عش فى خطر » شعارا له ، فتعلم المبارزة بالسيف واشتبك بالفعل فى عدة مبارزات .. وكان من عادته أن يعمل وعلى مكتبه خنجر ومسدسان ، ونصف خزانة كتبه عامرة بالقنابل ، استعدادا للطوارىء !.. فقد كان على الدوام مهددا من أعدائه بالقتل ..

وقد حدث حين هاجم البوليس مكتبه ذات مرة فى الخريف أن اخفى القنابل فى موقد المدفأة . وبعد أسبوع خطر للفراش أن يشعل النار فيها بدون اذن ، فكاد ينسف البيت بمن فيه لولا أن أوقفه سيده فى اللحظة الاخيرة !

٤٢ جرحا !

◆ وفى سنة ١٩١٥ تطوع موسولينى فى الحرب ، وكان وقتئذ رجلا معروفا ورئيسا لتحرير صحيفة اشتراكية ، فافرد له مكان آمن فى الصفوف الخلفية كى يكتب تحقيقا صحفيا عن الفرقة التى ينتسب اليها ، لكنه رفض ذلك فى اباء قائلا : « أنا لم آت الى هنا لاكتب ، بل لاحارب ! ».. وبعد فترة من اشتراكه فى القتال مزقت شظايا قنبلة جسمه فى ٤٢ موضعا ، وبلغ طول السطح الخارجى لهذه الجروح ـ لو وضعت متجاورة ـ أكثر من ياردة !

وقد قال موسولينى مرة : « لست أريد جنودا يحاربون قياما بالواجب ، وانما أريد جنودا يحاربون لانهم يحبون القتال ! » وكان مثله الاعلى يوليوس قيصر ونابليون ، حتى ان معطفه الرمادى الذى كان يرتديه بوصفه قائدا اعلى « للميليشيا » كان نسخة طبق الاصل من احد معاطف نابليون !

وقد تربى موسولينى فى احضان الفقر ، اذكان أبوه حدادا ، وبلغ من

فقر الاسرة أنها تقدمت بطلب اعانة من الحكومة ٠ لكن الحكومة لم تبال حتى بالرد على الطلب !٠٠ وقد ظل موسولينى نفسه حتى سن ١٥ سنة يجهل القراءة ٠٠ لكنه فى العام التالى كان يجلس الى جوار مزود البقريطالع روايات فيكتور هوجو ، بينما الابقار تمضغ طعامها من التبن !

وفى سن الثامنة عشرة اشتغل فلاحا اجيرا ، فكان ينام فى العراء ، ثم اشتغل حمالا فى محطة ٠٠ ثم صبى قصاب ٠٠ فمساعد بناء ! وقد طرد من جميع هذه المهن على التوالى ، فتصعلك فى سويسرا محترفا التسول ، وكان ينام تحت القناطر ٠٠ الى أن قبض عليه البوليس مرة بتهمة التشرد !

◆ ولم يكن موسولينى فى شبابه يهتم بالمال ، فحينما كان يحرر صحيفة للاشتراكيين ومنح علاوة ، رفضها !٠٠ فى الوقت الذى كانت فيه زوجته تلح عليه فى طلب المال اللازم للمعيشة ٠٠

وكان من عادته اذا عضه الجوع وهو مفلس أن يعزف على الكمان « السيمفونية التاسعة » لبيتهوفن ، كى يغرق فى انغامها صراخ امعائه !

وكان مولعا بالعمل ، فكثيرا ماواصل الليل بالنهار وهو يعمل محررا صحفيا ٠٠ حتى اذا غلبه النعاس نام فوق مائدة المكتب !٠٠ اماطعامه فكان يكتفى منه بمايحضره له الاصدقاء وهو فى مكتبه ، حتى لايغادره فيقطعالعمل !

وقد صادف وهو غلام امراة عجوز تحترف السحر والتنجيم ، فعلمته تفسير الاحلام ، و « فتح الكوتشينة » ! فكان يلجأ الى استشارة طالعه قبل اقدامه على الخطوات الهامة فى حياته ، وقبل أن يبدأ زحفه المظفر على روما استشار الكوتشينة عدة مرات !

ولم يكن يرضى مطلقا أن ينام واشعة القمر فوق وجهه ، فذلك عنده نذير سوء ! وقد بلغ من تعلقه بالشباب أنه لم يكن يسمح بالاشارة الى سنه او شيبته ، او الى انه قد صار « جدا » !

◆ ومع ايمانه بالقدر ، فانه كان يفتش مواسير المنزل كل ليلة خوفا من القنابل ، وكان حرسه الخاص لايقل فى اية لحظة عن ٣٠٠ رجل !

وهو الى هذا كان رجلا متشككا لايأمن انسانا ، ويحب أن يأكل بمفرده، ومن كلماته لزوجته : « لوبعث أبى من قبره لما وثقت به ! »

وكان يستحم كل يوم بالماء الدافىء ، لاعتقاده ان الماء البارد يتلف

اعصابه ٠ وكان اذا جلس الى الحلاق كى يحلق له لحيته ، اوصاه بان لايتكلم !
وكانت والدته احب الناس اليه ، فلما ماتت اصيب بشلل وقتى ! وظل يلبس فى يده اليمنى دبلة ذهبية كانت تحلى بها اصبعها اثناء حياتهـــا ٠ وكانت حليتها الوحيدة ، والميراث الوحيد الذى تركته له !
وقد صرح موسولينى مرة بأنه خلال عام ١٩٣٤ بلغت مقابلاته حدا خارقا لطاقة البشر ، فقد استقبل على انفراد اشخاصا بلغ مجموعهم ٦٠ الفـا (اى بمعدل أكثر من الف مقابلة فى الاسبوع ، او مائة وخمسين كل يوم !) ٠٠ كما عرض عليه سكرتيره خلال العام نحو مليونى ورقة كى يقراها ويوقعهـــا اويتصرف فيها !

٤ ـ تشارلس ديكنز : ربيب الفقر !

◆ منذ أكثر من مائة عام ، قرب عيد الميلاد ، ظهر فى لندن كتاب قدر له الخلود ٠٠ وكان هذا الكتاب هو اول ماطبع للروائى تشارلس ديكنز ٠ وقـــد بيع منه « يوم » صدوره الف نسخة ، ثم عشرات الآلاف٠٠وظلت طبعاته تتوالى ، وماتزال الى يومنا هذا ، كما أنه ترجم الى معظم لغات البشر !٠٠ وقد بلغ من اعجاب الناس به انهم كانوا اذا قابل أحدهم الآخر فى اى مناسبة ساله فى اهتمام : « هل قرأته ؟ » فيجيبه على الفور : « بالتأكيد ، فليبارك الله ديكنز !»
والكتاب المشار اليه هو : « اغنية عيد الميلاد »
وقد كتب لتشارلس ديكنز أن يكون أحب المؤلفين الى الجمهور فى الادب الانجليزى ٠ ومع هذا فانه حين ابتدأ الكتابة كان شديد الخوف من ســخرية القراء به ، ولهذا تسلل تحت جنح الليل كى يرسل مخطوط روايته الاولى الى الناشر ، خشية أن يكتشف الناس « جرأته » ! وماكان اشد فرحه حين نشرت الرواية ، وله من العمر اثنتان وعشرون سنة ، حتى لقد بلغ من فرحته أنه راح يجوب فى تلك الليلة شوارع المدينة على غير هــدى والدموع تنهمر من عينيه بلا انقطاع !
ولم يتقاض درهما واحدا على قصته الاولى التى انتشرت كل هـــــذا الانتشار ، والتى اشترى مليونير امريكى اخيرا مخطوطها الاصلى بثمن خيالى ! ٠٠ بل ان دخل ديكنز من قصصه الثمانية التاليـــة ، كان بدوره : لاشىء !

ولا بنس واحد ! اما الرواية التاســعة فكانت اول رواية تقاضي عنهـــا اجرا حقيقيا ، وكان هذا الاجر عبارة عن شيك بمبلغ : جنيه واحد ٠٠ يتيم !
اما روايته الاخيرة ، التاسعة عشرة ، فدرت على دائرته ربحا بمعدل ثلاثة جنيهات لكل « كلمة » ، وهو أعلى اجر دفع لمؤلف منذ بداية العالم !

٤٠ ألف جنيه ٠٠ أجرا لقصة !

◆ واذا كان معظم المؤلفين المشهورين ينطمس ذكرهم بعد خمس سنوات من وفاتهم ، فان مكانة ديكنز قد ازدادت بعد موته أضعافا ٠ وبعد ٦٣ سنة من مفارقته للدنيا دفع الناشرون لورثته أكثر من أربعين ألف جنيه اجرا لقصة عن المسيح كان قد كتبها لاطفاله ولم يعبأ بنشرها !٠٠
وخلال المائة سنة الاخيرة بلغ العدد الذى بيع من روايات ديكنز ارقاما خيالية ، لاتفوقها غير ارقام النسخ المبيعة من الانجيل ، وكتب شكسبير !٠٠ كما مثلت بعض رواياته على الستار الفضى ، ومن قبل ذلك على المسرح ، فلقيت نجاحا عظيما ٠ (ومن هذه الروايات التى اخرجت بالسينما : دافيدكوبرفيلد ، قصة مدينتين ، اوليفر تويست٠٠الخ)
ومن العجيب أن تشارلس ديكنز لم يذهب الى المدرسة غير مدة لاتتجاوز اربع سنوات ! ومع ذلك فقد كتب ١٧ قصة من أعظم قصص العالم !٠٠ وهو لم يذهب الى المدرسة التى كانت تديرها والدته ، لانهاكانت مدرسة للبنات ، أوهكذا كانت تقول اللافتة المعلقة على باب المنزل ٠٠ فانه لم تنتظم فى صفوف هذه المدرسة طالبة واحدة !٠٠ وقد ظلت ديون المدرسة تتراكم ، والدائنـــون يتوعدون ويهددون ، الى أن عيل صبرهم فقبضوا على والد تشارلس وسجنوه ـ كما كانت العادة فى ذلك العصر ـ حتى يفى بدينه !
فطفولة تشارلس ديكنز كانت مليئة بالآلام والمتـــاعب ، وقد كان فى العاشرة من عمره حينما زج بأبيه فى السجن فلم تجد الاسرة مايقوم بأودها٠٠ واذ ذاك رهن تشارلس ماكان يصلح للرهن من متاع البيت المتواضـــع ، ثم اضطر تحت ضغط الجوع الى بيـــع عشرة من كتبـــه التى كان يســـتمتع بمطالعتها ، والتى كانت أحب رفاقه اليه ٠ وقد قال فيمابعد ان ذلك البيـــع قد أدمى يومئذ فؤاده !



وأخيرا ، حين عجزت الاسرة عن العيش ، توجهت والدة تشارلس مع اربعة من اطفالها الى السجن لتعيش الى جانب زوجها على حساب الدولة ! ووجد تشارلس بشق النفس وظيفة فى مصنع للصق البطاقات على زجاجات الدهان الذى يستخدم لتلميع الاحذية ٠ وقد خلد ديكنز فظائع تشغيل الصغار فى المصانع فى روايته الخالدة « أوليفر تويست » ٠٠ فقد عاشر الاطفال المشردين ونام معهم وعرف خفاياحياتهم ٠

زوج تعس !

◆ وقد كتب ديكنز صفحات من أبدع ماكتب المؤلفون عن السعادة الزوجية ، مع أن زواجه كان صورة قاتمة للفشل الاليم ٠٠ فقد عاش ثلاثا وعشرين سنة مع زوجة لايحبها ، أنجبت له عشرة أطفال ٠ ومع ذلك فان شقاءه العائلى ظل يزداد بمرور الزمن ٠٠ وفى الوقت الذى كان فيه العالم كله يترامى تحت قدميه ، كان هو فى بيته نموذجا للتعاسة ٠٠ حتى انتهى به شقاؤه الى محاولة التنفيس عنه ، فنشر فى مجلته الخاصة أول اعلان من نوعه انزعج له معاصروه ، ومؤداه أنه قد اتفق مع زوجته على الانفصال ، والقى تبعة ذلك كله عليها !

وكان ديكنز مثالا للسخاء ، فترك فى وصيته أربعين ألف جنيه لزوجة اخيه ، فكم ترى ترك لام أطفاله ؟

سبعة جنيهات فى الاسبوع !

وكان تشارلس مزهوا بنفسه كأنه « الديك الرومى » !٠٠ بحيث كانت أهون عبارات النقد كفيلة باثارته ٠ وكان يرتدى الملابس الصارخة الالوان ، التى تلفت النظر !٠٠ وحين زار أمريكا سنة ١٨٤٢ أذهل الجمهور الامريكى بستراته القرمزية الحمراء ، وبتسريحه لشعره على رؤوس الاشهاد كلما بعثره

الهواء !٠٠ أما الامريكيون فقد صدموه بترك خنازيرهم طليقة تمرح فى شوارع نيويورك !

ومع ذلك ففى زيارته الثانية لامريكا كان صيته قد بلغ حدا جعل الجماهير تبيت فى الشوارع معرضة صدورها لخطر الاصابة بالالتهاب الرئوى كى تحجز محلات فى الصفوف المتراصة أمام شباك التذاكر تبغى الحصول على تذكرة باهظة الثمن تدخل بها لسماع ديكنز يتلو بصوته الشخصى احدى قصصه المطبوعة فى الكتب !٠٠ وفى احدى المرات كادت تنشب معارك دامية بين الجماهير حين نفدت التذاكر قبل أن يحصل الجميع على نصيبهم منها !

وكم تحسب كان ثمن التذكرة الواحدة التى تتيح « التفرج » على ديكنز وسماع قصصه « الناطقة » ؟

اثنا عشر شلنا ونصف شلن !

اشتراكات «كتابي»

ترسل بالبريد المسجل

◆ نظرا لتكرر شكاوى حضرات المشتركين الاعزاء من عدم وصول بعض اعداد «كتابى» التى ترسل اليهم بالبريد .. ونظرا لان ابلاغ المجلة هذه الشكاوى الى مصلحة البريد لم يحسم اسباب الشكوى مع الاسف الشديد .. لذلك رأت ادارة «كتابى» ـ مضطرة ـ ان ترسل جميع الاعداد الى اصحابها بالبريد المسجل ابتداء من هذا العدد .

الاشتراك فى مصر والسودان : ١٠٠ قرش

◆ ولما كان هذا الاجراء من شأنه ان يكلف المجلة نفقات لايحتملها مبلغ الاشتراك القديم الزهيد ـ وكان ثمانين قرشا فى العام ـ لذلك رأت الادارة رفع قيمة الاشتراك السنوى ابتداء من اليوم الى مائة قرش (جنيه واحد) ، وهو على كل حال مبلغ لايزيد عن ثمن الاثنى عشر عددا متفرقة ، باعتبار كل عدد ثمانية قروش .. وذلك تغطية لجزء من نفقات ارسال الاعداد جميعا بالبريد المسجل .

الاشتراكات فى العراق وسوريا ولبنان

◆ اما بالنسبة للاشتراكات خارج مصر والسودان فالسعر باق كما هو منصوص عليه فى الصفحة الرابعة من هذا العدد ، نظرا لان الاعداد ترسل للخارج عن غير طريق البريد .

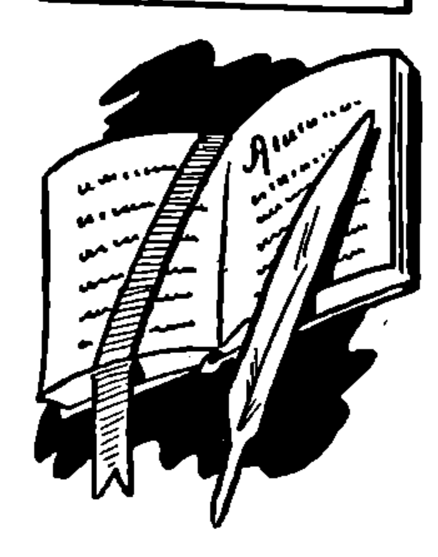
وبهذه المناسبة ، وتسهيلا لحضرات المشتركين فى كل من العراق وسوريا ولبنان ، رأت ادارة كتابى اعتماد وكلاء عنها لتحصيل قيمة الاشتراكات فى هذه البلاد رأسا ، هم حضرات : (فى العراق) : السيد محمود حلمى ، المكتبة العصرية ، سوق السراى ـ بغداد . (وفى لبنان وسوريا) : شركة فرج الله للمطبوعات ، صندوق بريد ١٠١٢ ـ بيروت

الاعداد السابقة من «كتابى»

◆ وقد قررت ادارة كتابي ـ للسبب عينه ! ـ ان ترسل بالبريد المسجل ايضا جميع النسخ التى يطلبها القراء الاعزاء من اعداد «كتابى» السابقة التى يوجد منها بالادارة مؤقتا عدد محدود ، وذلك مقابل عشرة قروش للنسخة ، ترسل باذن بريد او خطاب مسجل

◆ اما العدد الاول الذى يعاد طبعه قريبا باذن الله ، فاقرأ تفصيلات موعده وطريقة الحصول عليه فى الصفحات الاخيرة من هذا العدد .

الحياة
قصة



روائع
القصص
العالمى

عزيزى القارىء ...

قرأت معى فى الاعداد السابقة من (كتابى) - فى هذا الباب - القصص الاتية على التوالى : ((أموك)) او (غرام تحت سماء الشرق) لستيفان زفايج .. و((شجرة التفاح)) او (قلب عذراء) لجون جالزورثى .. ثم ((مرتفعات وذرنج)) لاميلى برونتى .. تليها ((التلميذ)) او (عندما يضل الشباب) لبول بورجيه .. ((فأحدب نوتردام)) لفيكتور هوجو .. و((جريمة حب)) لبول بورجيه ايضا .. و((جين اير)) لشارلوت برونتى .. و «أيام بومبى الاخيرة » للورد ليتون..

واليوم اقدم لك فى الصفحات التالية القصة العالمية ((مانون ليسكو)) للآب بريفو .. تليها فى الاعداد التالية من كتابى باذن الله : حديقة الله (روبرت هيكنز) ايفانهو (والتر سكوت) دين الكراهية (جورج اونيه) سافو (الفونس دوديه) البؤساء (فيكتور هوجو) غادة الكاميليا (ديماس) مدام بوفارى (فلوبير) الامطار (زلة قديس) لسومرست موم نانا (اميل زولا) تاييس (اناتول فرانس) الجريمة والعقاب (دستوفسكى) الحرب والسلم (تولستوى) .. الخ


الأب پريڤو
مانون ليسكو
MANON
LESCAUT
par
L'ABBÉ PRÉVOST

القصة .. والمؤلف

◆ فى قصة «غادة الكاميليا» حوار شائق بين بطل القصة «ارمان دوفال» وبين معشوقته « مرجريت جوتييه » ، يبدأ حين يلمح الشاب فى يد الغانية كتابا تقرأه ، هو قصة «مانون ليسكو» .. فيعاتبها ويلومها على قراءة هذه القصة ، خشية ان تحذو حذو بطلتها «مانون» وتتأثر بشخصيتها وخلقها !

يخشى على الغانية من مانون ليسكو !
فمن هى مانون ليسكو ؟
وما هى قصتها ؟
.. وشخصيتها ؟
.. وخلقهـــا ؟
ومن هو مؤلفها ؟

◆ اما القصة وبطلتها فستعرفهما من الصفحات التالية ..

واما المؤلف .. فهو «انطوان فرانسوا بريفو ديجزيل» المعروف فى عالم الادب باسم «الاب بريفو» .. ولد فى اول ابريل سنة ١٦٩٧ ببلدة هيدان بمقاطعة «ارتوا» الفرنسية ، وتعلم فى مدارس الجزويت (اليسوعيين) اولا فى مسقط رأسه ثم فى باريس . وتحير فى شبابه الباكر زمنا بين حياة الدير وحياة المعسكر ، بل انضم فعلا الى الجيش مرتين .. لكنه فى سنة ١٧٢٠ انتهى الى اختيار حياة رجل الدين ، فالتحق بدير القديس «مور» ، حيث انفق سبع سنوات يؤدى واجباته الدينية ويعكف على الدراسة المتصلة الهادئة .. لكنه فى نهاية العام السابع ـ سنة ١٧٢٧ ـ ضاق بحياة التعبد ففر من الدير الى هولندا ، ثم الى انجلترا ، حيث عاش فى لندن فترة من الزمن .. لكنه عاد فى سنة ١٧٣٥ الى فرنسا ليكرس حياته للادب ، دراسة وكتابة ، فانتج حوالى المائة كتاب فى شتى ابواب الادب ..

مقدمة المؤلف

◆ **كان** لقائى الاول مع « الشيفالييه دى جريو » فى بلدة (باسى)، حين صادفت جمعا من الناس قد ازدحم خارج حانة متواضعة ، فاستفسرت عن سبب الزحام ، ولكن دون أن أهتدى الى من يرشدنى الى حقيقة الامر .. حتى تطوع جندى مسلح فأجابنى بأنه وواحدا أو اثنين آخرين من زملائه يحرسون نحو



وبعد سنوات نفى من فرنسا لاسباب مجهولة ، فعاش فى المنفى حتى وافاه اجله فجأة فى « شانتييه » فى الثالث والعشرين من نوفمبر سنة ١٧٦٣

وقد بدأ الاب بريفو الكتابة اثناء اقامته فى دير القديس مور ، فأخرج فى تلك الفترة الاجزاء الاربعة الاولى من مؤلفه الخالد : « مذكرات رجل ذى خلق اعتزل العالم » وقد نشرت تلك الاجزاء فى باريس سنة ١٧٢٨ .

ثم كتب الاجزاء الثلاثة الاخرى من الموسوعة اثناء اقامته فى هولندا عقب نفيه من وطنه ، وكان الجزء السابع والاخير منها هو قصة «مانون ليسكو» الخالدة ، التى نشرت فى باريس وامستردام فى وقت واحد سنة ١٧٥٣ .. وقد لقيت منذ صدورها رواجا هائلا ، لم يلبث ان تضاعف حين صودرت فى فرنسا فصارت تباع سرا ! ..

واليوم تحتل قصة مانون ليسكو مكانة رفيعة بين القصص الكلاسيكية الخالدة .. وشخصية بطلتها مانون شخصية فذة مبتكرة كانت الاولى من طرازها يوم صدرت القصة ، بحيث تعتبر الموحية لكل من : شاتوبريان واناتول فرانس والكسندر ديماس وبروسبر مريميه وبرناردين دى سان بيير ، بشخصيات بطلات قصصهم المعروفة : «أتالا» ، و«تاييس» ، و«غادة الكاميليا » ، و « كارمن » ، و « بول وفرجينى » !

والان .. اليك القصة :

عشرة أو أكثر من النسوة «التعسات» اللواتى ينتظرن فى داخل الحانة ساعة ترحيلهن الى ميناء « هافر دى جراس » تمهيـــدا لنقلهن باحدى السفن الى أمريكا !

وتملكنى فضول قوى الى رؤية أولئك «النسوة التعسات» اللواتى يرحلن بالقوة الى الدنيا الجديدة على هذه الصـورة .. فترجلت عن جوادى وتركته مع خادمى ثم شققت طريقى وسط

الجمع المحتشد الى داخل الحانة · **كانت الفتيات مقيدات جميعهن معا بأغلال تحيط بخصورهن · ولمحت بينهن واحدة أوحت الى من فورها بمزيج من الاحترام والشفقة · كانت رغم محنتها رائعة الجمال ، ينم مظهرها ـ باستثناء ثيابها الزرية ـ عن أنها تنتمى الى طبقة أرفع بكثير من طبقة زميلاتها · ولم يستطع الحارس أن يرشدنى الى شىء يتصل بماضيها ، سوى أنها ترحل الى خارج البلاد بأمر مدير البوليس ! ··** ثم استدرك الرجل قائلا وهو يشير الى ركن الردهة : « ولكن اليك شابا قد يعرف عنها أكثر مما أعرف ·· فلقد جاء معنا من باريس ، وطوال الطريق لم يجف دمعه !·· لعله أخوها ، أوعشيقها »

◆ **وتعرفت** الى الشاب ، فلما استرسل بيننا الحديث تبينت من لهجة محدثى وحركاته أنه شخص كريم الاصل ، على قدر ممتاز من العلم ·· وكان وجهه من الرقة ، ونبل الملامح ، وتصرفاته كلها من التهذيب والدماثة ، بحيث جذبتنى اليه من فورى ··

وأخبرنى الفتى أنه قد صحب الجماعة فى مجيئها من باريس لان عشيقته ـ المرأة التى لفتت انتباهى ـ كانت لسوء الحظ واحدة منهن ! وأضاف انه يعتزم أن يرافق الركب فى السفينة ذاتها الى أمريكا ··

واذ أدركت حاجة الشاب الى شىء من النقود ـ وهو على أهبة مغامرته الطويلة ـ فقد نفحته بأربعة جنيهات ذهبية ، وأنا أحس ارتياحا خفيا ، مبعثه شعورى بأنى قد فعلت شيئا من شأنه أن يذلل الطريق أمام العاشقين المعذبين اللذين أثارا اهتمامى وشفقتى بدرجة غير مألوفة · وزادنى تأثرا مظهر الامتنان والوقار الذى قبل به الشاب الغريب معونتى ··!

◆ **ثم** انقضى عامان ، نسيت خلالهما الحادث السالف نسيانا تاما ·· حتى التقيت فى «كاليه» ذات يوم بذلك الشاب الذى

عرفته فى «باسى» ٠ لكنه بدا هذه المرة كمن يمر فى ظـــروف تعسة ، وكان محياه أشد شحوبا بكثير منه حين رأيتـــه فى المرة السابقة !٠٠ لكنه لم يكد يلمحنى حتى أظهر ترحيبا كبيرا برؤيتى ، قائلا انه قد عاد لتوه من أمريكا ٠٠ ثم أضـــاف فى لهجة تفيض امتنانا : « **انك قد أسديت الى تلك المرة صـــنيعا لن أنساه ، بحيث أحس اننى أكون آثما وضيعا ناكرا للجميل اذا أخفيت عنك شيئا من أحوالى ٠٠ فاذا أذنت لى ، قصصت عليك قصتى ٠٠!**»

وأخذته معى الى فندق « الاسد الذهبى » حيث كنت أقيم ٠٠ وفيمايلى قصته كما رواها لى ٠٠ بلسانه :

١ ـ يد القدر !

◆ **فى** سن السابعة عشرة كنت أكمل دراستى بمعهـــد الفلسفة فى « اميان » ، حيث أرسلنى والداى ، اللـــذان ينحدران من احدى الاسر العريقة بشمال فرنســـا ٠ وكان سلوكى فى المعهد مثاليا بحيث اتخذنى الجميع قدوة لبقيـــة الطلبة ! ذلك انى نشأت بطبعى هادئا مسالما ، أنفـــر من الرذيلة نفورا غريزيا اعتبره الناس فضيلة !٠٠ وكنت مجدا مجتهدا فى الاستذكار ، عن ميل لا عن قهر وارغام ٠٠ وقـــد جعلتنى هذه السمعة الطيبة محبوبا من أسقف المعهد ، بحيث اقترح على أن أكرس حياتى للخدمة الدينية ، بدلا من الالتحاق بفرقة « فرسان مالطة » العسكرية كماكان يعدنى والداى ٠٠

وكان أخلص صديق لى فى المعهد طالب يكبرنى ويسبقنى فى الدراسة بعدة أعوام ، يدعى «تيبرج» ، وكان فقـــر أهله قد اضطره اضطرارا الى دراسة الدين ، وجعله يثابر عـــلى دراسته مثابرة عظيمة ٠ وكان ذا خلق قويم وصفات حميدة ، وقد خصنى بصداقته الخالصة وكرمه ، ومحبتـــه ٠٠ ولو

أصغيت لنصيحته الحكيمة لظفرت بالسعادة الحقة طيلة حياتى • ولكن •••

في اليوم السابق لبداية العطلة الدراسـية ، وكنت أعتزم السفر فى الغد الى حيث يقيم أهلى ، خرجت مع صديقي تيبرج نذرع شوارع البـلدة متسكعين •• فلمحنا عـربة المسافرين القـادمة من « أراس » تقف أمام باب الحانة التى تتخذها « محطة » نهائية لها • وبدافع الفضول وقفنا نشـهد ركاب العربة وهم يهبطون منها •• **وكان من آخـر الركاب الذين هبطوا فتاة فى مقتبل العمر ، على قدر من الحسنوالجاذبية أنسانى حيائى الفطرى وتحفظى ، وجعلنى ـ أنا الذى لم أنظر يوما الى امرأة نظرة يمليها الغرض أوالاهتمام الخاص ـ أتجه من فورى نحو الحسناء وقد استخفتنى بهجة وانشراح عجيبان !**

كانت الفتاة تكبرنى بقليل ، ولم يبد عليها أدنى ارتباك أواضطراب حين سألتها فى أدب بالغ عماجاء بها الى « اميان » ، وعما اذا كان لها فى البلدة أصدقاء ؟ فأجابتنى فى بساطة بأن أهلها قد أرسلوها كى تدخل الدير وتصير راهبة !•• وفىأثناء تبادلنا هذا الحديث القصير كان مرافقها ، وهو رجل متقدم فى السن تبدو عليه هيئة الخادم الخاص ، منشغلا بانزال حقائبها من فوق سطح العربة ••

وأبديت للحسناء أسفى العميق لان أسمع أنها تنـوى اخفاء جمالها وراء أسوار دير !•• وأمدتنى عاطفتى المفاجئـة التى انبثقت فى قلبى بفصاحة وجرأة لم آلفهما ، فرجـوت الفتاة أن آخذها تحت حمايتى ، واعدا بانقاذها من طغيـان أبويها وتكريس حياتى لاسـعادها •• فأجابتنى بأن لاشىء يسرها بدورها قدر الاقتراح الذى أعرضه ، فانها تمقت فكرة الرهبنة والدير •• ولكن كيف نستطيع تحقيق الفكرة ؟

وفيماكنا نتحدث ، أقبل خادمها المسن • ولدهشـتى

واغتباطي أوضحت له الحسناء في هـــدوء وبساطة انني ابن عمها ! وانها قد سرت بالفرصة التي أتاحت لنا أن نلتقي كي نتناول العشاء معا . ثم أضافت انها ســـــترجيء الذهاب الى الدير الى الصباح ..

ووافق مرافقها ، مضطرا ، فأخذتهما من فوري الى حانة أخرى كان صاحبها يعمل فيمامضي جوذيا عند أبي ... بعـد أن تخلصت من صديقي تيبرج ـ الذي لم يعرف شـــيئا من الحديث الذي جرى بيني وبين الفتاة ـ مكلفا اياه بأداء مهمـــة اخترعتها لحظتئذ !

ولم أكد أنفرد بفاتنتي حول مائدة العشاء ، حتى شرعنا فورا في تدبير أمر « مستقبلنا » .. فاتفقنا على أن أرســـل اليها عربة تنتظرها بالقرب من الحانة في ســـــاعة مبكرة من الصباح التالي .. ثم ننطلق بالعربة معـــا الى باريس ، حيث نعقد زواجنا بمجرد وصولنا !

وتركت حسنائي بعـــد العشاء وعدت الى صـــــديقي « تيبرج » ، الذي لم يكد يقف مني على تفصيلات القصـــة حتى عارض بشدة في اقدامي على الخطوة التي اعتزمتها .. فلمـــا لمست تصميمه على منعي وافساد خطتي بأي ثمن تظاهرت بأني اقتنعت برأيه ووعدته بأن لاأتخـــذ أية خطوة حتى ألقـــاه في صباح اليوم التالي ..

٢ ـ الفرار الى باريس

◆ **لكني** كنت كاذبا في وعدي بالطبع !.. فلم يكد ينبثق فجر اليوم التالي حتى كنت انتظر « مانون ليسكو » ـ فقد كان هذا اسم الحسناء ـ خارج باب الحـــانة .. ولم تلبث هي أن أقبلت حسب موعدنا ، فوضعت متاعها في العربة وأجلســـتها بجانبي ثم انطلقنا ننهب الطريق الى .. باريس !

وفى نهاية النهار بلغنا بلدة « سان دنيس » قبيل هبوط الظلام . وهناك نسينا أن نعقد زواجنا ، ووجدنا أنفسنا زوجا وزوجة .. دون تدخل القسيس !

وفى باريس اتخذنا مسكنا مفروشا فى شارع «ف...» بجوار مسكن « مسيو دى ب .. » ـ وهو ثرى من أصحاب الاطيان ـ وأحسسنا أن سعادتنا قد اكتملت..لكنى تبينت بعد مدة أن رصيدنا المالى المحدود قد أخذ يتبخر بسرعة ، بحيث لن يعيش طويلا ، بدأ يساورنى القلق .. فاعتزمت أن أبذل مافى وسعى كى أسترد رضاء أبى ـ الذى قاطعنى منذ فرارى مع مانون على النحو السابق ـ ثم أسعى للحصول منه على شىء من المال !

لكن مانون اعترضت على هذه الفكرة ، ولماكانت هى التى تتولى الانفاق على البيت وتنظيم « ماليتنا » ، فقد تعهدت بأن تدبر الامر بحيث تكفينا نقودنا أطول مدة ممكنة .. فاذا نفدت آخر الامر ففى استطاعتها هى أن تحصل على نقود من أقرباء لها يقيمون فى الريف ..

وكان سهلا على أن أقتنع بمنطق امرأة فى حسنها الفاتن .. فتركت التفكير فى المسألة ، واضعا ثقتى الكاملة فى حب مانون وتفانيها فى الاخلاص لى ..

٣ ـ مفاجأة .. وخيبة أمل !

◆ **وذات** مساء ، خرجت من البيت تاركا مانون فيه ، فلما عدت تباطأت الخادمة الصغيرة التى كانت تقوم على خدمتنا فى فتح الباب لى .. وحين ألححت عليها فى ايضاح السبب أبدت الحمقاء عذرا سخيفا .. وأخيرا اعترفت باكية بأن سيدتها أوصتها بألا تفتح الباب حتى يخرج « مسيو دى ب».. من سلم الخدم !

وفى غمرة ارتياعى ودهشتى لم أدر ماذا أفعل ·· وأخيرا قررت أن لاأفاتح مانون فى الامر ، محاولا اقناع نفسى بأن هناك ولابد سببا وجيها للتصرف المريب الذى بدا لى منها ··

وفى ذلك المســاء كانت مانون معي غاية ، بل آية ، فى الرقة !·· لكنها بدت وقت العشاء ساهمة مكتئبة ·· ثم بدأت الدموع تهطل من عينيها الجميلتين · وحاولت مفزوعا أن أسرى عنها ، ولكن بغير جدوى ·· وفى هذه الاثناء فوجئت بطــرق مكتوم على الباب ، فعانقتنى مانون وانطلقت تعدو الى مخدعها ··!

وحــين فتحت الباب لارى من الطارق أمسك بى ثلاثة رجال عرفت فيهم خدم أبى !·· واذ أوضحوا لى انهم يتصرفون هكذا خضوعا لاوامر ســيدهم ، راجــين أن أغفر لهــم مسلكهم ، أمسك اثنــان منهم بذراعى بينما شرع الثــالث فى تفتيش جيوبى !·· ثم أخــذونى عنوة الى أســفل ووضعونى فى عربة كانت تنتظر أمام الباب · وهنــالك وجدت فى العربة أخى الاكبر ، الذى قبلنى فى حرارة ·· لكنه لم ينطق بكلمة !·· ثم لم تلبث العربة أن انطلقت بنــا بأقصى سرعتها الى «سان دنيس» ، دون أن نتبادل عبارة واحــدة · لكن أخى خرج هناك عن صمته فراح يواســينى ويسرى عنى بأرق لهجة وألطفها ··!

وبعد أن قضينا الليلة فى سان دنيس ، استأنفنا رحلتنا فى الصباح الى بلدتنا · وحين وصلنا وبخنى أبى فى رفق على «فعلتى» وأعرب عن أمله فىَ أن أكون أكثر تعقلا وفطنــة فى المستقبل · فشكرته ، فى لهجة تنطوى على الاحترام البالغ ، على نصيحته وعنايته بأمرى ، واعدا اياه بأن يكون مسلكى فى المستقبل سليما من كل مطعن ··

وحول مائدة العشاء مازحنى الجميــع بشأن « غزوتى » الغرامية ومايتصل بها ، فتقبلت المزاح بصدر رحب ·· **حتى**

جاء ذكر مسيو دى ب ٠٠ فانتفضت شـــكوكى وهواجسى ، وتساءلت غاضبا عن صلة السيد المذكور بشؤونى ؟! وعنـدئذ قيل لى ـ بين الضحكات الصاخبة ـ اننى قد خدعت ٠٠ وان « مسيو دى ب » كان على صلة بمانون منذ يوم وصولنـــا الى شارع «ف» على وجه التقريب !٠٠ وانه هوالذى لم يكديكتشف شخصيتى حتى وشى بى لابى ـ بتحريض من مانون ! ـ وبذلك مكنه من اختطافى !

وكانت الصدمة من العنف والقسوة بحيث سقطت عـلى أثرها فاقد الوعى ٠ وحـــين أفقت من اغمائى تدافعت الدموع الرحيمة الى مقلتى ٠٠ واذ رأى أبى مبلغ عمق جـراحى أسف على مزاحه القاسى فحاول التكفير عنه بكل مافى وســـعه ٠٠ لكنه لم يكد يسمعنى أعلن تصميمى على العودة الى باريس كى أقتل مسيو دى ب ، حتى قال لى فى بساطة وحزم أننى ينبغى ألاأفكر فى مبارحة البيت أوأطمع فى ذلك ٠ والواقـــع أننى وجدت نفسى منذ تلك اللحظة « سجينا » فى منزل أسرتى !

٤ ـ بين الدنيا ٠٠ والدين !

◆ **وبقيت** على هذا الوضـــــع ستة أشهر ، تحت رقابة صارمة ٠٠ أمافيماعدا ذلك فقد عاملنى أهلى بكل رعاية وحنان٠ ولم تلبث سكينة نفسى أن عاودتنى بالتدريج ٠٠ حتى اعتقدت فى النهاية أنى شفيت من حبى لتلك الغادرة «مانون» !

وذات يوم جاء صديقى «تيبرج» يزورنى ، وقـــد فاض قلبه اخلاصا وشوقا كعهدى به ٠ ونصحنى نصيحة تركت فى نفسى أثرا عميقا : قال انه قد طلق حماقات الشباب واعتزم أن يكرس حياته للفضيلة والعفة فى رحاب الدين ٠٠ ثم ناشدنى بحرارة أن أحذو حذوه !

وأثرت أقواله فى نفسى ، واقتنعت بجمال الحيـاة التى يعرضها على ٠٠ فعرضت الامر على أبى ، الذى وافق من فوره

على أنأترك اتجاهى القـــديم للجيش وأنخرط فى ســلك الكنيسة ، بعد أن أتلقى الدراسة التى تؤهلنى لذلك فى معهد « سان سولبيس » حيث يدرس صديقى تيبرج .
والتحقت بالمعهد المذكور بالفعل .. وواصلت الدراسة الجدية فيه عاما كاملا لم يتخلله أى عائق يقطـع انتظامى فى التحصيل . كنت أعمل جادا مثابرا فى حماسة ظاهرة واقتناع داخلى بأننى خلقت لحياة الدين والتعبد . ونجحت فى اتجاهى الجديد الى الدرجة التى أهلتنى لان أشترك فى مساجلة علنية عامة أمام مدرسة اللاهوت .. وشهد كل أصـدقائى الذين حضروا لسماعى وأنا أناظر أساطين الدين فى دار جامعـة «السوربون» ، اننى كنت موفقا للغاية ..
◆ **وحين** عدت الى معهدى بعد انتهاء المناظرة كانت عبارات المديح الاجماعى ماتزال ترن فى أذنى !.. على أنى لم أكـد أصل حتى أنبئت أن سيدة تنتظرنى فى البهو ..
ولم تكن تلك « السيدة » غير .. مانون !.. وقد بدت أجمل وأشهى منها فى أى يوم من الايام !
وقالت ان الفضـول قد ساقهـا فى ذلك العصر الى «السوربون» لترى ما اذا كان «الاب دى جريو» الذى أعلنت الجامعة أنه سيحاضر فيها هو نفس الصديق العزيز الـذى لم تقع عيناها عليه منذ قرابة عامين ؟.. ثم أضافت انهـا قـد جاءت لتلتمس منى الصفح وتنبئنى بأن حبها لى لم يكن يوما أقوى منه الآن ! **ثم ارتمت بين ذراعى وقبلتنى بكل عنفـوان عاطفتها القديمة ، وهى تقسم لى انها ستنهى حياتهـا بيدها اذا رفضت حبها !.. وان « مسيو دى ب » لم يكن يعنى شيئا فى حياتها ، وأما أنا فانى كل شىء بالنسبة لها .. وبغيرى لن تستطيع ولن تقبل أن تعيش !**
هل يستطيع عقل أن يصدق اننى ـ فى خـلال دقائق معدودات ـ نسيت كل نواياى الطيبة ، ومستقبلى المرموق ،

وبرنامجي الطويل ·· وهجرت المعهد ـ الى غير رجعة ! ـ لانطلق مع مانون فى عربتها ، التى كانت تنتظر عند زاوية الطريق ؟

نعم ، فهذا بالضبط ماحدث!·· وقررنا ، طلبا للسلامة ، ألا نعيش فى باريس ، بل نذهب الى «شايو» ·· وهناك قضينا الليلة فى حانة ، ثم عثرنا فى اليوم التالى على مسكن مريح · وقدرنا أن الستين ألف فرنك التى تملكها « مانون » تكفينا للمعيشة نحو عشر سنوات · وخلال هذه المدة أكون أنا قد بلغت سن الرشد فأحصل على نصيبى من ارث الاسرة ··

◆ **وانصرمت** أشهر الصيف ونحن فى اطمئنان الى هذا «الحساب» ·· وحين أقبل الشتاء ، وجدنا الضاحية التى نقطنها موحشة كئيبة ، فانتقلنا مؤقتا الى باريس ·· وهناك اهتدى الى مقرنا ـ لسوء الحظ ـ شقيق لمانون كان يعمل فى الحرس ، وكان شخصا خشنا ، مستهترا ، مسرفا ·· فلم يلبث أن صار حملا ثقيلا على مالية مانون ، وراح يرهقها بطلب المال كل حين !

وليت البلاء اقتصر على ذلك ، بل لقد حلت بنا الطامة الكبرى حين شب حريق ذات ليلة فى مسكننا السابق الذى كنا مانزال نحتفظ به فى «شايو» ·· وكانت مانون تخفى فيه أموالها ، كى تتعلل بذلك أحيانا لرفض مطالب شقيقها المسرف !

وهكذا فقدنا كل مالنا ، وان لم نعلم اذا كانت قد التهمته النار أم سرقه لص أثناء اطفاء الحريق !·· وعندئذ أدركت ـ وأنا العليم بحب مانون للترف ـ العاقبة الحتمية لذلك الحادث المشؤوم ، فهمست لنفسى فى مرارة : « سوف أفقدها مرة أخرى ! » ·· ومن ثم رحت أجهد ذهنى فى البحث عن وسيلة أحصل بها على المال لتعويض تلك الخسارة والانفاق على معيشتنا ·· وبلغ من قحة شقيق مانون وضعته اللتين أظهرهما فى هذا الظرف أنه ألمع من طرف خفى الى أن شقيقته تستطيع تدبير معاشنا بسهولة اذا أرادت !·· ورغم أن المعنى

الذى رمى اليه لم يغب عنى ، فانى تغابيت وتركت المناقشة تمر بسلام ٠٠

وألجأتنى الحاجة العاجلة الى نقود نواجه بها نفقاتنا الضرورية ، الى التردد بصحبة ليسكو - الشقيق - على ناد للقمار كان هو من رواده ٠ وسرعان ماتعلمت بعض ألعاب الورق وبرعت فيها الى حد أنى صرت أخرج من النادى فى أكثر الليالى بأرباح لابأس بها ، كفلت لنا أن نعيش فى المستوى المترف الذى ألفناه ٠٠

٥ - خلقت للخداع !

وذات مساء ، دعانى ليسكو مع شقيقته الى تناول العشاء فى الخارج ٠٠ فلما عدنا لم نجد لخادمة مانون وخادمى الخاص اى اثر ، كما لم نجد اثرا للمبلغ الذى كنت قد جمعته من المال ، ولثيابى جميعا ، وثياب مانون !٠٠ وبالاختصار فقد أفقدتنا الكارثة الجديدة كل شىء !

ونصحتنى مانون بابلاغ رجال البوليس ، لكن تحرياتهم لم تفض الى نتيجة ٠٠ **وأثناء غيبتى عن البيت انتهز ليسكو الفرصة فقدم شقيقته مانون الى من يدعى « مسيو دى ج٠٠م» ، وهو شيخ متصاب لا يضن بمال فى سبيل اشباع شهواته ٠٠ وقبل أن أعود كان الطرفان قد فرغا من مساومتهما وعقدا اتفاقهما الشائن ، فرحلت مانون تاركة لى خطابا مليئا بعبارات الوجد والهيام ، تعتذر لى فيه عن اضطرارها - بدافع الحاجة - الى هجرى للمرة الثانية !**

وفيماكنت أحرق الارم غيظا وندما على غفلتى ، دخل على الشقيق الرقيع ليسكو ٠٠ فاختطفت سيفى من غمده وهممت بأن أصرعه لفورى ، لكنه استمهلنى قائلا انه يحمل الى رسالة من مانون ! وكانت اللعينة تقول فى رسالتها انها انما تراوغ مسيو دى ج وتصاوله ، ممنية اياه بأن تمنحه

ذاتها ، حتى تحصل فيءيدها على الجواهر الرائعة والمبلغ الكبير من المال والعربة والجواد ، التى وعدها بها كلها الرجل ٠٠ وعندئذ تتركه محروما من « المقابل » ، وتهرع عائدة الى «الرجل الوحيد الذى أحبته فى حياتها ! »

وهكذا ، وبرغم اشمئزازى من الخطة ، فقد وجدتنى أضعف فأقبلها مكرها ، خشية أن أفقد مانون نهائيا !٠٠ ودخلت بالفعل فى « مفاوضات » مع الشقيق لاعداد خطة الاحتيال على العاشق الجديد !٠٠ وفى الموعد المحدد لتنفيذ الخطة كنت أتناول العشاء مع مانون وشقيقها فى منزل الثرى الابله ، فلم نكد نفرغ من الطعام حتىعمدنا الى الفرار «بغنائمنا» من الجواهر والنقود الموعودة التى كانت مانون قد حصلتعليها بالفعل خلال السهرة !

ولم يضيع مسيو دى ج وقتا فى ابلاغ رجالالبوليس ، واطلاقهم فى أثرنا ٠٠ فلم تمض أيام حتى وجدت نفسى نزيل سجن «سان لازار » ، بينما أرسلت مانون الى « المستشفى العمومى » ، وهو السجن الخاص الذى أعد للنسوة ذوات السيرة السيئة والسلوك المريب ! وكان مجرد تفكيرى فى أن تقيم امرأة رقيقة مثل مانون فى مكان كهذا ، كافيا لتعذيبى واقلاق مضجعى ٠٠ لكننى انتهيت من تفكيرى المضنى فى هذا الامر الى انى لكى أخلصها من عذابها لابد لى من اطلاق سراحى أنا أولا !

◆ **ولن** أطيل عليك ياسيدى فى شرح الخطوات التىتوصلت بها الى الفرار من سجن سان لازار ٠ وانما يكفى أن تعلم أننى استرددت حريتى بواسطة ارهابى للكاهن الدينى الذى جاء ليعظنى ويرشدنى فى السجن ، فقد شهرت فى وجهه المسدس الذى أمدنى به خلسة شقيق مانون ٠٠ كما لن أثقل عليك بوصف الوسائل التى تمكنت بها من تهريب عشيقتى العذبة من سجنها بعد فرارى أنا بمدة وجيزة !٠٠

وعلى أثر لقائنا التجأنا الى تلك الحانة التى نزلنا بها من قبل فى ضاحية شايو ، وهناك عوملنا من القوم الذين يعرفوننا بتكريم وترحيب • ورغم أن أحدا منا لم يكن يملك أية عملة نقدية أوأشياء ذات قيمة يمكن رهنها مثلا ، فاننا طلبنا من صاحب الحانة كل ما اشتهته نفوسنا من الاطعمة ووسائل الراحة ، مخفين سر فقرنا ومعتمدين على المصادفة كى تنقذنا من المأزق الحرج الذى كنا فيه ••

وفى الصباح التالى تركت مانون فى الحانة ومضيت الى باريس ماشيا على قدمى ــ لعدم امتلاكى أجر الركوب ! ــ وهناك قصدت الى صديقى المخلص تيبرج ، الذى أقرضنى مبلغا بغير تردد • وكان قد سمع بنبأ فرارى من سجن سان لازار ، لكنه لم يعرف شيئا عن مانون ، **فآثرت أن أدعه جاهلا بما جرى لها هى الاخرى •• ثم عدت الى شايو سعيدا بالمال الذى فى جيبى ، وهناك كافأتنى مانون على توفيقى بنوبة من عناقها الحار وتدليلها الساحر الذى ذكرنى بالايام الاولى من علاقتنا ••**

وبعد قليل فوجئنا ، لدهشتنا ، بزيارة من ابن « مسيو دى ج » ــ الذى تسبب فى الزج بنا فى السجن ! ــ وقال الزائر أنه وقد عرف مخبأنا شعر أن من واجبه الحضور للاعراب لنا عن أسفه من أجل المعاملة القاسية التى لقيناها من أبيه !

ثم تكررت زيارات الشاب ، الذى كانت تبدو عليه نفس مظاهر الثراء التى بدت لنا من أبيه • ولم تمض أيام حتى لاحظت أنه قد شغف بمانون ووقع فى هواها •• لكن ذلك لم يدهشنى بقدر ما أقلقنى ، سيما وقد كنت أعلم أن جمال مانون كان كفيلا بأن يدير رأس أى رجل ، فى أية سن ••!

ولم ألبث أن تبينت ان عشيقتى قد فطنت للعاطفة التى أشعلها حسنها فى كيان الشاب ، وانها قد اعتزمت أن تستغلها •• فقد قالت لى : « ان هذا الفتى هو ابن عدونا اللدود •

فعلينا أن ننتقم من الاب فى «جيب» ابنه ! وعليه فسوف أصغى لمغازلاته ونجواه ، وأقبل هداياه ٠٠ ثم أخدعه ! »

وكان هذا مافعلته بالضبط ، لكنهاخدعتنى أنا بدورى ! ٠٠ فقد اتفقنا على أن « تفر » هى منى مع الشـاب ، حتى اذا وضعت يدها على كل ماتستطيع ابتزازه منه ، فرت منه ولحقت بى فى أحد مسارح باريس ٠٠

لكنها بدلا من أن تحضر الى بنفسها فى الموعدالمضروب ، أرسلت الى فتاة رائعة الحسن ، صديقة سابقة من صـديقات عشيقها الجديد ، تحمل الى خطابا تقول لى فيه فى عدم مبـالاة انه نظرا لان الشاب قد عاملها معاملة كريمة فقد استحال عليها أن تلقانى فى تلك الليلة كما اتفقنا ٠ ثم أعربت عن أملهـا فى أن تحظى بمتعة رؤيتى مرة أخرى فى فرصة قريبة ٠ وأخـيرا ففى وسعى فى هذه الاثناء أن أجد عزاء فى رفقة الفتـاة حاملة خطابها !

ولم أكتشف الا فيمابعد أن هذه الرسالة القاسية المهينة قد كتبتها مانون باملاء عشيقها الشاب !

◆ **لكنى** وقفت من حاملة الخطاب على عنوان المكان الـذى ستقضى فيه مانون وصاحبها ليلتهما ٠٠ فمضيت من فورى الى صديق لى وللشاب فى الوقت نفسه ، ورجوته بالحاح أن يرسل كلمة الى الفتى يناشده فيها أن يخف الى رؤيته من فوره لامر بالغ الخطورة والاستعجال !

ونجحت الخدعة ، فخرج الابله ملهوفا ليوافى صاحبـه الذى استدعاه ٠٠ ولم يكد يدير ظهره حتى تسللت أنا من مخبأى الى داخل البيت ، فوجدتها هناك !

وقابلت المرأة ثورتى واهاناتى بهدوئها المألوف ورقتهـا الآسرة ، دون أن تضطرب أو يبدو عليها أدنى انزعاج ، ثم راحت تعدد الاسباب التى جعلتها تتصرف على النحـو الذى فعلته . . فبدت حججهامقنعة للغاية بحيث لم البث ان هدأت تماما!

وعنـــدئذ خطـــرت لى نزوة غريبة : ماذا لو أكلت طعام العشاء الذى أعد للشاب ، وقضيت الليلة فى الفـــراش الذى كان يمنى نفسه بأن تشاطره فيه مانون ؟٠٠ وفىالصباح نستطيع أن نفر سويا ، وبذلك يكون انتقامنا كاملا ؟!

ووافقت مانون على الخطة بحذافيرها ، وأخذت تتصـــور حنق عشيقها حين يحرم من مباهج ليلته ٠٠ فانطلقت تضحك من قلب خلى حتى سالت دموعها على خديها !

ولكن كيف نستطيع تنفيذ خطتنا ؟

وفجأة خطرت لى فكرة خبيثة : كنت قد تعرفت الىعدد من رجال الحرس زملاء ليسكو ، فخرجت واتفقت مع ثلاثة منهم على أن يتقاضوا مبلغا من المال نظير أن يتحرشوا بالشاب عند عودته ويأخذوه الى قسم البوليس ليبيت فيه حتى الصباح !

لكن سوء طالعى شاء أن يعود الشاب ومعه خادمه ، الذى لم يكديرى ماحل بسيده حتىهرع رأسا الى «مسيو دى ج »والد الفتى وأنبأه بالكمين الذى أعد لابنه ٠ وحين ضيق هذا عليـــه الخناق اعترفله بصلة ابنه بمانون وعنوانالبيت الموجودة فيه !

وفى تلك الاثناء كنت ومانون قد تناولنا عشاءنا فىمرح وهممنا بأن نأوى الى الفراش ، حين ظهر فى البـــاب غريمنا القديم مسيو دى ج وفى صحبته عدد من رجال الشرطة !

كان التفكير فى المقاومة حماقة عديمة الجـدوى ، فقبـــل أن أمد يدى الى سيفى كانوا قد أمسكوا بى وشـــدوا وثاقى ! ٠٠ ثم أخذونا الى سجن « بتى شاتليه » ، حيث فرقوا بيننا ، بعد أن أقسم كلانا للآخر يمين الحب والاخلاص الابديين !

ولم تمض على فى سجنى أيام حتى وصل أبى ليرانى ٠ ولم يدهشنى منه توبيخه العنيف لى ، أنا ابنه الضال ٠٠ كما لم يدهشنى أيضا أن يعدنى ، بعد أن هدأت ثائرته قليـــلا ، ببذل كل مافى وسعه فى سبيل اطلاق سراحى بأقربفرصة ! وقد نجح فى مسعاه هذا فى نفس اليوم ، بعد أن تباحث مع

مسيو دى ج ورئيس البوليس ٠٠ لكنه رفض رفضا باتا أن يتدخل لتخفيف الحكم الذى صدر على مانون المسكينة ، والذى علمت لفرط جزعى أنه يقضى بترحيلها الى أمريكا مع فريق من النساء سيئات السيرة ٠٠ فى اليوم التالى مباشرة !

◆ **وفى** حمى الحزن الغامر المجنون الذى دهمنى لمجرد التفكير فى أنى سأفقد محبوبتى الى الابد ، رشوت عددا من الجنود كى يساعدونى فى اعداد كمين لمهاجمة الحراس الذين سينقلون مانون الى الميناء ٠ ولكن فى اللحظة الحرجة التى تعين فيها على مساعدى أن ينفذوا خطتنا ، خذلنى أربعة منهم ولاذوا بالفرار ٠٠ وهكذا ، بدلا من مقاتلة الحراس وجدتنى مضطرا الى مصادقتهم واسترحامهم كى يسمحوا لى بمرافقتهم الى ميناء « هافر » ، فقبلوا رجائى بعد تدخل « النقود » فى المساومة !

وهكذا أتيح لى على الاقل أن استمتع بمرافقة مانون التعسة فى رحلتها ، وأحاول التسرية عنها جهد طاقتى طيلة الطريق ، فقد كانت المسكينة فى حالة يرثى لها !٠٠ **وحين وصلنا الى ((باسى)) التقيت بك ياسيدى ، ولولا المنحة المالية التى تفضلت بها على فلربما كان تعذر على المضى فى الرحلة حتى ميناء هافر ٠ أماسفرى مع مانون الى أمريكا فلم أصادف فى سبيله عقبة ما ، فقدحصلت على تذكرة السفر والطعام طيلة السفرة بلا مقابل ، اذكان القوم فى الدنيا الجديدة فى حاجة ماسة الى السواعد الفتية لتعمير القارة العذراء ٠٠**



ووصلنا بالسفينة الى « نيوأورليانز» ، حيث استقبلنا

حاكم هذه البلدة الصغيرة الموحشة وسكانها القلائل بالترحيب الودى ٠٠ واعتبرونى ومانون « زوجا وزوجة » ، فأعطونا كوخا صغيرا لنقيم فيه ٠

وكان حاكم المدينة رجلا رقيقا لطيف المعشر ، فلم تنقض على وصولنا مدة قصيرة حتى أسند الى وظيفة مكنتنا من أن نعيش معيشة مستريحة ٠٠ ولكن كان من سوء حظنا أن تظاهرنا منذ البداية بأننا زوجان ، اذ لم تلبث الحقيقة أن انكشفت ٠٠ وعندئذ مضيت الى الحاكم كى أحصل منه على ترخيص بالزواج ، فوافق الرجل مرحبا ٠٠ ولكن لم يكد ابن أخيه ـ وهو شاب أعزب يدعى « سينيليه » ـ يسمع اننى ومانون لسنا مرتبطين برباط الزوجية ، حتى سارع الى المطالبة بزواجها منه هو ! .. فقد كان عسيرا على أى رجل ان يرى مانون ولا يقع فى هواها !

٦ ـ الغيرة ٠٠ القاتلة !

وساءنى مسلك سينيليه بالطبع ، فلما التقيت به فى خارج المدينة صارحته بما ينطوى عليه مشروع زواجه من مانون من عدوان صارخ على حقوقى ٠ ونشب بيننا على الاثر شجار حام لجأنا لحسمه الى السيف ٠٠ وتشابكت سيوفنا وتصاولت ، ولكن لم تمض برهة حتى كان سيفى ينفذ فى جسم مبارزى فيصيبه بجرح بالغ ، ايقنت انه سيقضى عليه !

وبات الفرار من المدينة هو كل مابقى أمام مانون وأمامى ! ٠٠ فتزودنا من الطعام والشراب والخمر بأقصى مانستطيع حمله ، وتسللنا من الكوخ دون أن يتنبه الينا أحد ٠٠ آملين أن نصادف من الاهالى من يقودنا الى المستعمرة الانجليزية الواقعة غير بعيد من مكاننا ٠٠

لكننا لم نقطع فرسخين حتى عجزت مانون عن مواصلة السير ، وقد هدها التعب وصيرها « نصف ميتة ! » ٠٠ وكان

الليل يهبط رويدا رويدا ، فخلعت ثيابى وفرشتها لمعشوقتى كى تحمى جسمها من التربة الصلبة • ثم تمددت بجوارها ••

وقبيل الفجر ، استيقظت من نومي لاجد يديها باردتين تنتفضان ، وهى لا تكاد تقوى على الكلام ! كل ما استطاعت ان تهمس به هو قولها انها تخشى ان تكون ساعتها الاخيرة قد دنت!

وقد صدق حدسها ، وياللحسرة •• اذ لم يمض قليل حتى كانت مانون قد فارقت الحياة !

◆ من العسير أن أصف لك مشاعرى على أثر تلك الصدمة الاليمة • كل ما أذكره منها أنى رقدت نهارا كاملا بجوار جثة حبيبتى أستجدى الموت أن يأخذنى اليها !•• ثم تذكرت أن جسمها الفانى ينبغى أن يدفن ، خشية أن تلتهمه الوحوش الضارية بمجرد أن ألفظ أنا أنفاسى • فقمت أحفر بأصابعى وسيفى قبرا عميقا وسدت فيه جثمان معبودة قلبى • واذ أهلت على القبر التراب وسويت سطحه ، رقدت فوقه ورحت أصلى لله كى تحين ساعتى !

لكن الاقدار ضنت على بالراحة ، فقد وجدونى •• على شفا الموت ، وأسعفونى بالعلاج •• ثم اتهمونى بقتل مانون ! لكنهم لم يلبثوا أن اقتنعوا ببراءتى فأخلوا سبيلى ••

أما «سينيليه » ـ الذى كان قد شفى من اصابته ـ فلم يكد يسمع بفاجعة وفاة مانون حتى أقدم على تصرف يدل على النبل والكرم : جاءنى يلتمس منى الصفح •• ثم أمر بنقل جثة مانون واعادة دفنها فى قبر لائق داخل حدود المدينة •

وها انا يا سيدى قد وصلت منذ حين عائدا من امريكا . وكان أول نبأ وقفت عليه بمجرد عودتى ان أبى الطيب قد مات • ولدى من الاسباب مايجعلنى أخشى أن يكون مسلكى الشائن قد عجل بنهايته !


TRIAL
OF
CHARLES I
by
SIR PATRICK
HASTINGS
قصة الصراع الأزلى
بين الشعوب وملوكها المستبدين
محاكمة
ملك
للمحقق الإنجليزى سير باتريك هيستنجز

هل يعيد التاريخ نفسه ؟

تتوالى فى هذه الايام أنباء تفكير السلطات المصرية فى محاكمة الملك السابق « فاروق » بتهمة التحريض على القتل ، والخيانة العظمى ، وطلب تدخل الجيوش الاجنبية لفرضه على عرش مصر برغم ارادة شعبها الممثلة فى ارادة جيشها الباسل .. الى آخر قائمة التهم التى تتولى النيابة العامة تحقيقها تمهيدا لتبت فيها برأى القانون وحكمه القاطع !

ولهذه المناسبة رأيت أن أرجىء فى آخر لحظة نشر جزء من مادة هذا العدد التى كانت معدة للطبع ـ وهو الجزء المتضمن خلاصة كتاب « يوتوبيا الحديثة » للمفكر العالمى هـ . ج . ويلز ، المشار اليه فى ظهر الغلاف الخارجى ـ كى أستبدله بموضوع آخر يتناسب وظروف مصر الحاضرة السابق ايضاحها ، وهو موضوع محاكمة ملك انجلترا شارل الاول بواسطة ممثلى الشعب ، من أجل تهم كبيرة الشبه بالتهم التى تنسب الى الملك السابق .. وهى المحاكمة التى وضعت فى انجلترا حدا نهائيا لطغيان الملوك ، وأرست أسس سيادة الشعب واحترام الدستور .. وهى الاسس التى صار ملوك انجلترا يقدسونها منذ ذلك التاريخ ، ومايزالون يفعلون الى اليوم !

فهل ترى يعيد التاريخ نفسه فى مصر ؟

الاغتيال .. أو التسميم .. أو المحاكمة ؟

◆ فى يوم ٢٠ يناير سنة ١٦٤٩ وقف الملك شارل الاول أمام المحكمة الخاصة التى شكلت لمحاكمته فى « وستمنستر » ، متهما بتهمة الخيانة العظمى والتآمر على سلامة البلاد والاعتداء على سيادة الشعب !

وكان الملك قد اعتقل قبل ذلك التاريخ بنحو شهر فى قصر « كاريسبروك » بجزيرة « وايت » ، فان وجوده فى أية بقعة من أرض انجلترا كان مصدر قلاقل وقلق مستمرين لقائد الجيش « كرومويل » وأعوانه ..

وقد سبقت محاكمة الملك مناقشات متضاربة حول تقرير مصيره ، فكان الشعور العام يميل الى الاعتقاد بأن النظام الجديد « لن يستطيع أن يتقدم

خطوة نحو تحقيق اهدافه ، مابقى الملك على قيد الحياة ! » ٠٠ ومن ثم كان من رأى البعض أن يقتل الملك غيلة بدس السم له ، تجنبا لاثارة الضجيج الذى يحدثه قتله بالمواجهة الصريحة والنية المعترف بها ٠٠!

وفضل فريق آخر فكرة اغتيال الملك بالرصاص فى اية مناسبة او فرصة سانحة ٠٠

لكن أغلبية الآراء اتجهت الى ترجيح كفة الاقتراح الثالث ، الذى يقضى بأن « يمثل الملك أمام محكمة قضائية علنية ، باعتباره مجرما آثما شريرا ، ليحاكم محاكمة تتفق مع شرف البرلمان وتلقن الملوك جميعا درسا لاينسوه ، هو أنهم قابلون للعقاب على جرائمهم وآثامهم مثل بقية أفراد الشعب ! »

◆ وقد أخذ بالرأى الاخير ، فأصدر مجلس العموم فى ٢٧ ديسمبر سنة ١٦٤٨ قرارا بتأليف لجنة خاصة تتولى اتخاذ الاجراءات الدستورية والقانونية الخاصة بتقديم الملك للمحاكمة ٠٠

ولكن ، قبل أن اقص عليك قصة المحاكمة واطوارها ، وتفصيلات تنفيذ الحكم فى الملك ٠٠ ينبغى أن ألخص لك المقدمات البعيدة التى أدت الى هذه النتيجة ، وانتهت بالملك الى هذه النهاية المشؤومة ٠٠

واليك مقدمات هذه القصة ٠٠ او قصة هذه المقدمات ـ وانها بالفعل لقصة تجتمع فيها كل عناصر القصة المؤلفة ذات العقدة ، والحبكة ، والمفاجآت الشائقة ٠٠ ثم الخاتمة القوية !

حاشية السوء !

◆ ولد شارل فى « دنفيرملاين » يوم ١٩ نوفمبر سنة ١٦٠٠ ، وكان ثانى ابناء الملك جيمس الاول وأحبهم اليه ٠٠ فلما مات شقيقه الاكبر «هنرى» سنة ١٦١٢ ، صار شارل ولى العهد ، أو « البرنس اوف ويلز » ٠٠ وحين بلغ سن الرشد بدأت سلطات القصر تفكر فى مصاهرة الاسرة المالكة الاسبانية بتزويج شارل من أميرتها ٠ وكان ولى العهد قد اتخذ له صفيا من مستشارى السوء يدعى «دوق بكنجهام » ، فأقنعه هذا بأن يتجاهل التقاليد ويقوم بزيارة شخصية لاسبانيا يتعرف فيها على الاميرة !٠٠ وهناك فى مدريد ارتكب شارل من الحماقات ماكشف النقاب عن ضعف خلقه ونقائصه ، فقد بلغ من شغفه «العنيف» بالاميرة أنه قفز ذات مرة من فوق سور حديقة قصرها وهى تتنزه فيها ، بغية أن يحظى من فاتنته بالخلوة التى ابتها عليه التقاليد الاسبانية !٠٠

بل ان شغفه بالاميرة جعله يقبل فى سبيل ارضائها وارضاء قومها أن يتلقى من البلاط الاسبانى الصفعة تلو الصفعة : فسمح بطرد حاشيته الدينية من البلاد ، واعادة بقية بطانته الى انجلترا ، واستجاب لكل طلبات ، ونزوات ، و « دلال » المسئولين الاسبان ٠٠ بل لقد بلغ به الامر أن وعد بماكان يعلم انه لايملك تنفيذه ، مثل الغاء القوانين الجنائية التى تطبق ضد الكاثوليك فى انجلترا فى ظرف ثلاث سنوات ! (وكان العداء على أشده يومئذ بين السلطات الانجليزية « البروتستنتية » وبين الكاثوليك) ٠٠ وأخيرا ، بعد أن أمعن الاسبان فى اذلال ولى العهد البريطانى على هذه الصورة ٠٠ أعلنوا رفضهم النهائى للمصاهرة !

وصعرت بريطانيا خدها للصفعة !

وبعد عامين دبر مستشار السوء «بكنجهام» لولى العهد مصاهرة أخرى مع شقيقة ملك فرنسا ، الاميرة « هنرييتا ماريا » ٠٠ وفى هذه المرة تم الزواج !

أول القصيدة ٠٠ كفر !

◆ وفى مارس سنة ١٦٢٥ مات الملك جيمس فخلفه ابنه شارل على العرش٠٠ وتوجس الشعب شرا من ارتقاء ولى العهد الذى صاهر « الكاثوليك » الفرنسيين عرش انجلترا « البروتستنتية » !٠٠ ثم لم تلبث أن بدت من الملك الجديد تصرفات تنم عن روحه الاستبدادية واستهتاره بحقوق الشعب واحكام الدستور ٠٠ وقد بدأ الصراع بين البرلمان والملك حين أخذ الاسقف المدعو « مونتاجو » يدعو علانية لنظرية الحق الآلهى للملوك ، فقرر البرلمان معاقبته بالسجن فى « برج لندن » !٠٠ كما أصر البرلمان على تقييد حق الملك فى فرض الضرائب والرسوم الجمركية بغير الرجوع اليه ٠٠ واذ ذاك عمد شارل ـ بناء على مشورة صفيه البغيض « بكنجهام » ـ الى حل البرلمان ، ثم النكاية فيه بتعيين الاسقف السجين « مونتاجو » اسقفا للقصر الملكى !

وغدا الملك ألعوبة فى يد مستشار السوء بكنجهام ، الذى كانت له مطامع حربية واسعة النطاق ، فورط مولاه وبلاده فى سلسلة من الحملات الحربية التى باءت كلها بالفشل ، فقد تمرد بحارة الاسطول فرفضوا محاربة «الهيجونوت» ، وفشلت الحملة البريطانية ضد « قادش » ٠٠ وازدادت حاجة الملك الى مال ينفق منه على حروبه ، فرهن جواهر التاج !٠٠ لكنه لم يحصل منها على غير مبلغ ضئيل بالقياس الى المطلوب ٠ واذ ذاك اضطر الى دعوة البرلمان الى الانعقاد ، كى يصدق له على الاعتمادات المالية اللازمة !

تبادل الصفعات !

◆ لكن البرلمان الجديد لم يكن أقل « صلابة » من سابقه ! فاستهل مجلس اللوردات عهده باطلاق سراح « ايرل بريستول » – سفير بريطانيا السابق فى اسبانيا – الذى كان مسجونا بأمر الملك لانه جرؤ على تحدى بكنجهام وانتقد ميل الملك الظاهر للكاثوليكية وخرقه للمعاهدة المبرمة حديثا مع اسبانيا دون مبرر سوى ارضاء نزوة طارئة من نزوات رجال حاشيته !

ولم يكتف مجلس العموم بهذه الصفعة التى وجهها شقيقه مجلس اللوردات الى الملك ، بل اردفها بصفعة أخرى أشد وأجرأ ، حين وجه الى بكنجهام استجوابا يتضمن ثمانية اتهامات متنوعة ، أجاب الملك عليها برسالة الى البرلمان أعلن فيها فى غطرسة أن بكنجهام لم يتصرف الا بتوجيه منه هو !.. ثم أعقب الملك هذه الرسالة بالقاء زعيم المجلس ومقدم الاستجواب – سير جون اليوت – فى السجن !.. وانتهى أخيرا الى حل البرلمان كله .. للمرة الثانية !

ولكن ماذا يصنع الملك فى أمر الاعتمادات المالية التى كانت تلزمه لمواصلة حروبه ؟ لجأ الى الاستعاضة عنها « بقروض » اجبارية ، أوبالاحرى ضرائب تعسفية ، فرضها على الشعب .. وكانت عقوبة كل من يرفض دفعها أن يلقى به فى السجن ، اذا كان من الاشراف ، أويجند فى الاسطول اذا كان من العامة !.. ثم اختار بكنجهام ذلك الوقت غير المناسب للاشتباك فى حرب جديدة مع فرنسا ، قاد حملتها بنفسه .. فلما منيت البلاد فيها بالهزيمة المنكرة اضطر الملك – سنة ١٦٢٨ – الى دعوة برلمان « ثالث » الى الانعقاد ، لمواجهة الحالة !

◆ لكن هذا البرلمان بدوره لم يكن على استعداد للتفريط فى حقوقه أوحقوق الشعب قيد انملة ، فبدأ عهده باصدار « عريضة الحقوق » ، التى نصت على عدم شرعية فرض القروض الاجبارية ، أو اعلان الاحكام العرفية فى زمن السلم ، أو ايواء جنود الدولة فى منازل الافراد بالقوة كلما ضاقت بهم الثكنات (وهو اجراء كان شارل قد لجأ اليه !)

وقد حاول الملك تفادى الموافقة على « عريضة الحقوق » هذه .. فلما شدد عليه البرلمان الخناق ، ووجه الى بكنجهام قرارا باللوم والتوبيخ .. خضع الملك راغما ! ولو أن موافقته كانت كالعادة « رسمية » فقط ، ينقصها الاخلاص !

اغتيال مستشار الملك !

ثم توالت الاحداث الخطيرة .. فاغتيل بكنجهام « صفى الملك » بخنجر ضابط ثائر !.. ومع ذلك لم يرجع شارل عن غيه اويغير من سياسته ، فاجأ

كعادته الى حل البرلمان ـ لثالث مرة ! ـ ثم عمد الى فرض غرامة مالية باهظة على زعمائه ، وفى مقدمتهم « ايليوت » ، فلما عجز هـــذا عن دفعها زج به فى سجن « برج لندن » الرهيب !٠٠ وحين ساءت صحته وقدم ـ أكثر من مرة ـ ملتمسا بالافراج عنه بصفة وقتية حتى يسترد صحته ، أصر الملك فى كل مرة على الرفض ٠٠ وترك ايليوت حتى مات فى السجن !

◆ ثم حكم شارل البلاد بغير برلمان أحد عشر عاما ـ من مارس ١٦٢٩ الى أبريل ١٦٤٠ ـ كان كل عام منها يزيد الشعب معـــرفة بخلق الملك الحقيقى ، وجهله سواء بدروس التاريخ أوبطبائع شعبه !٠٠ بل كان كل يوم من هـــذه المدة يزيد الشعب ايمانا بالحاجة الى ضمانات أقوى تقف فى وجه ســـلطان الملوك وطغيانهم ٠٠ وصار التاجر اللندنى ـ مثلا ـ الذى يقارن حكم شـــارل بأسوأ عهود سلاطين تركيا العتاة ، لايعتبر ظالما اومغاليا ! فقد أمعن الملك فى تحدى الشعب والاعتداء على حقوقه واستباحة حرماته ، الى درجة الشـــذوذ والخبل ـ اللذين يذكران بتصرفات « الحاكم بأمر الله » ! ـ فمنع ســـكان الريف من زيارة العاصمة ٠٠ وأمر بغلق جميع المتاجر فى حى « تشيبسايد » بلندن ، باستثناء حوانيت صياغ المجوهرات ٠٠ ومنع تشييد أى بنـــاء جـديد فى العاصمة الا بتصريح خاص ، يدفع طالبه للملك مبلغـــا كبيرا من المال ، كاتاوة !٠٠ وقد كان المال هو المطلب العاجل الذى يسعى اليه شارل ، وفى سبيله لم يدع وسيلة الا اتبعها ، ولا جريرة الا اقترفها ٠٠ حتى لقـــد عمد الى منح بعض الشركات كافة حقوق الاحتكار المنافية للقانون ، مقابل دفع رشاو ضخمة ٠ بل وفرض قانونا بمعاقبة كل من يهمل استعمال ألقـــاب الشرف والفروسية فى مخاطبته لاصحابها ، بغرامة قاسية للغاية ٠٠ ثم أحيـــا الضرائب على البضائع التى تنقلها جميع السفن ٠٠ الى مئـــات أخرى من أمثلة هذا التحكم الاستبدادى المطلق !

اعدام صديق الملك !

◆ بل ان شارل كان المسئول المباشر عن الكثير من « الجرائم » السياســـية والفـــردية ، التى كان منهـــا : تحريضه لصنيعته « ايرل ســـترافورد » على حكم ايرلندا بالحـــديد والنـــار ، واثارة الفـــرقة والاحقاد بين أفراد شعبها الى حد اقدامهم على مذابح مروعة ٠٠ ومصـــادرة أموال النـــاس لتهم تافهة ٠٠ وتشجيعه لاضطهاد غلاة البروتستنت «المتطهرين» ٠٠ الخ

ثم أقدم الملك على حماقته الكبرى حين اجبر الاسكتلنديين على اتبـــاع الطقوس الدينية الكاثوليكية ، المنافية لمذهبهم !٠٠ فثارت ثائرتهم الى حـــد اعلانهم الحرب عليـــه ، وتسيير جيشهم لمهاجمتـــه (وكانت كل من انجلترا واسكتلندة يومئذ شبه دولة منفصلة !) ٠٠ وأسفر القتال عن هزيمة جيش شارل ، فاضطر الى دعوة البرلمان ـ لرابع مرة ـ كى يعتمـــد مايلزم من المال لاعداد جيش أكبر يواصل القتال ٠٠ لكن البرلمان بدأ يناقش الملك الحساب عن كل ما اقترف ، فسارع شـــارل الى حله ، كسابقيه ٠٠ ثم عاد بعد شهور فدعاه للمرة الخامسة ، حين طالبته جيوش اسكتلندة الظافرة بتعـــويض مالى فادح عما كبدتها محاربته من أموال !٠٠ واذ ذاك بدأ البرلمان الجـديد عهـده بالالتفاف حول زعيمه الشعبى الجرىء ، القوى الشكيمة ، « بايم » ٠ ثم وجه ضربته الاولى الى صنيعة الملك وعنوان الفساد « ايرل سترافورد » ، فحاكمه وأصدر حكمه عليه بالاعدام !

◆ وحاول الملك فى البداية حماية رجله ، فلما تحرج الموقف ضـــحى به وتركه يلقى جزاءه !٠٠ ثم وافق مضطرا على مرسوم يمنعه من حل البرلمان بغير موافقة البرلمان ذاته !٠٠ وهكذا جرد الملك من سلاحه الاعظم ، وبدأت حمـــلة برلمانية ضخمة لتطهير البلاد من الفســـد والمظالم التى نشرها الملك فى شتى مرافقها ٠٠ وتساقطت حصون الفساد حصن بعد آخر ٠٠ فتعرضت حيـــاة الزعيم « بايم » للخطر المحدق ، اذ لم يجد الملك وأعوانه بدا من التآمر عـلى حياته ، بأحط الاسلحة وأبشعها ٠٠ فبذلوا محاولة لاصابته بعدوى الطاعون عن طريق ارسال جرثومته اليه داخل خطاب !٠٠ لكن الذى فتح الخطاب كان أحد سكرتيريه ، فنجا الزعيم ٠٠ ومرة اخرى حاولوا اغتياله أثنـاء وجوده فى قاعة وستمنستر بطعنة خنجر ، لكنهم أخطأوه فطعنوا شخصا آخر بدلا منه !

مذابح الحرس الحديدى !

◆ ومع ذلك لم يتراجع بايم وصحبه الاطهار عن صلابتهم قيد شعرة ٠٠ فاستمر الصراع بين البرلمان والملك يزداد كل يوم حدة ، وعمد شـــارل الى زيادة النار اشتعالا حين أمر رجاله باطلاق النـــار على الجماهير فى احـــدى المظاهرات ٠٠ ثم احاط نفسه بحرس من المغامرين المسلحين وأباح لهم الاشتباك مع المتظاهرين العزل فى « مذابح » وحشية !

وفشل شارل فى « شراء » ذمة بايم باسناد الوزارة اليه ، فقد رفضـها

هذا باباء .. واخيرا لم يجد الملك مفرا من « اعلان الحرب » على البرلمان ، فأمر النائب العام ذات صباح بالقاء القبض على بايم وأربعة من زملائه بتهمة الخيانة العظمى ، على أساس « مسلكهم البرلمانى الشـــاذ » .. لكن البرلمان رفض تسليمهم !.. فماكان من الملك الا أن اتجه الى دار المجلس فى موكب من نحو ثلاثمائة أو اربعمائة من أعوانه وحراسه المسلحين بالمسدسات والسيوف والخناجر وواجه الاعضاء فى جرأة مطالبا بتسليم « الخونة » الخمسة !.. لـكن المجلس رفض طلبه ، فى جرأة مماثلة ، فاضطر الملك الى الانسحاب مهـددا متـوعدا بأقذع الالفاظ والسباب !

وكان رد الشعب على هذا التصرف رائعا عظيما ، فقد أغلقت متاجـــر العاصمة احتجاجا ، وقوبل الملك أثناء مروره فى المدينة فى اليـــوم التـــالى بصيحات التنديد والاستنكار .. وغلى مرجل الشعور العام .. واضطر البرلمان الى الانتقال لعقد جلساته فى غير مقره ، خشية بطش الملك .. وتألفت العصابات المسلحة فى طول البلاد وعرضها ، وتقاطر أهل الريف على العاصمة بأسلحتهم .. وبات نشوب الحرب الاهلية مرتقبا بين لحظة واخرى ..!

وهنا تراجع الملك ، فاعتكف فى احد قصوره خارج العاصـــمة ـ ايذانا بالتقهقر عن موقفه ـ فخرج زعماء البرلمان الخمســـة من مخبأهم ، وعادوا الى مجلسهم ظافرين ، بين تهليل الشعب وحماسته !

◆ لكن الصراع بين السلطتين لم يكن يهدأ الاليثور ، أو يوقف الاليستأنف .. فلما تقدم البرلمان الى الملك بعريضة « الاقتراحات التسعة عشر » لتعـــديل الدستور وتجريد الملك من كل سلطة فعلية ، لجأ الملك الى القوة فاطلق جيشه ليهاجم المتظاهرين المؤيدين للبرلمان .. فاعتمد البرلمان ميزانية لتسليح جيش « حر » من أنصار الحرية قوامه ١٠ آلاف رجل (بينما آلف الملك بدوره برلمانا « حرا » فى مقر قيادته بأكسفورد !) .. وبذلك بدأت الحـــرب الاهلية بين الجيشين !

الملك يطلب تدخل الدول الاجنبية !

واستمر القتال سجالا أكثر من عامين ، تكبد كلا الفريقين خلالها خسائر فادحة .. وفى العام الثالث (١٦٤٥) تغلبت كفة « جيش الحرية » . ثم احرز انتصاره الحاسم بزعامة « كروムويل » ، فى معركة (نازبى) .. فبـــدأ يملى شروطه على معسكر الملك ! وفى هذه الاثناء فتشت مكاتب الملك فعثر بين أوراقه


كروموبل

الخاصة على وثائق تثبت عليه تهمة مطالبته دولا اجنبية بالتدخل واستعداء جيوشها ضد بلاده ، فنشرت على الملأ وثائق هذه الخيانة العظمى !٠٠ واذ ذاك ضاقت بالملك السبل وأدركه اليأس ، ففر - فى مايو سنة ١٦٤٦ - الى حيث سلم نفسه لاعدائه الاسكتلنديين ٠٠ مفضلا جحيمهم على جنة البرلمانيين الانجليز ! لكن الاسكتلنديين باعوه ، فى يناير سنة ١٦٤٧ ، الى البرلمان الانجليزى ٠٠ نظير مبلغ من المال !٠٠ وبعد ستة اشهر نقل شارل من يد البرلمان الى يد الجيش ، فأنزله فى قصره المعروف باسم « هامبتون كورت » ، وعامله بكل احترام ورعاية ٠٠ ثم بدأ كروموبل واعوانه يفاوضونه للوصول الى سلم عادل بالنسبة للطرفين ، وعرضوا عليه شروطا اسخى مما كان يستحق !

لكن الغبى الاحمق لم يتعظ من الاحداث ، فراح يماطل ويساوم ، آملا ان يخف الاسكتلنديون الى نجدته ٠٠ بل انه فى احدى جلسات المفاوضة رفض شروط الجيش فى عجرفة واحتقار !

◆ ومنذ تلك الساعة اقتنع الجميع باستحالة الوصول معه الى تفاهم ٠٠ ورجحت كفة القائلين بأن مصلحة الوطن تقتضى أن لاتغفر جريمة الخيانة العظمى لاحد ، وبخاصة اذا كان ملكا !

واحس شارل بالتيارات التى تتجاذب مصيره ، وخشى على نفسه من الاغتيال ، ففر من قصره تحت جنح الظلام الى جزيرة « وايت » ! وهناك دخل فى مفاوضات مع الاسكتلنديين واستطاع اقناعهم بأن يعدوا جيشا لمؤازرته ومحاربة كروموبل !٠٠ ولكن قبل أن يتحقق حلمه وقع من جديد فى قبضة سلطات البرلمان ، التى بلغ من تسامحها انها عرضت عليه عروضا جديدة للصلح ٠ لكن غروره ، واعتماده على نجدة الاسكتلنديين الموعودة ، جعلاه يرفض عروض البرلمان فى قحة وصلف !٠٠ وعندئذ نفد صبر رجال الجيش فاخذوه فى قبضتهم مرة أخرى ، ونقلوه من الجزيرة الى قصر هيرست ، ثم الى قصر وندسور ، فقصر سان جيمس ٠٠ تمهيدا لمحاكمته !

نعم ، فلقد استقر رأى الجيش على محاكمة الملك شارل ، كى يلقى جزاء جرائمه وعدوانه على حقوق الشعب ·· فلما اعترض فريق من أعضاء مجلس العموم الرجعيين المترددين على هذه « السابقة الخطيرة » ، ضرب كرومويل ضربته لتطهير البرلمان من دعاة الهزيمة هؤلاء ، ففصل منهم مائة وأربعين عضوا بجرة قلم ·· ولم يبق الا على فريق المتحمسين للمحاكمة ، الذين أصدروا قرارهم بتشكيل « محكمة عليا » لهذا الغرض من نحو خمسة وستين من أعضاء البرلمان ورجال الجيش وسواهم ·

وحين أبى مجلس اللوردات الموافقة على هذا القرار ، أصدر مجلس العموم فى ٤ يناير سنة ١٦٤٩ قرارا تكميليا بأن أى حكم يصدره المجلس تكون له قوة القانون ، ولو لم يوافق عليه مجلس اللوردات أويصدق عليه الملك !

وبعد يومين انتخبت هيئة المحكمة برئاسة « مستر جون برادشو » وعضوية عدد كبير من المحلفين وضباط الجيش ، فى مقدمتهم القائد « أوليفر كروميل » نفسه ·

جلسات المحاكمة !

◆ وفى يوم ٢٠ يناير اقتيد الملك فى حراسة « الكولونيل ثوملنسون » الى القاعة الكبرى بقصر وستمنستر ، حيث تقرر ان تجرى المحاكمة ·· واخذ رئيس المحكمة وأعضاؤها اماكنهم فى صدر القاعة ، وقد وضعت أمامهم منضدة مغطاة ببساط تركى ثمين ، وعليها السيف والصولجان ، اللذان يرمزان لهيبة العدالة ·· وحرص المسئولون على ترك أبواب القاعة مفتوحة لاى متفرج ، طيلة جلسات المحاكمة ··

ثم افتتح الرئيس الجلسة الاولى بأن وقف وقال مخاطبا المتهم ، الذى جلس جلسة توحى بعدم الاحترام لهيئة المحكمة ، محتفظا بقبعته على رأسه ! : « شارل ستيوارت ، ملك انجلترا ·· ان مجلس العموم البريطانى ، وقد احس احساسا عميقا بالكوارث التى حاقت بهذا الشعب ، والتى يقع وزرها الرئيسى عليك ، قد قرر تحقيق تبعتها الدموية ومحاكمتك من اجلها ·· »

ثم وقف المدعى العام « مستر كوك » وقال مخاطبا الرئيس : « سيدى اللورد ، انى مكلف بأن أتهم شارل ستيوارت ملك انجلترا ، بالتهم التى سيتلوها كاتب الجلسة على مسامعكم » ·· ثم نهض الكاتب فتلا قرار الاتهام ، ولم يبد الملك أدنى اهتمام بمايتلى ·· الا عند العبارة الاخيرة من القرار التى جاء فيها : « لذلك نتهم شارل ستيوارت بأنه طاغية وقاتل » فقد أطلق الملك عندئذ ضحكة سخرية عالية !·· ثم خاطب الرئيس المتهم بقوله : « سيدى ، لقد سمعت الآن التهمة الموجهة اليك ·· فما هو جوابك عليها ؟ »

وعندئذ أجاب الملك هذا الجواب الذى بدا أنه قد أعده من قبل بعناية :

« انى أريد أن أعرف أولا باية سلطة استدعيتمونى الى هنا ، وبعد ذلك اجيبكم على سؤالكم ! » فاجابه الرئيس : « نحـــن نستجوبك باسم شـــعب انجلترا الذى انتخبك ملكا عليه » ٠٠ وكأنما استفزت هــــذه العبارة المتهم ، فانبرى يقول : « ان انجلترا لم تكن يوما تنتخب ملكها ، وانما هى دولة ملكية «وراثية » منذ أكثر من الف عام ، فاجيبونى بأية سلطة تستجوبوننى ! » ٠٠ واذ ذاك أجابه الرئيس فى حزم : « سيدى ، ان لهجتك توحى بانك تستجوب المحكمة ، وهو وضع مقلوب ! ،فاذا لم تجب فسوف تعرف المحكمة كيف تواصل اجراءاتها ، وسيأخذك الذين احضروك ، ليتولوا امرك فى هذه الاثناء » ٠٠ ثم اقتيد الملك الى خارج القاعة ، وفى الطريق الى السجن هتفت فئة قليلة « حفظ الله الملك » ، بينما هتفت الاكثرية بحياة « العدالة » !

الملك لايخطىء !

◆ وفى صباح الاثنين ٢٢ يناير ـ بعد يومين ـ عقدت المحكمة جلســـتها الثانية ، وأحضر الملك امامها مرة اخرى ٠٠ فاعاد الرئيس مطالبته بابداء اقواله ، وأصر هو على رفض الاعتراف بسلطة المحكمة فى محاكمته ، وسؤالهـــا عمن منحها هذا الحق ! ثم دار بين الاثنين الحوار التالى :

الملك : ان الملك بحكم القانون لايخطىء ٠٠ وقد اوصى الله فى التـوراة بطاعة الرعية لملوكها !

الرئيس : ليس للمتهم أن يناقش المحكمة الحساب !

الملك : لست متهما عاديا ٠٠ ومنذ متى كان مجلس العموم محكمـــة قضائية ؟

الرئيس : أيها الجاويش ، اخرج المتهم خارجا ٠٠

واجلت الجلسة لليوم التالى ٠ وفى الجلسة الثالثة وقف المدعى العام يقول للمحكمة ان الملك يعبث بها ، ثم استدار يخاطب المتهم : « انى أطالبـــك بان تجيب جوابا قاطعا صريحا على التهم الموجهة اليك ، فالعــــدالة لاتقيم وزنا للاشخاص ٠ والآن عليك ان تجيب : هل ارتكبت هذه الخيانات التى تتهـــم بها ، أم لم ترتكبها ؟ » ٠٠ ورغم تنبيه المحكمة للملك بانه اذا لم يدل بجواب صريح فسوف تعتبره ممتنعا عن الاجابة وتصدر حكمها على هــذا الاســاس ٠٠ فان الملك المتغطرس أصر على سؤال المحكمة عن سلطتها فى محاكمته !

وازاء ذلك رفعت الجلسة لتعقد المحكمة فى اليومين التاليـــين ـ ٢٤ و٢٥ يناير ـ جلسات سرية سمعت فيها اقوال الشهود ، وبينهم عدد كبير من الجنود فى جيش كرومويل ، وقد شهدوا بأن الملك كان يلازم جيشه فى جميع المعارك

التى قاتل فيها جيش البرلمان ٠٠ أى انه قد ارتكب جريمة الاشـــتراك فى القتال ضد أفراد شعبه ورعيته !

الحـــكم ٠٠ !

◆ وفى يوم السبت ٢٧ يناير عقدت المحكمة جلستها الاخيرة ـ العلنية ـ فهتفت الجماهير عند دخول الملك الى القاعة : « الاعدام ٠٠ العدالة ٠٠ الاعدام ! » ثم وقف الرئيس فألقى خطابا طويلا اتهم فيه الملك بارتكاب جميع الجرائم الواردة فى قرار الاتهام ٠ وحين حاول الملك مقاطعته أجابه الرئيس : « دعنى أواصل الكلام فقد فاتت الآن فرصتك ! » ٠٠ لكن الملك اصر على اعتبار ان مجلس العموم ـ بغير مجلس اللوردات ـ لايملك سلطة محاكمته !

وكان مصير هذا الاعتراض : التجاهل التام !٠٠ وحين فرغ الرئيس من خطابه أمر بان يتلو الكاتب نص الحكم الذى اصدرته المحكمة ، وقـد جاء فى ختامه : « من أجل كل هذه الجرائم والخيانات ترى المحكمة أن المتهم « شـارل ستيوارت » طاغية ، خائن ، قاتل ، وعدو للشعب ٠٠ وقد حكمت عليـه بأن يعدم بفصل رأسه عن جسده ! » ٠٠ وهنا صاح الملك : « سيدى ، اسمح لى بكلمة ٠٠ » فاجابه الرئيس : « سيدى ، ليس من حقك أن تتكلم بعد صـدور الحكم ٠٠ يارجال الحرس ، خذوا سجينكم ! » ٠

وأثناء اقتياد الملك الى عربة السجن قابله الجمهور بمظهر عدائى صارخ ، حتى لقد بصق البعض فى وجهه ، ووجهوا اليه اهانات شتى !٠٠ وفى السجن عومل بعد ذلك دون أدنى احترام أو شفقة ٠ وبعـــد يومين احضر أولاده الى السجن ليودعوا أباهم الوداع الاخير ٠٠ وكان اللقاء والوداع مفجعين !

تنفيذ الاعدام

◆ وفى اليوم التالى ـ ٣٠ يناير ـ أوقظ الملك فى سجنه قبيل الفجـر ، فارتدى ثيابه بمنتهى العناية ، بل وطالب بتدفئة قميصه على وهج النار خشية أن يرتجف حين يصدمه الهواء البارد فى الخارج فيحسبه المتفرجون خائفا !٠٠ وفى الساعة العاشرة أخذوه الى « هوايتهول » ومنها عبر الدهليز الطـويل الى قاعة مجلس الوزراء حيث شرب كأسا من الخمر الفرنسية المعتقة ٠٠ ثم قاده حارسه الكولونيل ثوملنسون ووراءه فرقة من الحرس خلال الحديقة بخطـوات بطيئة ، وكان الملك يوصيهم بالاسراع فى السير قائلا انه الآن يتقدمهم ساعيا فى سبيل الظفر بالتاج السماوى !٠٠ وحين بلغ الموكب نهاية الحديقة صـعد

الملك السلم المؤدية الى قاعة الاعدام ٠٠ وهناك فوجئوا بعائق غير متوقع ، فقد قيل لهم انه لم يتم بعد اعداد جهاز الاعدام (وهو كتلة ضخمة اشبه بجذع الشجرة او « السنديان » توضع عليها رقبة المتهم ٠٠ ثم يهوى الجلاد عليها بفأسه !)

وقضى الملك فترة الانتظار فى التحدث الى اسقف لندن ، وفى الصلاة ٠ ثم قال للكولونيل هاكر رئيس الحرس : « اوصهم بأن لايسببوا لى ألما ! » ٠٠ والتفت الى الجلاد يسأله : « هل يضايقك شعرى الطويل فى مهمتك ؟ » وعندئذ اشترك الجلاد والاسقف فى تنحية شعر الملك عن عنقهوجمعه داخل القبعة ! وفى تلك اللحظة سمع الملك يهمس لاحد الواقفين « تذكر ! » ٠٠ وقد اثار غموض المعنى المقصود بهذه الكلمة تساؤل الكثيرين يومئذ ، وفيمابعد ، ولكن أغلب الظن انه كان يرمى بها الى تذكير محدثه بوعده أن يوصى ابن الملك حين يكبر أن يعفو عن الجلاد الذى أعدم والده !

ثم التفت الملك الى الجلاد واستحثه على الاسراع فى اعداد الجهاز ، ثم قال له : « حين امد يدى هكذا ، اضرب ضربتك » ، فلما وضع رقبته على آلة الاعدام قال للجلاد : « انتظر الاشارة » ٠٠ وبعد لحظات مد الملك يده بالاشارة المتفق عليها ٠٠ فاهوى الجلاد بفأسه على عنقه ، ففصل رأسه عن جسده بضربة واحدة !

وقدم البعض يومئذ التماسا كى يدفن الملك فى كنيسة الملك هنرى السابع ، لكن الفكرة رفضت بدعوى أن الجثة لاتكون هناك فى مأمن من أيدى العابثين ، فى مثل تلك الايام الحافلة بالقلاقل ٠٠ ومن ثم دفنت جثة الملك - يوم ٨ فبراير سنة ١٦٤٩ ، اى بعد اعدامه باسبوع كامل - فى كنيسة « سان جورج » الملكية بقصر وندسور

شخصية الملك شارل

◆ وهكذا دخل الملك شارل الاول ذمة التاريخ ٠٠ واذا سئل التاريخ اليوم عن شخصية شارل ، وما له وماعليه ، لما خرج جوابه عن هذه الحقائق : انه ـ كرجل ـ كان حريصا على اتباع أوامر الدين ، ومراعاة اللياقة والصرامة فى مايتصل بالسلوك والاخلاق ، وكان ذواقة للادب والفنون ٠٠ أما كملك ، فقد كان محروما من الحكمة والدهاء المطلوبين فى الملوك ٠٠ وكان شديد الاعتداد « بحقه الالهى » فى أن يحكم شعبه على هواه ، الامر الذى أوقفه موقف المعارض العنيد للتيار القوى الذى اجتاح البلاد فى عصره ، والذى تمخض عن : حركة « الاصلاح » ٠٠ ونزعة « المتطهرين » الى التزام الفضائل فى حياتهم العامة والخاصة ٠٠ ثم اعلاء كلمة الدستور وتقرير السيادة العليا له فى حكم البلاد ، بصفة نهائية ٠٠!



محتويات الكتاب

كيف تحصل على العدد الاول ؟

اقرأ التفصيلات فى الصفحة الاخيرة من هذا العدد


يا سلام
مدهشة !
بيبسي كولا
PEPSI-COLA
بيبسي كولا
معبأة بالشركة الوطنية المصرية لتعبئة الزجاجات ش.م.م.
SPMO

العدد الاول من «كتابي»

يعاد طبعه فى منتصف ديسمبر

آخر موعد لحجز نسختك من الادارة يوم ٢٠ نوفمبر

◆ منذ صدر العدد الاول من (كتابى) فى أول مارس الماضى ، ونفد بمجرد صدوره ، والطلبات تنهال على ادارته ملحة فى المطالبة باعادة طبعه ، كى تكتمل مجموعات القراء الاعزاء الذين عجزوا عن اقتنائه فى حينه .. وقد آن أوان اجابة هذا الطلب الكريم الذى يعتز به (كتابى) أيما اعتزاز ، وعليه فسوف تصدر الطبعة الثانية من العدد الاول فى منتصف الشهر القادم (ديسمبر) بمشيئة الله

ونظرا لان الكمية التى ستطبع منه ستكون محدودة ، مما يضاعف نفقات الطباعة ، فسوف تباع النسخة من العدد المذكور بعشرة قروش بدلا من ثمانية .

ارسل فى طلبه من الان ..

◆ وادارة كتابى ترجو من كل من يبغى اقتناء العدد المذكور ـ بالقطر المصرى او السودان ـ ان يبادر الى حجز نسخته من الان بارسال ثمنها (وقدره عشرة قروش ، مضافا اليها قرشان رسم ارسالها اليه بالبريد «المسجل» يوم صدورها) على ان يكون ارسال هذا المبلغ باذن بريد او بالبريد المسجل ، باسم صاحب كتابى (١٨ شارع العباسيين ، مصر الجديدة) وذلك فى ميعاد لايتجاوز يوم ٢٠ نوفمبر الحالى ، لان عدد النسخ المطبوعة سيحدد وفقا للطلبات التى تصل الينا حتى هذا التاريخ .

وفى حالة طلبات الجملة تخاطب الادارة بشأن شروطها قبل ارسال المبلغ ، على أن يحدد فى الطلب عدد النسخ المطلوبة واسم الجهة التى تطلبها .

فى الاقطار الشقيقة

◆ أما بالنسبة لخارج القطر فسيوزع العدد عند صدوره بمعرفة متعهدى توزيع كتابى كسائر الاعداد



الوصول إلى الحقيقة يتطلب إزالة العوائق
التي تعترض المعرفة ، ومن أهم هذه العوائق
رواسب الجهل وسيطرة العادة ، والتبجيل المفرط لمفكري الماضي
إن الأفكار الصحيحة يجب أن تثبت بالتجربة

حصريات مجلة الابتسامة
** شهر أغسطس 2018 **
www.ibtesamah.com/vb

التعليم ليس استعداداً للحياة ، إنه الحياة ذاتها
جون ديوي
فيلسوف وعالم نفس أمريكي

كتابك
التاسع

"صنم تحطم" .. و ٧ كتب عالمية كبرى:

صنم تحطم : قصة مصرية للمحور ● مصطفى كمال (أتاتورك) خالق تركيا الحديثة : من قصص حياة أنبياء الوطنية وزعماء الثورات الإصلاحية ● فن الحياة العائلية : للكاتب الفرنسي الكبير «اندريه موروا» ● محاكمة "ستافسكي" : أشهر محاكمات الوزراء بتهمة الاتجار بالنفوذ والثراء غير المشروع ● يوتوبيا العصرية : الدولة المثالية الجديدة كما تخيلها المفكر العالمي هـ . ج . ويلز ● "مانون ليسكو" : القصة الخالدة للأب بريفو - من روائع القصص العالمي ● الحب أقوى من الموت : المأساة التي هزت البلاط النمسوي وأثارت الرأي العام الأوربي منذ نصف قرن - من قصص التاريخ ومآسيه ● كتاب الشهر : كيف نجحوا في الحياة - للكاتب الأمريكي «ديل كارنيجي»

.. الخ ..


Exclusive
For
www.ibtesama.com